الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 408 - من الثلاثاء 28 ماي إلى الاثنين 3 جوان 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

إقالة وزيري الداخلية والشؤون الاجتماعية :

نهاية مرحلة وبداية أخرى...

موقف الأسبوع

في إخلالات المرسوم عدد 54 وتحصيناته!

أحمد صواب

لمياء ناجي

شهادات خطيرة عن حوكمة القروض والتمويلات وإدارة ملف الشركات المتعثّرة

تقرير لـ «فيتش» :

- أزمة الأدوية في تونس تؤثر على شخص من كل 3 أشخاص
- هجرة شركات الأدوية نحو الجزائر ومصر
- أدوية الأمراض النفسية والعقلية نادرة وغير متاحة

بقلم : مختار لعماري

افتتاحية

ما أعسر أن يكون الإنسان حرّا !

بقلم : حمادي بن جاء بالله

ما أعسر أن يكون الإنسان حرّا !

بقلم : حمادي بن جاء بالله

لا ريب – أولا – أن اشد ما تخشاه تونس اليوم، ان تنتهي ثقتها بنفسها إلى ضرب من العجب، قد يلهيها عن واقعية متبصرة متأنية، لابد منها لتحقيق المطلب العالي الذي ائتمنها عليه شباب مدرسة الجمهورية يوم خرج ذات يوم من سنة 2011، ينادي بالحق في ''الشغل والحرية والكرامة الوطنية". ولا ريب ثانيا أن تونس قطعت على ذلك الدرب أشواطا محمودة، وإن بدا عليها بعض الإرهاق بسبب مكر العراقيل وثقل المواريث. ولا ريب- ثالثا -أن تونس تعلم علم خبرة ودراية لا علم تقليد ورواية أنه عليها مجابهة تكاثر المخاطر بتعاظم إرادة الصمود وعزيمة التصدي. ولا سبيل الى ذلك الا باستعادة الوحدة الوطنية المكلومة.

I

فأما مصدر ما يخشى من العجب، هو أن تونس واعية حق الوعي أن ثورتها حركت سواكن الحضارة العربية الإسلامية، يوم رفعت شعارا لم يرفع في أي بلد عربي، ولا في أي بلد مسلم، منذ حوالي خمسة عشر قرنا، مطالبة بنظام اقتصادي يضمن للمواطن كسب قوته بعرق جبينه، وبنظام اجتماعي وسياسي يدور على قيمة الحرية باعتبارها جوهر إنسانيتنا فينا، وقانون الاجتماع المدني الذي نسميه النظام الديمقراطي وفقا لسنن زماننا الكونية، حتى انه لا معنى لأي ''استثناء'' خاصة باسم الاصالة الثقافية. وعن تانك القيمتين تترتب –عاجلا أو آجلا – عزة الشعوب وكرامة الاوطان، فتحتل مكانها مع أمم الدنيا بشرف تحت شمس الله. فانتصار الثورة التونسية انتصار تستلهمه جميع الشوب العربية. ذلكم صنيع مدرسة الجمهورية التي وضعت أركانها دولة الاستقلال، فكانت القائدة الحقيقية لثورة 14 جانفي 2011. وما لم يعه البعض وخاصة اولئك الذين وقفوا ماكرين وراء ما سمي باطلا ''هيئة الحقيقة والكرامة''، أن تلك الثورة لم تكن على دولة الاستقلال، ولا على الروح العميقة التي صاغتها، بل كانت أروع انجازات دولة الاستقلال ذاتها. ذلك أن ما أصابها من الإرهاق حملها على أن تستثمر-واعية أو غير واعية – ما أنجزت منذ الاستقلال حتى سنة 2011 في جهد متجدد، هو الثورة على ذاتها، سعيا منها الى تجاوز المحدودية التي فرضتها عليها اللحظة التاريخية التي نشأت فيها أولا، وإلى إصلاح أخطائها التي حتمتها البدايات الصعبة ثانيا، وربما ثالثا إلى التكفير عما يمكن ان تكون ارتكبت من خطايا. ''ومن ذا الذي تصفو مشاربه''؟ صحيح أن الشعوب تصنع تاريخها ولكنها لا تعلم – كما قيل- دائما أيّ تاريخ تصنع، بحكم جدلية الوعي واللاوعي، والحرية والحتمية في تاريخ الانسانية قاطبة !

والحق أن المطالب العالية التي رفعتها ثورة شباب مدرسة الجمهورية ما كان لها-موضوعيا- أن تلقى الترحيب الحق من أحد. فأي بلد أوروبي رحب بالثورة الفرنسية؟ فما من بلد عربي يقبل عن طيب خاطر أن تزلزل أركان العطالة التي استولت عليه قرونا، وهيأت – في ذات الوقت- أسباب بقاء حكامه حراسا للتخلف والتبعية. وما من بلد غربي واحد يقبل المخاطرة بمصالحه التي يجنيها من بلد يجدّ حقا في تحقيق ''الشغل والحرية والكرامة الوطنية''، ففي ذلك اعلان حرب على ''عولمة متوحشة'' ينعم فيها خمس البشرية باربعة اخماس ثروة العالم ويقتسم البقية بنسب غير متكافئة ما تبقى. ولأمور كهذه كان لا مفر من أن تلقى ثورة شباب مدرسة الجمهورية، من العنت أشده، ومن الكذب أحمقه، ومن المكر أسفهه. فهل كذب أخرق من ان يقول أحد دعاة فضائيات البيترودولار أن ''الثورة خرجت من تحت ابطه'' أو عمامته ؟ ! وهل مكر اشد من ان يقوم أحدهم خطيبا في القصبة ليقول لحشود المغفلين ان هذه الثورة ''تذكره بفتح مكة على يدي رسول الله''؟ لذلك كان من الطبيعي أن تعرض الثورة نفسها على هؤلاء جميعا تلقائيا فيُعرضون عنها ويكيدون لها كيدا، ويقاومونها بما استطاعوا من ظلمة الفكر وظلم الموقف معا. ولا يحتاج التونسي اليوم الى من يذكره بويلات عشرية الخراب.

II

ذلك ما جعلنا نعتبر بادرة 25 جويلية 2021 بادرة وطنية حتمتها حماية استقلال الوطن، وفرضها واجب الحفاظ على مكاسب دولة الاستقلال. وقلنا يومها– في هذه الصفحة ذاتها –أن'' الأسوأ وراءنا ''، ولكن ''الأصعب أمامنا''. وإنما كان ذلك تقديرا منا أن عوائق التحول الديمقراطي – في ذاتها ولذاتها –متعددة الأسباب، وان كان الإسلام السياسي مسنودا بقوى خارجية أعناها فليس ينبغي نسيان ما يمكن ان نسميه العطالة الحضارية العربية والاسلامية في محيطها المتوسطي الأوروبي المسيحي، حيث استولى الخوف من العقلانية والحرية على الاذهان قرونا، منذ هيرودوت حتى مشارف العصر الحديث.

لذلك كان التبصر بمصاعب التحول الديمقراطي عندنا يدعو الى تجاوز التعاطى السياسي الراهن، في اتجاه الوقوف على أسباب غربة الحرية في التاريخ العربي عامة وفي'' السياسات'' العربية والاسلامية خاصة ؟ فكيف نفسر ضآلة الفلسفة السياسية في تاريخنا الفكري، مقارنة بفيض الانتاج العلمي العالي في الفلك والرياضيات واللسانيات ؟ لماذا رد الفكر السياسي العربي الاسلامي الى مجرد نصائح تقدّم للسلاطين لحفظ سلطانهم على ما جرى عليه الامر مثلا عند الغزالي في ''التبر المسبوك''، والجاحظ في "التاج" والثعالبي في ''اداب الملوك"...؟ كيف نفسر انحياز ابن خلدون للخلافة وهي فكرة فرعونية بابلية ؟ كيف نفسر دفاعه المستميت عن خلفاء قد نحتاج اليوم إلى اعادة النظر في سيرهم ؟ لماذا لم تنشأ الدولة الوطنية الديمقراطية بعد في أي موضع من الأرض العربية؟ كيف نفسر ضعف التراكم في تجاربنا التاريخية، وخاصة اظهار الخلف احتقار ما انجز السلف، على غرار ما فعل ابو المهاجر دينار حين أهان –على ما يقول المراكشي- عقبة ابن نافع وأمر بحرق القيروان، فرد عقبة الصاع صاعين يوم اتيحت له الولاية الثانية على القيروان بتدبر من امير المؤمنين '' معاوية ابن ابي سفيان في كلتا الحالتين ؟

غير ان بؤس السياسة –نظرا وممارسة- في التاريخ العربي لم يكن الا من توابع بؤس العقلانية في ديارنا، حيث بقت مغلوية حيث استولى الفقهاء والمفسرون –بقوة السلطان حينا وباستعداء الجهل أحيانا على الساحة الثقافية سيطرة شبه تامة. ولنا هنا أن نتساءل اليوم عن أسباب غياب تعني الجامعات العربية من المحيط الى الخليج لدراسة مبدعي الحداثة –في بعديها النظري، العلمي منه والفلسفي، والعملي، الاخلاقي منه والساسي؟ واعني بذلك كوبرنيك وغاليلي وديكارت وكبلار ونيوتن...؟ ان تقصير الفكر في البلاد العربية يتجلى في المقاربة الايديولوجية الساذجة احيانا او المقاربة المتحذلقة المخاتلة احيانا اخرى او المناهضة للحداثة عن جهل تام في اغلب الأحيان بردها في الحالات الثلاثة الى ظاهرة ''غربية'' لا شأن لنا بها. وهل من سبيل الى فهم قيم العصر الحديث وسنن زماننا دون ان ننفذ اليها باعتبارها ظاهرة تاريخية ابستيمولوجية ثلاثية الابعاد 1/ علمية: الثورة الفلكية الكوبرنيكية 2/الثورة الفلسفية الديكارتية 3/الثورة السياسية خاصة

في اللحظة الفرنسية. عن الاولى نشأ نظام كوني جديد مركزية الشمس بديلا عن مركزية الارض. وعن الثانية نشأ الأنا أفكر باعتبار حرية التفكير من حقيقة الانسانية فينا. وعن الثالثة نشأ المواطن بديلا عن الرعية؟ فأين نحن من كل هذا ؟ أين نحن من العقلانية العلمية الحديثة ؟ اين نحن من الحرية لا بصفتها ما يناقض العبودية بل بصفتها كنه الانسان ذاته حتى لو تعقلناه خارج المسألة الدينية؟

وهل يمكن الانتصار للحرية والعقلانية دون "توبة" حقيقية عما قاساه الفكر عندنا مثلما عند غيرنا من ويلات ؟ فبمجرد ان اصبحت المسيحية الايديولوجيا الرسمية للامبراطورية الرومانية حتى جعلت القمع الفكري من شروط قيامها نظاما كونيا سياسيا وعقديا، ذلك ان الايديولوجيا الدينية – كان امرها ما كان –لا يستقيم الا بأن تكون "دينا ودنيا"... فتاريخ الكنيسة الكاثوليكية خاصة هو تاريخ القمع منذ "مجمع نقية" بتركيا (سنة 325/324) حتى القرن الثامن عشر. ويكفي التذكير بما لحق الشهيدة هيباطيا Hypathia الاسكندرية، تلك العالمة التي بلغت–على يدي والدها – من العلم الرياضي والفلكي أعلى درجاته وحازت من الجمال ارقى تجلياته، من الضر والوحشية حتى ندرك مدى فظاعة موقف "رجال الدين" في المسحية من الفكر الحر، وهو الموقف الذي تواصل حتى العصر الحديث، اذ منع ابن رشد خاصة والفكر العربي عامة منذ 1277 من قبل البابا ونفذ المنع في السوربون من قبل اسقف باريس تامبييه Tempier. وحرق برونو وسجن غاليلي حتى العمى والموت ومنع نشر كتابات ديكارت وشرد حتى وفاته مسموما كما يظن بعضهم، وعاش روسو مطاردا طول حياته تنتظره المحاكمات حيثما حل في اوروبا الشاسعة. ..

غير ان الجرائم ضد الفكر الحر عندنا لا تقل وحشية عما كان عليه عند غيرنا. الا أن أوروبا تجاوزت –إلى حد كبير تلك المرحلة البُهيمية. اما نحن فما زلنا نكفر ونعذب ونمنع الفكر الحر في دارنا! فلماذا احرق الفقهاء كتب بن رشد ؟ و لماذا اعتبروا بن سينا "إمام الملحدين"؟ لماذا فرض المعري على نفسه ان يكون "رهين المحبسين"؟ لماذا قتل ابن المقفع شر قتلة وهو شاب في اوج العطاء الفكري ؟ لماذا اغتيل الطبري أشهر المؤرخين والمفسرين في وضح النهار؟ لماذا يرشح الفقيه او المفسر نفسه ليكون رقيبا على الضمائر، فيكفّر ويحلل ويحرّم مثلما نجد ذلك عند الغزالي في كتاب "فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة" مثلا او في موقفه من الباطنية او كما هو الشأن عند ابن حزم الاندلسي خاصة في الجزء الثالث من كتاب "الفصل" ؟ وهل من طمع في الديمقراطية بما توجب من التزام بالعقلانية، كما هي عند كبار علماء العصر الحديث، ومن انتصار للحرية في جميع أبعاها، سبيل دون موقف نقدي لهذا التراث البائس ؟ واعادة النظر في هذا التاريخ الحزين ؟ هل يمكن ان يكون لنا نصيب في الديمقراطية دون ثورة ثقافية وتربوية شاملة معمقة تجعلنا مثل ندرك الفروق بين ما كان يجري "بدار الندوة" في مكة قبل الاسلام، وما جرى–حسب المؤرخين– في سقيفة بني ساعدة بالمدينة ؟! ولا اخال مصاعبنا السياسية اليوم الا واقعة في ذات الخط الذي يصل امسنا في سقيفة بني ساعدة بيومنا في مؤسسات الدول العربية عامة.

III

ولعل ما سبق ان ذكرنا يفسر ولو جزئيا – كيف أن ما سميناه "الأصعب" غداة بادرة 25 جويلية التاريخية، كاد يقع – رغم صحة العزم وحسن النوايا – على ذات الخط الذي سار عليه"الاسوأ" قبل ذلك التاريخ. لقد مررنا فعلا من مرحلة تخريب البلاد وانهاك الدولة الوطنية على ايدي رهط قالوا انهم "يخافون الله" فاذا هم أكذب البرية، الى مرحلة ارادة حفظ الوطن واسترجاع هيبة الدولة، وتطهيرها من الفساد. وقد سعدنا لذلك وفرحنا به مثلما فرحنا ايام الاستقلال خلال خمسينات القرن الماضي. غير ان مرورنا من حكم اهل" التقوى" الى حكم "اليد النظيفة " لم يحقق لنا شيئا مما تأمّلنا –على المنهج السليم وبالقدر الكافي الذي يرضي وطنا جريحا لا نصير له الا شعبه. فما من شعار رفعه رئيس الجمهورية يمكن رده ردا نزيها : فهل يمكن ان ننكر عليه محاربة الفساد ؟ وهل يمكن ان نتجاوز عن سيئات المسيء دون محاسبة ؟ ومن منا يرضى ان تبقى اموالنا المنهوبة في الداخل والخارج ونحن في امس الحاجة اليها؟ وهل نستجيز هدم المرفق العمومي عامة ومدرسة الجمهورية خاصة يملئهما بحاملي الشهادات المزورة ؟ ذلك واجب وطني ليس للدولة إلا أن تقوم له..

غير أن المنهج الميداني المتبع حتى الان في الاستجابة لذلك الواجب لا يعدنا بخير كثير لسبب اساسي اسمه الانفراد بالحكم. ومعلوم لدى حكماء الدنيا أن الحكم المطلق مفسدة مطلقة. لذلك كان الامر يوجب –اولا– توفر قضاء يتمتع بمزيد الاستقلالية ويستوفي جميع شروط النزاهة حتى يكون بحق فوق جميع الشبهات، ويسفه في وضح النهار جميع المتقولين عليه، وهو يلزم– ثانيا – بفتح حوار مجتمعي تدعى اليه كافة القوى الوطنية الفاعلة بدءا باتحاد الشغل واتحاد الصناعيين والفلاحة وتنظيمات المجتمع المدني الحزبية وغير الحزبية، ولا يستثنى منه الا من استثنى نفسه، او استثناه حكم قضائي نهائي. وضمانا لنجاعة هذا التمشي المقترح، كان لزاما علينا –ثالثا – رفع كافة القيود المجحفة في الحق المقدس في حرية التفكير والتعبير معا، الا ما كان من الضوابط الأخلاقية والالتزام بأعراف المهنة الصحافية او الثقافية. فمن اضاع شيئا، عليه دائما ان يطمع في استرداده، اما من اضاع حريته فقد اضاع كل شيء معها. ..وما أعسر أن يكون الإنسان حرا !

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

إقالة وزيري الداخلية والشؤون الاجتماعية:

نهاية مرحلة وبداية أخرى

كوثر زنطور

لا تزال اقالة وزيري الداخلية والشؤون الاجتماعية التي اعلنت عنها رئاسة الجمهورية في ساعة متاخرة من يوم السبت الماضي، محور النقاشات والتساؤلات عن اسبابها وخفاياها. فكمال الفقي ومالك الزاهي ليسا اي وزيرين، ولا يمكن ان تغيب في قراءة الاقالة، علاقة القرب والصداقة التي تجمعهما برئيس الجمهورية قيس سعيد، فباستثناء انهما يمثلان الوزيرين الوحيدين من جماعة "المشروع" في التركيبة الحكومية ،فان الاول كالثاني من "اوفياء الطريق"، وممن رافقوا "الاستاذ" في حملته التفسيرية، وبعدها في مختلف المحطات خلال الفترة الرئاسية .

قيس سعيد يعلم الوزيرين بقرار إقالتهما

يوم السبت المنقضي، وبينما كان الاهتمام متركزا على مقابلة نهائي كاس رابطة الابطال الافريقية لكرة القدم بين الترجي الرياضي التونسي والاهلي المصري، نشرت الصفحة الرسمية لرئاسة الجمهورية على موقع التواصل الاجتماعي "فايسبوك"، بلاغا اعلنت فيه عن انهاء تكليف وزير الداخلية كمال الفقي وتعيين خالد النوري والي اريانة خلفا له، وانهاء تكليف وزير الشؤون الاجتماعية مالك الزاهي وتعيين كمال المدوري خلفا له بالاضافة الى احداث كتابة دولة لدى وزير الداخلية للامن الوطني عين على رأسها سفيان بن الصادق. .

فاجأت الاقالة الجميع، ويبدو ان وقعها كان اكبر لدى المعنيين المباشرين بها . تقول الرواية المتداولة ان الثنائي تلقى اتصالا للحضور "العاجل" لاجتماع سيعقد مع الرئيس قيس سعيد، دون اية تفاصيل عن جدول اعماله وانهما علما بانهاء التكليف او الاعفاء من سعيد وبحضور رئيس الحكومة احمد الحشاني . مقربون منهما يؤكدون ان الفقي والزاهي يتساءلان من جهتهما عن اسبابها خصوص انه لم تسبقها فترة برود تهيء في العادة المسؤول لقرب موعد المغادرة . ومهما كان من حال فان ابعاد الوزيرين السياسيين الوحيدين في التركيبة الحكومية، من " جماعة المشروع" ليس بالحدث العابر في " المسار"، فهو على الارجح نهاية مرحلة وبداية اخرى.

من هم ؟

اصبح لـ"جماعة المشروع" موقع وقدم في السلطة بعد قرارات 5 جويلية 2021، كان توفيق شرف الدين وزير الداخلية السابق، اول من " توزر" من ضمن عشرات الناشطين في تنسيقيات الحملات التفسيرية ولم يخف من رافقوا " الاستاذ " في الحملة استياءهم من ابعادهم، ومن التعويل على شخصيات من " الخارج" لادارة شؤون الدولة. اكثر من ذلك اتُهم سعيد في الفترة الاولى من عهدته الرئاسية، بادارة الظهر لمن رافقوه في النشاط الميداني وممن كانوا " العضد" في سنوات ما قبل 2019.

بالتوازي مع الاستياء، تنقل شهادات عن ناشطين انهم كان عرضة للاستهداف بسبب نشاطهم في التنسيقيات ، ولم يتغير الامر الا بعد " خيانات" عديدة تعرض لها قيس سعيد، على غرار انقلاب رئيس الحكومة الاسبق هشام المشيشي وتحالفه السريع مع حزبي النهضة وقلب تونس ثم مديرة الديوان الرئاسي السابقة نادية عكاشة " الفارة" حسب التوصيف القضائي ومحل اتهام في قضية تامر على امن الدولة. . فرضت تلك التجارب واقعا جديدا في السلطة واعادت البوصلة نحو مجموعة " التنسيقيات"، وفتح لهم سعيد ابواب السلطة من مختلف مراكزها بعنوان " خلق نخبة سياسية جديدة" .

جعل ذلك سعيد عرضة لانتقادات واسعة، بسبب عودة المحسوبية التي كان هو من أشد معارضيها ورافضيها لكنه انتهى في الاخير بتعيين مقربين منه في مواقع القرار، بما ساهم في اعادة انتاج نفس المعارك التي شهدتها منظومات الحكم السابقة، على غرار الصراع بين شرف الدين وعكاشة و ظهور "اجنحة " في الحكم تقول روايات انه كان لـ"العائلة" دور في دعم هذا الطرف على حساب الاخر (تسريبات نادية عكاشة)، وبعدها في صراع خفي بين الثلاثي شرف الدين والزاهي والفقي على رئاسة الحكومة تحول الى سباق استقطاب في الكواليس من خلال ملف التعيينات و" الامتيازات" ومحاولات خلق "مجموعات ضغط ومساندة" في معركة من يكون الرجل الثاني في النظام .

لكن مع ذلك، لم يخرج اي ممن رافقوا سعيد من "جماعة التنسيقات" او "المفسرين" عن خط الدعم، وحافظوا على الرغم من قلة التواصل واللقاءات على مساندة مطلقة لـ" الاستاذ" وانخراط تام في المشروع . يقول جلهم ان القاعدة هي " ارضية الالتقاء الاولى" بعناوينها الكبرى التي يعتبرون ان سعيد حافظ عليها، وان مختلف القرارات الصادرة هي تجسيد لتلك الارضية . فلا تجد في نقاشات المجموعات الاولى اي تغيير في الموقف من الرئيس في شخصه، او اي انتقاد لمختلف القرارات والمواقف ما قبل وما بعد 25 جويلية .

بقيت مجموعة الاوفياء على حالها، وتوسعت تدريجيا حتى اصبحت مركز ثقل، ومطامح الباحثين عن التقرب للسلطة، وباتت لجلهم " حظوة " ومكانة وحضور وقول وحتى فعل . قد تسمع قصص عن تدخلات ووساطات، وحتى جلسات ولقاءات هامة تعقد هنا وهناك، يتبرأ منها البعض ويقول ان " كل من يقوم بمثل هذه الافعال لا علاقة له بالمسار " و" منتحلو صفة يحاولون تشويه المشروع وضرب رئيس الجمهورية".

الا ان شكايات عديدة تطال بعض " المفسرين" خاصة من عينوا ومن لهم موقع في الحكم ، هناك من اتهم بالتحرش (من الغريب السكوت عن مثل هذه الاتهامات)، وعدة انحرافات اخرى ينتظر ان يبت فيه الرئيس الذي لا حصانة معه، مثلما تؤكد ذلك عدة وقائع، على غرار احالات على التحقيق وايقافات لمسؤولين محسوبين على المسار وعينوا من قبل الرئيس شخصيا.

مرحلة جديدة

من المؤكد ان اقالة الوزيرين كمال الفقي ومالك الزاهي هي نهاية لمرحلة " مجموعة المشروع" وبداية مرحلة جديدة استعدادا للانتخابات الرئاسية القادمة. سياسيا، اوفى سعيد بجميع تعهداته او التصورات التي تجمّع حولها "المفسرون " في ما يعرف بمشروع " البناء الكبير" ، من البناء القاعدي الى الشركات الاهلية والصلح الجزائي وتهميش الاجسام الوسيطة، هذا المشروع الموجه الى الامة جمعاء، تحول الى تصور للدولة .

هناك من يقول ان الثنائي المقال قد يكلف بادارة الحملة الانتخابية الرئاسية، وهو امر شبه مستحيل لشخصية مثل شخصية قيس سعيد التي خاضت انتخابات 2019 بشكل مغاير ورفضت التمويل العمومي، ورفض تنظيم حملة تقليدية رئاسية مثل بقية المرشحين، وهناك من يتحدث ايضا عن " صراع اجنحة" داخل السلطة انتهى لصالح " الاجهزة"، وهناك من يرى ايضا ان تقييما لعمل الوزيرين كان وراء قرار ابعادهما بسبب الفشل في ادارة ملفات حارقة خاصة بالنسبة لوزير الداخلية .

لا يبدو ان مثل هذه الاسباب كانت وراء قرار الاقالة ولا يبدو ايضا ان وراءها خلافات مع رئيس الجمهورية قيس سعيد، كما لا تبدو انها جاءت كحل مثلا لانهاء صراع ثنائي بين الوزيرين عبر اقالتهما الاثنين معا. قد يكون بدء التحضير للموعد الانتخابي للسباق الرئاسي وراء الاقالة، ضمن ترتيبات تتعلق بالتصور الذي سيخوض من منطلقه سعيد هذا الاستحقاق، ضمن مشروع جديد يتجاوز " مشروع البناء القاعدي" الذي حقق كل اهدافه، حسب داعميه على الاقل من حيث وضع اهم مرتكزاته التشريعية على السكة.

في الواقع، لم يكن لمجموعة المفسرين او "جماعة المشروع" اي دور في نجاح قيس سعيد في الفوز بالانتخابات الرئاسية لعام 2019، كما لم يكن لهم دور في مشواره الرئاسي، ولم يُشهد لاي ممن تقلدوا مناصب او تصدروا المشهد الاعلامي كفاءة او نجاح على اي نطاق كان، ولو لا علاقة القرب التي تجمعهما برئيس الجمهورية قيس سعيد لما تساءل احد عن اسباب الاقالة التي لم تترك الا تاكيدا واحدا: " لا صديق دائم لقيس سعيد " و" قرار التخلي بالنسبة اليه جاهز لا اعتبارات شخصية فيه مهما كان المعني قريبا منه لان احكام السلطة اهم وابقى".

في إخلالات المرسوم عدد 54 وتحصيناته!

لمياء ناجي - جامعية وناشطة في المجتمع المدني
أحمد صواب - محام وناشط في المجتمع المدني

لابد من التذكير بان المرسوم عدد 54 المؤرخ في 13 سبتمبر 2022 والمتعلق بمكافحة الجرائم المتصلة بأنظمة المعلومات والاتصال ياتي في اطار جملة من النصوص التي اتخذت بالاستناد على الامر عدد 117 المؤرخ في 22 سبتمبر 2021 والمتعلق بالتدابير الاستثنائية والذي جمع كل السلط بين يدي رئيس الجمهورية في خرق لدستور 27 جانفي 2014 الذي احاط حالة الاستثناء بجملة من الشروط وذلك بهدف المحافظة على المؤسسات التي تعتبر ضمانة ضد الانحراف الى نظام استبدادي يعصف بالحقوق والحريات.

نص يضرب الحقوق والحريات

سمي هذا النص "مرسوما" في حين انه لايستجيب لتعريف المرسوم سواء في ظل دستور (نصوص يتخذها استثنائيا رئيس السلطة التنفيذية في مجال القوانين وهي مشروطة بالمصادقة اللاحقة عليها من قبل الجهاز التشريعي الذي يصبغها في حال قبول المصادقة بالصبغة التشريعية) او في غياب دستور (نصوص تصدر عن رئيس السلطة التنفيذية خارج المجال التنفيذي ولا تستوجب ضرورة المصادقة عليها الا انها تخضع للرقابة القضائية)، ذلك انه يندرج في اطار الفصل الرابع من الامر عدد 117 المتعلق بتدابير استثنائية والذي منح السلطة التشريعية لرئيس الجمهورية في شكل مراسيم لا تقبل الطعن بالالغاء1.

ينص المرسوم عدد 54 المتعلق بمكافحة الجرائم المتصلة بأنظمة المعلومات والاتصال وخاصة الفصل 24 منه على انه «يعاقب بالسجن مدة خمسة أعوام وبخطية قدرها خمسون الف دينار كل من تعمد استعمال شبكات وأنظمة معلومات واتصال لانتاج او ترويج او نشر او ارسال او اعداد اخبار او بيانات او اشاعات كاذبة او وثائق مصطنعة او مزورة او منسوبة كذبا للغير او الاضرار بالامن العام او الدفاع الوطني او بث الرعب بين السكان. ويعاقب بنفس العقوبات المقررة بالفقرة الأولى كل من يتعمد استعمال أنظمة معلومات لنشر او إشاعة اخبار او وثائق مصطنعة او مزورة او بيانات تتضمن معطيات شخصية او نسبة أمور غير حقيقية بهدف التشهير بالغير او تشويه سمعته او الاضرار به ماديا او معنويا او التحريض على الاعتداء عليه او الحث على خطاب الكراهية. وتضاعف العقوبات المقررة اذا كان الشخص المستهدف موظفا عموميا او شبهه».

يعتبر المرسوم عدد 54 نصا فادح اللاشرعية وخارقا للمعاهدات الدولية وبديهيّ اللادستورية اذ اولا هو يخالف المادة 19 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الذي صادقت عليه تونس منذ 1968 واتفاقية مجلس اوربا المتعلقة بالجريمة الالكترونية المعروفة باتفاقية بودابست (تراجع مداولات مجلس نواب الشعب للمصادقة على قانون الموافقة على المعاهدة)، كما يخالف دستور 2022 وخاصة احكام الفصل22 الذي ينص على ضمان الدولة لمواطنيها الحقوق والحريات الفردية والعامة، كما يخرق الفصل 30 منه الذي ينص على الحق في سرية المراسلات والاتصالات (عبارات مطلقة تستوعب الواتساب وما شابهه من وسائل الاتصال)، واحكام الفصل 37 المتعلق بحرية الراي والفكر والتعبير والاعلام والنشر، واحكام الفصل 38 المتعلق بالحق في الاعلام والحق في المعلومة والفصل 55، وهو الاهم في نظرنا، والمتعلق بضوابط الحقوق والحريات الذي يفرض ان تكون القيود بقانون ولضرورة يقتضيها نظام ديمقراطي وبهدف حماية حقوق الغير او لمقتضيات الامن العام او الدفاع الوطني او الصحة العامة وان لاتمس هذه القيود بجوهر الحقوق والحريات المضمونة بالدستور وان تكون مبررة باهدافها متناسبة مع دواعيها، بما يعني بالاساس وجوب احترام ثلاثة ضوابط وهي الضرورة والتناسب وجوهر الحق والحرية.

فبالاضافة الى طبيعة النص البعيدة كل البعد عن النص التشريعي وظروف اتخاذه، اقر "المرسوم" عقوبات سالبة للحرية لاتتناسب مع "الجرائم المرتكبة" مما يفرغ الفصل 55 من الدستور من محتواه. كما يتعارض مع مبدا شرعية الجرائم والعقوبات فمبدا الشرعية الجزائية كمبدا اساسي وتاسيسي يفترض اولا ضرورة العقوبة اذ اعتبر مونتسكيو ان اي عقوبة لاتستجيب لضرورة قصوى تصبح جائرة وبذلك يكون المرسوم ترجمة لغياب كل صلة بين حق المجتمع في العقاب ومبدا الضرورة. فحق العقاب لايكون مشروعا الا اذا كان ضروريا لحماية الامن العام2. فالتنصيص على عقوبة سجنية في جرائم الثلب والشتم تفتقر للتناسب هذا عدا ثقل مدة العقوبة، اذ نص الفصل 24 على عقوبة مضاعفة كلما كانت الضحية موظفا عموميا او شبهه، الأمر الذي يعزز خطورة هذا المرسوم الذي يضرب مبدأ المساواة بين المواطنين والمواطنات أمام القانون.

ثانيا يفترض مبدا الشرعية الجزائية ان يكون النص واضحا ولايكون حمّال اوجه امر يفتح الباب على مصراعيه للاعتباطية وتسليط عقوبات سالبة للحرية لكل من يزعج السلطة السياسية. وبالفعل اصبح المرسوم اداة لضرب حرية الصحافة واسكات الصحفيين وكلّ نفس معارض اذ تعددت الاحالات طبقا للمرسوم عدد 54 لتبلغ اكثر من 40 احالة في ظل ما يشهده القضاء والسلط المضادة من انتهاكات ومساس من استقلاليتها. اما القضاء العدلي، المعني لوحده بتطبيق هذا المرسوم القاتل للحقوق والحريات، فدوره حسب الفصل 55 من دستور 2022 هو ان "يحمي هذه الحقوق والحريات من اي انتهاك"، الا ان الوضع السياسي والمراسيم المتخذه على اساس الامر 117 خاصة المتعلقة بالقضاء اتت على استقلالية القضاة، فالقضاء مرّ من الازمة الى النكسة وصولا الى النكبة، وفقد ضماناته الهيكلية والوظيفية والنقابية، ومما زاد في اضعافه مواقف هيئة المحامين التي كانت ضمانة للقضاة المستقلين، وذلك على الاقل بتسجيل القضاة المعزولين المتحصلين على احكام في توقيف تنفيذ قرارات عزلهم. وادى هذا الوضع الى قساوة ومغالاة القضاة في تطبيق مرسوم قاس بطبعه، مع الاعراض عن مناقشة ما تمسّك به الدفاع بعدم الدستورية البديهية لهذا المرسوم الذي بدا ينعته الشباب في الجدران بعمار 54، وزاد البين على الحكم المرجعي للجلسة العامة للمحكمة الادارية في نوفمبر 2013 والتي اقرت انه وان كانت وظيفة القاضي هي فصل النزاعات وحسن تطبيق القانون فيها، فان واجبه يحتّم عليه الامتناع عن تطبيق القانون اذا اثيرت المسالة من الاطراف، وكان القانون مخالفا للمادة الدستورية العامة وللمعاهدات الدولية، ولو في غياب الدستور وخاصة في حالة غياب المحكمة الدستورية. وبحيث نكون قد ابتعدنا بعقود عن دولة القانون التي وردت في توطئة دستور قيس سعيد.

تحصين على تحصين

تجدر الاشارة اولا الى ان تحصين المراسيم من الالغاء لم يمنع المحكمة الادارية من التصدي عن طريق الدفع لعدم شرعية المراسيم المتخذة على أساس الفصلين 4 و5 من الامر عدد 117 اذ اعتبرت في قرار في مادة توقيف التنفيذ صادر بتاريخ 24 مارس 2022 في القضية عدد 6200465 عن رئيس الدائرة الابتدائية للمحكمة الإدارية بالمنستير ان المراسيم الصادرة تطبيقا للفصل 4 من الامر الرئاسي المتعلق بتدابير استثنائية ينبغي ان تكون متفقة مع الحقوق والحريات المكفولة بمقتضى البابين الأول والثاني من الدستور وبمقتضى المعاهدات المصادق عليها، واعتبرت ان تحصين هذه المراسيم من الطعن بدعوى تجاوز السلطة لايحول دون ما لها من حق في بسط رقابة الدستورية والمعاهداتية عليها في نطاق استثناء اللاشرعية بمناسبة الطعن في غيرها من المقررات3. هذا الموقف الذي يحسب للمحكمة الادارية كان من المفروض ان يحثّ المشرع، في غياب قاض دستوري، على استرجاع صلاحيته وعلى التعجيل في مراجعة مثل هذه النصوص الخانقة للحريات والمخالفة للدستور خاصة والبلاد على ابواب انتخابات، كما بلغ الى مسامعنا، انتخابات ان وقع تحديد موعدها من المفروض ان تكون تنافسية وديمقراطية. الاّ ان الامر كان على عكس ذلك.

اخيرا، وقع تقديم مبادرة بتعديل المرسوم عدد 54 من قبل مجموعة من النواب الا ان مكتب المجلس ماطل في مرحلة اولى ثم بعد اعادة المطالبة بعرض المقترح على اللجنة البرلمانية قرّر المكتب باغلبية 10 ضد 1 عدم تمرير المقترح وارجاء النظر فيه بعد الانتخابات الرئاسية، في حين ان مكتب المجلس ليس له سلطة تقديرية في ارجاء النظر في المقترح او المشروع وذلك بصريح الفصل 123 من النظام الداخلي لمجلس نواب الشعب المؤرخ في 28 افريل 2023 الذي يفرض على مكتب المجلس ان يحيل مقترحات ومشاريع القوانين الى اللجنة المختصة في اجل خمسة عشر يوما من تاريخ ايداعها. اذ ينصّ الفصل 123 على انه "على مكتب المجلس ان يحيل مقترحات ومشاريع القوانين الى اللجنة المختصة في اجل خمسة عشر يوما من تاريخ ايداعها. ويأذن بتعميمها على جميع النواب ونشرها على الموقع الرسمي للمجلس".

كان على المجلس ان يسرع في استرجاع مجاله ذلك انه من الضروري ان تنظم الحقوق والحريات بقوانين لا بنصوص تفرغ الحقوق من جوهرها. اذ يعتبر تدخّل المشرع من قبيل الضرورة القصوى خاصة ابان الانتخابات، ذلك ان الابقاء على مثل هذه النصوص السالبة للحرية التي تستعمل لاصطياد كل نفس معارض وغياب الراي والراي المخالف والقضاء على التعددية والسلط المضادة يفرغ الانتخابات من جوهرها ويؤكد حقيقة واحدة وهي سلب الارادة الشعبية سلطة القرار والمضي من نظام تسلطي الى دولة شمولية تقضي على التعددية على المستوى السياسي والاجتماعي.

---

1 - ينص الفصل 7 من الامر الرئاسي عدد 117 لسنة 2021 المؤرخ في 22 سبتمبر 2021 والمتعلق بالتدابير الاستثنائية على انه «لا تقبل المراسيم الطعن بالالغاء».

2 - Lamia NEJI, « Le problème de la qualité de la loi », in. La loi, Tunis, ALATRACH EDITIONS, 2022, pp. 145-186, p. 152.

3 - المحكمة الإدارية، قرار في مادة توقيف التنفيذ في القضية عدد 6200461، بتاريخ 23 مارس 2022 (غير منشور)

صيحة فزع: هل نحن شعب متسامح؟

بقلم : خالد الكريشي

هب جدلا - على سبيل التخيل لا التمني - لو انصفت الجغرافيا تونس ولم تطبق عليها قوانينها الجامدة لتحل محل دولة بولونيا تحدها شرقا اوكرانيا، لتتماهى مع قانون التاريخ المتحرك تزامنا مع الحرب الروسية الاوكرانية وتدفق اللاجئين الاوكرانيين ذوي البشرة البيضاء على تونس رجالا ونساء، زرافات ووحدانا ليجدوا فيها مستقرا الى حين. فكيف سيتعامل معهم التونسيون؟ هل سيتعاملون معهم مثلما يتعاملون مع المهاجرين الافارقة ذوي البشرة السوداء ؟

لنبتعد قليلا عن الخيال القافز على الجغرافيا والتاريخ ونقترب اكثر من الماضي القريب. ألم يستقبل التونسيون اشقاءهم الليبيين ابان الحرب الاهلية /الأطلسية على ليبيا وفتحوا لهم قلوبهم قبل بيوتهم ؟ ألم تُقم المنظمات الدولية المعنية بإغاثة اللاجئين مراكز ايواء للافارقة القادمين من دول جنوب الصحراء واكثرهم من العمال على الاراضي التونسية واشهرها مركز الشوشة؟ وتمت كل العمليات بأمان وسلام دون تسجيل أي حوادث عنصرية الى ان وضعت الحرب في ليبيا أوزارها وعاد الجميع الى مواقعهم السابقة وتسهيل عودة المهاجرين الافارقة الى بلدانهم أو ليبيا حسب رغبتهم، فماذا تغير بعد مرور اكثر من عشر سنوات لنصل الى ما نحن عليه اليوم من حملات عنصرية تستهدف الغير المختلف عنا سواء كان تونسيا أم اجنبيا على أساس لون البشرة او اللغة / اللهجة أو العرق أو الدين أو الجهة... وصلت الى حد قول امام من على منبر المسجد ::" اللهم عليك باليهود والنصارى ..واللهم اشف المسلمين .."؟ وماذا سيخسر لو قال "اللهم اشف الجميع" بدلا من الدعوة لشفاء المسلمين فقط؟! أوَليست ديانة بعض التونسيين المسيحية واليهودية ؟ وبعضهم أكثر نصرة وانتصارا للقضية الفلسطينية من بعض المسلمين !

ما عاشته تونس وتعيشه منذ مدة اعاد طرح هذا السؤال الاشكالي وبقوة مما شكل هزة نفسية عميقة للمجتمع وكأنه يعيش "حربا اهلية " غير معلنة، حرب الكل ضد الكل، وجدت صداها الواقعي على مواقع التواصل الاجتماعي وشملت كل القطاعات دون استثناء وتحول أغلب المجتمع الافتراضي الى مجتمع هوبزي "الانسان ذئب لاخيه الانسان".

غابت قيم التسامح والاخاء والحب وقبول الآخر المختلف عنك دينيا وعرقيا ولغويا ومناطقيا... وحل محلها الاقصاء والحقد ونفي الآخر والشماتة في مرضه وموته وسجنه... ومن بهذه الصفات ليس مريضا نفسيا ...لنسكن جميعا داخل اسوار مستشفى كبير للامراض العقلية..

ورغم تدخل المشرع التونسي وإصدار القانون عدد 50 المؤرخ في 23 اكتوبر 2018 والمتعلق بالقضاء على كل أشكال التمييز العنصري، فقد انقسمت تونس الى فسطاطين من هم داخل السور ومن هم خارجه. ورغم غياب التعددية الدينية والعرقية والطائفية والمذهبية واللغوية في المجتمع التونسي فقد صار الاستثناء هو القاعدة.

المسألة/ المأساة تجاوزت طبيعة الانسان وفطرته والدين بل اضحى أحيانا المتحدثون باسمه جزءا من المشكل وليسوا جزءا من الحل .. فكان لا بد من تدخل القانون لحماية المجتمع من الانهيار القيمي وأخلقة العيش المشترك.

للأسف لم اعثر على أية دراسة علمية تجيب على هذا السؤال / الاشكالي : هل نحن شعب متسامح مع الغير المختلف عنا ؟ واذا تكلم صوت العلم صمتت بقية الاصوات مما دفع بالمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) لأن تعلن عام 1995 عاما للتسامح، وتحديد يوم السادس عشر من نوفمبر من كل عام عاما له، وإعلان المبادئ بشأن التسامح الذي جاء فيه "إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد وهو الوئام في سياق الاختلاف، وليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا. والتسامح، هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، والتسامح يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب".

المسألة/ المأساة تجاوزت طبيعة الانسان وفطرته وتجاوزت الدين بل اضحى أحيانا المتحدثون باسمه جزءا من المشكل وليسوا جزءا من الحل ..فكان لا بد من تدخل القانون لحماية المجتمع من الانهيار القيمي واخلقة العيش المشترك.

فالدستور هو عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم لضمان العيش المشترك بين المواطنين طبقا لتشريعات قانونية تضبط الممارسة السياسية بصفتها فن تفعيل الأخلاق في الواقع لتضاف إليها أخلقة الفضاء الافتراضي وهو ما عمل عليه المرسوم عدد 54 الصادر في سبتمبر 2022. وقد جاء في فصله الأول ان المرسوم يهدف إلى ضبط الأحكام الرامية إلى التوقّي من الجرائم المتصلة بأنظمة المعلومات والاتصال وزجرها وتلك المتعلقة بجمع الأدلة الإلكترونية الخاصة..." وما رافق ذلك من حملات دعائية وتفسيرية حين صدوره ان المرسوم المذكور سيقضي بمجرد دخوله حيز التنفيذ على الفوضى اللاخلاقية التي يعرفها الفضاء الافتراضي وما رافقها من هتك الاعراض والسب والشتم وترويج الاشاعات وأن مرسوم 54 سيكون سدا منيعا أمام انتقال "الحرب الاهلية الكلامية" من الفضاء الافتراضي الى الفضاء الواقعي .

وكأن المرسوم جاء ليعالج الامراض المزمنة التي تعاني منها الشخصية القاعدية التونسية والتي ذكرها الدكتور منصف وناس في كتابه " الشخصية التونسية... محاولة في فهم الشخصية العربية ": "من الخصائص الكبرى للشخصية القاعدية التونسية، أنها طيّعة ومتقلبة منذ العهد الروماني والبيزنطي لما لحق بها من استعباد وانتكاسة الانتفاضات وشديدة المهادنة وهي إحدى صفات "الواقعية المرّة" وزبونية في علاقتها بالسلطة تنزع نحو تغليب الحل الفردي على حساب الحل الجماعي والبحث عن الخلاص الانتهازي لتصريف شؤونها (الأكتاف) حيث الاستنجاد بصلات القربى والقبيلة والوساطات والمال والوجاهة، فهي توظف الهياكل التقليدية للاحتماء. شخصية شتّامة، لا تواجه ولا تحاور ولا تفاوض ولكنها تعمد إلى تشويه المختلف عنها والاساءة إليه و "تدميره" ولو رمزيا ومن سماتها الغالبة، العنف اللفظي بفضاء المقاهي والملاعب والشوارع، وهي شديدة التذّمر تحتاج لإعادة بناء في مستوى المدرسة و الجامع والجمعية والنقابة والحزب".

فهل حقق المرسوم عدد 54 المراد التشريعي منه ؟ وهل ساهم في معالجة امراض الشخصية القاعدية التونسية والحد من انتقال العدوى؟ وهل مازالت هناك امكانية لتسميته بذلك الاسم؟

التجربة على محك الواقع هي محدد مدى نجاح أي قانون في المهمة التي سن من اجلها اذ يحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من فجور ..واعمال المشرع منزهة عن التزيد والاعتباط فلا يصدر القانون الا بغاية تحقيق نتيجة في الواقع ..والواقع يخبرنا بانه من جملة 38 فصلا من مرسوم 54 لم يعد يذكر ولا يتداول الا الفصل 24 منه حتى اضحى يعرف بمرسوم 24 عوضاً مرسوم 54.

كان الفصل 24 من مرسوم 54 سند الاحالة الوحيد امام القضاء للعشرات من الصحافيين والمحامين والاعلاميين والمدونين والحقوقيين ونشطاء المجتمع المدني..وكان بذلك سيفا مسلطا على رقاب المختلف عن السلطة فكريا وسياسيا ممن لا يسير في ركابها مقابل تواصل حملات التخوين والتشهير وهتك الاعراض والسب والشتم دون محاسبة ولا حسيب او رقيب خاصة اذا كان المستهدف من معارضي السلطة مع ان القانون كالموت لا يستثني أحدا والاخطر هو انخراط البعض من النخبة في حملة الشواء الالكتروني الجماعي ومسايرة الغوغاء في عملية افراغ عقدهم وامراضهم.

وكان تطبيق الفصل 24 من مرسوم 54/24 امام القضاء مختلا شكلا وأصلا ليرتقي الى درجة فضيحة قضائية لا تحترم شروط ومبادئ المحاكمة العادلة وأول هذه المبادئ مبدأ عدم رجعية النص القانوني طبقا للفصل 34 من دستور 2022 والذي نص صراحة على ان :" العقوبة شخصية ولا تكون الا بمقتضى نص قانوني سابق الوضع باستثناء حالة النص الارفق للمتهم". فقد حوكم العديد من الاشخاص من اجل تدوينات ومواقف واراء فكرية قوامها بالسؤال المركزي " ماذا تقصد ب...؟ "- تمت قبل سبتمبر 2022 اخرها محاكمة الاعلامي برهان بسيس والصحفي مراد الزغيدي .

وعلاوة على مخالفة المرسوم 54/24 دستور 2022 وخاصة الفصل 37 منه والذي نص صراحة على ان :" حرية الرأي والفكر والتعبير والنشر والاعلام مضمونة " فقد اضحى بذلك تطبيقه غير دستوري وكان بامكان القضاء عدم اعتماده كسند للادانة بسبب عدم دستوريته خاصة ان الفصل الثاني من نفس المرسوم 54/24 نص على ان:" تلتزم السلط العمومية عند تطبيق أحكام هذا المرسوم بالضمانات الدستورية وبالمعاهدات الدولية والإقليمية والثنائية ذات العلاقة، المصادق عليها من قبل الجمهورية التونسية وبمقتضيات التشريع الوطني في مجالي حقوق الإنسان والحريات وحماية المعطيات الشخصية". وفعلا صادق مجلس نواب الشعب في فيفري 2024 على انضمام تونس الى اتفاقية بودابست لمكافحة الجريمة الألكترونية واضحت بذلك الاتفاقية بصدور الأمر عدد 98 بتاريخ 6 فيفري 2024 قانونا من قوانين الدولة التونسية تتمتع بقيمة اكبر من القانون واقل من الدستور فاحتوت بداخلها المرسوم 54/24 الذي اضحى بذلك في حكم المعدوم لكن الاستثناء التونسي مازال مصرا على صنع الريادة ومعانقة الروعة - التي لا روعة فيها - بمواصلة اعتماد نص معدوم كسند الاحالة والادانة امام القضاء.

الآن هنا .. ألا يشكل المرسوم 54/24 خطرا داهما على المجتمع بوحدته والدولة بوظائفها/ سلطاتها ؟ وعلى السلم الأهلي وتهديد العيش المشترك بين التونسيات والتونسيين ؟! في ظل عدم قيام المشرع/ البرلمان بدوره في حماية الامن القانوني للمجتمع بعد قبره مشروع تنقيح أو الغاء المرسوم 54/24 لما بعد الانتخابات الرئاسية القادمة رغم خوض قلة من نواب الشعب معركة قانونية ضروسا في مواجهة هذا التمشي المخجل من أجل إنقاذ ما يمكن انقاذه.

بعد كل هذا، الا يحق لنا جميعا اطلاق صيحة فزع عالية!؟

في التعميم والخلط

أنس الشابي

جاء في تصريح للعجمي الوريمي أمين عام حركة النهضة قوله: "البعض من المعتقلين السياسيين أصبحوا في حالة احتجاز قسري وبعضهم الآخر مازالوا ينتظرون انتهاء فترة الإيقاف التحفظي... وخروجهم من السجن سيكون بقرار سياسي وبترتيبات سياسيّة، وفي إطار سياسيّ بما أنّهم سُجنوا بسبب مواقفهم ونشاطاتهم السياسية"، مشيرا بذلك إلى الذين تم إيقافهم منذ سنة أو أكثر لأسباب مختلفة بعضها يتعلق بالفساد وبعضها الآخر يهم ملفات قضائية لها علاقة بالإرهاب وصنف آخر تناول بعض الذوات بالإساءة والتشهير وغير ذلك. واللافت للانتباه أن تصريح الأمين العام للحركة تعمّد:

1) التعميم والخلط بين الملفات المعروضة على القضاء ليخلص إلى تصنيفها جميعها بأنّها ملفات سياسيّة والحال أن بعضها خصوصا منها المتعلقة بحركة النهضة تنحصر أساسا في جرائم لا علاقة لها بالحريات السياسية عموما. فالتمويل الأجنبي ليس سياسة بل هو إفساد للحياة السياسية والجمعياتيّة بالبلاد ومنح الجنسية التونسية لمن ثبت تورطهم في ممارسة الإرهاب على المستوى الدولي إضرار بمصالح الدولة وبموقعها ومكانتها في المحافل الدولية. والذي يجب أن نضعه في الاعتبار أن حركة النهضة تلجأ دائما وأبدا إلى التعميم الذي تقصد به التخفي في ثنايا أخطاء الحكم. فخلال فترة حكم الرئيس زين العابدين بن علي رحمه الله وبعد أن ضاق مجال الحريات على الجميع استطاعت الحركة أن تعود إلى الساحة السياسية ضمن مجموعة 18 أكتوبر الداعية إلى العفو التشريعي رغم أنه لا يمكن للعفو أن يشمل جرائمها في باب سويقة وفي غيرها لأنها تندرج ضمن الجرائم المُغلّظة التي

العجمي الوريمي

تستهدف القتل والاغتيال وترويع الآمنين.

2) من نافلة القول أنّ الجرائم التي ينتج عنها إضرار بالوطن لا تعالج سياسيا. وبيان ذلك أن جرائم حركة النهضة انحصرت في بداياتها في تهمة الانتماء لجمعية غير مرخص فيها وهي تهمة تُحفظ حالما تحدث انفراجة سياسية كالتي حدثت بعد السابع من نوفمبر حيث أخليت السجون ومُكنت الحركة من رخصة جريدة واتحاد طلابي وغير ذلك. أمّا بعد جريمة باب سويقة وما حدث في البلاد من اعتداءات طالت الأمنيين والمواطنين فلا دخل له في السياسة لأن الملف أصبح ملفا قضائيا به متضرّرون وضحايا واعتداءات وأدوات لتنفيذ ذلك كقنابل المولوتوف وماء الفرق وغيرهما. والعجمي في تصريحه هذا يخلط عن عمد بين عبير موسي التي لم ترتكب أي فعل يجرّمه القانون وبين الغنوشي الذي يترأس جهازا سريا متهما بالاغتيال ويتلقى تمويلا أجنبيا وذلك بقصد افتكاك السلطة عنوة والتهوين من خطورة جريمة تمس أمن البلاد وتسويتها بمخالفة إن ثبت أن هناك مخالفة.

3) جاء تصريح الوريمي عقب وقفة نظمتها جبهة الخلاص وهي جبهة تكوّنت أساسا للدفاع عن حركة النهضة بعد إيقاف قادتها وبعد الهرج الذي أحدثوه لمواجهة 25 جويلية وما تلاه. وقد استغلت الحركة إيقاف بعض الذوات الأخرى القريبة منها لتوسّع من قاعدتها. وفي تقديري أنه كان على الحكم أن يفرز بدقّة بين الموقوفين بألا يضعهم جميعهم في سلة واحدة حتى لا يختلط الحابل بالنابل وأن يختصر في مدد الإيقاف حتى يشتّتهم ويمنعهم من التوحّد ضدّه. فمن أخطاء بن علي التي تحمّل بنفسه وزرها في ما بعد خلق الخصومات المجانية التي افتعلها المحيطون به حتى يحافظوا على بقائهم بتقديم أنفسهم حراسا للنظام، فكان أن صنعوا معارك لا أساس لها مع الإعلاميين ومع رابطة حقوق الإنسان ومع الحزبيين (الدستوريون والتجمعيون) الذين تم إقصاؤهم من المناصب العليا في الدولة لصالح أفراد العائلة ومع الأحزاب المعارضة العلنية التي انحصر دورها في مساندة ترشح الرئيس رغم أن لكل منها مرشحها الخاص. كلّ ذلك وسّع من دائرة الغضب على السلطة سواء بالمعارضة العلنيّة أو بالاستقالة من الشأن العام وضيّق عدد المساندين الفاعلين لتخلو الساحة للانتهازيين الذين يجدون في أنفسهم الجرأة بصفاقة كاملة لتبرير انتقالهم من حجر إلى آخر. فالحكم الرشيد هو الذي يستهدف جمع الناس حوله وفي نفس الوقت يمنعهم من التجمّع عليه.

خزعبلات سياسية تونسية

الدخول أفواج... والخروج زوز زوز!

منير الفلّاح

الحقيقة الحديث على "المستجدّات" في دوائر المساندات والمساندين لمسار 25/7 ينجّم يُظهر ثانوي ياسر قدّام الشيء الّي صاير في فلسطين من مجازر ومحارق بالمعنى الحرفي... لكن احنا عايشين في تونس وبالتالي كلّ كبيرة وصغيرة تهمّنا والّي باش نحكي فيه اليوم انتم/انتنّ أحرار باش تصنّفوه وين تحبّو...

والخروج هذا ينجّم يكون ضربة وحدة كيف شفنا وقرينا على مواقع التّواصل الإجتماعي، خروج SIGNÉ ومصحوب بإعتذار (والله كيف ما نقوللكم) كيف ما صدر على السيّدتين وفاء الشّاذلي وأحلام الكامرجي،زوز كلّ وحدة منهنّ تعتبر الأخرى أخت ما ولدتهاش أمّها...

شكون ما يتذكّرش "صولات وجولات" الأستاذة وفاء الشّاذلي في البلاتوات الإعلاميّة ودفاعها المستميت على "المسار"... بعد ما كانت لحدّ إنتخابات 2019، الرّئاسيّة، مساندة بنفس الحماس لمرشّح آخر غير قيس سعيّد... أما أختها الغير شقيقة أحلام الكامرجي فكانت قياديّة في حزب سليم الرّياحي وكيف كيف، حتّى لأيّامات لتالي مساندة للرّئيس قيس سعيّد وفجأة ولاو، الزّوز، غير راضيات ويعتذرن للشّعب التّونسي !

خلّينا من التّنبير، في المطلق باهي الواحد يعتذر على حاجة قالها وإلّا عملها لكن التحوّل ب180 درجة في ليلة ونهار وإلاّ أقلّ هو الّي يبعث على التّساؤل باش ما نقولش إستغراب ! توّة السيّدة وفاء الشّاذلي (وكذلك صديقتها أحلام الكامرجي) كانت لحدّ موش بعيد شبه ناطقة رسميّة إستباقيّة لوزارة العدل: تقول فلان باش يتوقّف على كذا أو كذا، أيامات قليلة ويصير الأمر ياخي توّة ولّات تعتذر على أنّها ساهمت في جعل البلاد "سجن كبير"! تي وينو الميزان يا أيّتها السيّدة والمحامية المحترمة؟

فمّة مواقع أخباريّة وصفحات يقولوا أنّ سبب "الدّوران في الحياصة" هو دعوة الاستاذة الشاذلي للمثول أمام القضاء وربّما هي تعمل في حملة إستباقيّة...

على كلّ حال، كان فمّة حاجة تظهر غدوة وبالنّسبة للسّماح حاجة وحدة قعدت في قلبي هي هاك المينة متاع الدّيامونت الّي كانت باش تُغنّي البلاد الكلّ وحتّى قبل ما تولّي معارضة للحكم، ما قالتلناش وين وصلت!

هاذم مثال على الجماعة الّي خرجوا ضربة وحدة (لحدّ هذي ساعة، شكون يعرف)، فمّة الّي يبداوا يتسرسبوا بالشويّة بالشويّة ويستنّاو "فرصة مناسبة" باش يعبّروا على عدم رضا أو إمتعاض كيف النوّاب والأحزاب الّي يتقلّقوا مثلا من مرسوم كذا أو يتبرّموا من عدم الإستماع لمقترحاتهم وهاذم عادة ما تلقاهم وبسرعة البرق يؤكّدوا على مساندتهم للمسار ويلقيوا لومهم الكلّ على"بعض الوزراء والوزيرات"...

وفاء الشاذلي

الطّيف هذا هاوكة خذا منزلة بين المنزلتين وحاضر للقفز يا من هنا يا من غادي وفي كلّ الحالات وحسب رأيي المتواضع ياسر متاع واحد ما يشمّ شيء لا في السّياسة لا غيرها D'AILLEURS باش ينطبق عليهم يوم ما مَثل "يا مبدّل لحية بلحية" وربّي يستر عاقبة الجميع!

وفمّة نوعيّة أخرى، الحقيقة فِقت بيها هالأيّامات، ناس من داخل المنظومة وهنا نقصد من داخل مجلس نوّاب الشّعب الّي تحبّ LE BEURRE ET L'ARGENT DU BEURRE، نفسّرلكم: زوز نائبات محترمات عملوا رسالة لرئيس الحكومة على طريق رئيس المجلس باش يقدّموا مقترح لتسوية ملفّ الأفارقة والمناولة (هذا الّي مكتوب في موضوع المراسلة) يعني النّائبتين المحترمتين يحبّوا يلقاو حلّ للأعراف بتشغيل الأفارقة (على أساس أنّ بقيّة اليد العاملة مستوردة من السويد أو من الصين) تحت شركات (سماوها شركات للخدمات الإفريقيّة) يبدأ تجسيدها من جهة صفاقس تحديدا من العامرة-جبنيانة ! وهذا بعد مؤتمر لرجال الأعمال بالأقاليم الخمسة !

شفتو الطّريزة كيفاش تجيء؟ عضوات مجلس نوّاب يحكيوا على الأقاليم (موش فمّة مجلس للجهات والأقاليم؟) ومؤتمر لرجال الأعمال، الّي حتّى لتوّة ما سمعنا عليهم شيء لا مساندين لا معارضين، وتسوية وضعيّات مرتبطة بتشغيل (قالوا موش هشّ) وكمّلوا رسالتهم رانا ما عندنا حتّى علاقة بمقولات خدّمهم عشرين سنة ومن بعد رحّلهم!

آش باش يعلّق الواحد؟ المهمّ أن هالنّائبتين

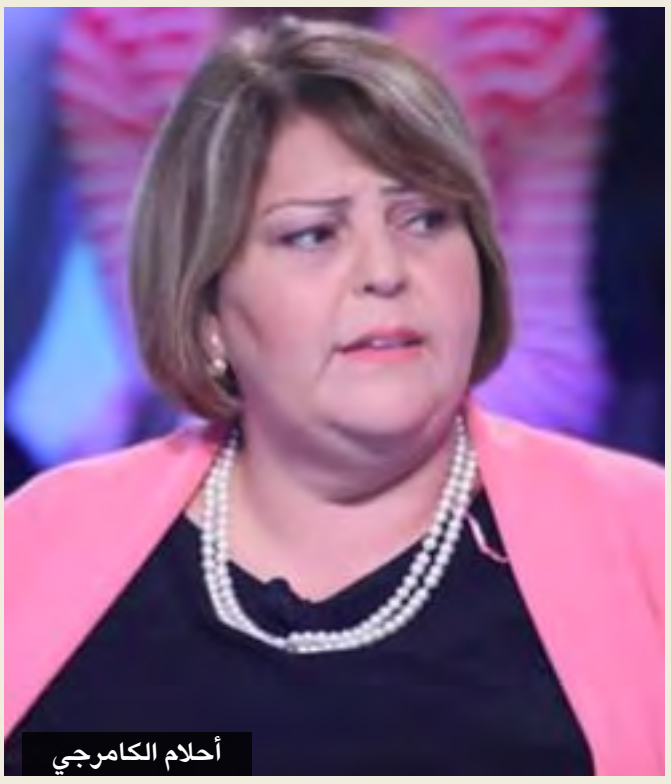
أحلام الكامرجي

ما همش متماهيتين بالضّبط بالضّبط مع مقولة لا عبور لا توطين، لكن بين البينين! يحاولوا يحلّوا مشاكل بعض أرباب العمل، الّي إستانسوا بتشغيل أفارقة جنوب الصّحراء في شتّى المجالات، لا عقود لا والو، وبالنتيجة بأجور زهيدة ومن جهة أخرى يحاولوا يظهروا قدّام الرّأي العام أنّهم يحبّوا حلول "انسانيّة"...

في هالمشهد هذا الكلّ تلقى نائبة شادّة الثّنيّة طول طول! آه ما تفدلكش أمور سيادة وتوطين وكذا ما يحكي معاها حدّ ! صوتها ديمة عالي،حتّى كيف تبدأ تحت العلم العملاق متاع مسيرة السّيادة !النّائبة هذي هي نجمة كلّ المجالس فاطمة المسدّي الّي مشات مباشرة وصوّرت باب الجبلي وقالت أنّ تواجد هاك العدد الكبير من المهاجرين من جنوب الصّحراء بهاك المكان يشكّل خطر أمني وصحّي على الكبار والصّغار وطالبت بإخراجهم من غادي... وفعلا خرّجوهم من غادي لوين؟ للعامرة وجبنيانة!

النّائبة المحترمة فاطمة المسدّي كانت من صديقات وفاء الشّاذلي وأحلام الكامرجي وهاهم الإثنين هبطوا من القطار، ثمّنت تفريغ مركز مدينة صفاقس من المهاجرين وحيّات السيّد وزير الدّاخليّة السّابق سي كمال الفقي لكنّها توّة وبعد اقالته وتعويضه بوالي أريانة تساءلت على علاقة الإقالة بملفّ المهاجرين! الحاصيلو الثّبات باهي والوضوح أبهى وأبهى...

لوكان جيت "جدّي" حتّى شويّة راني تساءلت عن بداية موسم الهجرة لمواقع جديدة.

Auto Fest
édition #2
Du 15 avril au 15 mai
DES REMISES & DES AVANTAGES CLIENTS
ALLANT JUSQU'A
15 000DT
L'occasion de renouveler
votre véhicule
SSANGYONG | KGM
mahindra Rise
GEELY
EN PARTENARIAT
KARCHER
TENZI
www.auto-fest.tn
70 130 130

تقرير لـ «فيتش» :

• أزمة الأدوية في تونس تؤثر على شخص من كل 3 أشخاص
• هجرة شركات الأدوية نحو الجزائر ومصر
• أدوية الأمراض النفسية والعقلية نادرة وغير متاحة

مختار لعماري - أستاذ مبرز في الاقتصاد بكندا/ترجمة : الحبيب القيزاني

في ظلّ الأزمة الاقتصادية التي تشهدها تعوّدت تونس على التعايش مع نقص بعض المواد الغذائية الأساسية وعلى ترشيد استهلاكها (الخبز، الأرزّ، السكر، الحليب...). لكن ها هي أزمة الأدوية تفاجئ بشكل غادر وقاتل الفئات الأكثر هشاشة. أزمة متعدّدة الأبعاد : أسعار في السماء، جودة متدنّية، اتساع رقعة النقص وخصوصا غياب المساواة الاجتماعية في الحصول على الأدوية وفوق الكل بروز طبّ بمستويين، أحدهما للأغنياء والأجانب القادمين للعلاج بتونس، والآخر للفقراء والمحرومين من أبناء البلد. أزمة تضرب في الصميم الطبقة الوسطى والفئات الاجتماعية الهشّة وخاصة ضحايا الأمراض المزمنة فإلى التفاصيل.

تم توثيق هذه الحقائق في تقرير حديث (35 صفحة) نشرته الأسبوع الماضي وكالة فيتش سولوشنز Fitch-solutions اللندنية (الربع الثاني من عام 2024) يبيّن فيه معدّوه أن أزمة الأدوية بتونس تضرب بدرجة أولى مرضى السكري (23 ٪ من السكان الذين تفوق أعمارهم 25 سنة) ثم مرضى السرطان (20 ألف مصاب جديد سنويا) فمرضى السيدا والمصابين بأمراض عقلية. ويضيف التقرير أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحدّ مؤكدا أن أزمة الأدوية تؤثر على شخصين من كل 3 أشخاص.

إضعاف قطاع الأدوية

يتم توريد أربعة أخماس الأدوية المستهلكة في تونس بالعملة الصعبة. ومنذ عام 2011 فقد الدينار نصف قيمته ممّا أدى الى ارتفاع أسعار الأدوية ارتفاعا كبيرا. وقد رأت الحكومات المتعاقبة أزمة الأدوية قادمة دون أن تحرّك ساكنا لاستباقها والاستثمار في الإنتاج الوطني للأدوية.

وفيما تشكو ميزانيات الدولة من نزيف تحدّ الديون المستوطنة من هامش مناورة وزارة الصحة العمومية التي رمت المنديل تاركة المجال لنشاط الخواص وسلسلات التوريد.

ويعاني الميزان التجاري لقطاع الأدوية من عجز فادح اذ تغطي صادراته بالكاد خمس الواردات ويتعمّق العجز التجاري في الادوية بشكل خطير ليناهز 580 مليون دولار سنويا (نحو مليارى دينار) فيما غادرت عدّة شركات أدوية البلاد خلال السنوات الأخيرة مفضّلة الانتصاب بالجزائر أو بمصر أين يشهد سوق الأدوية طفرة في النموّ.

وفي تونس يعاني سوق بيع الأدوية من الانكماش نتيجة غياب الاستثمار وعدم استقرار الوضع الاقتصادي العام ولا يمكن للعرض أن يواكب طلبا على الادوية يتزايد حجما وقيمة.

الأسعار تلتهب

تشهد أسعار الأدوية بتونس سنويا ارتفاعا يناهز 4.5 ٪ ويخصّص التونسي كل عام في المتوسط ميزانية بـ 300 دينار لشراء الادوية وهو ما يعادل تقريبا الأجر الفلاحي الأدنى لربّ عائلة. وحسب توقعاتها حول الانفاق على المنتجات الصيدلانية حتى عام 2032، خلصت Fitsh Solutions الى أن الانفجار الذي تشهده أسعار الادوية سيعرّض التوازنات وخيارات الدولة الحالية الخاصة بالتزاماتها نحو قطاع الصحة العمومية للخطر.

ذلك أنه يتم تخصيص نحو 6 ٪ من الناتج المحلّي الإجمالي للصحة العمومية وبدأت الدولة فعليا ودون الإفصاح عن ذلك في التنازل عن العديد من الخدمات الصحية للقطاع الخاص وهو تطوّر لا يمكن إلاّ أن يزداد خلال السنوات القادمة.

ينضاف الى ذلك أن الزيادات في الانفاق على الأدوية ستضع منظومة الصحة تحت ضغط شديد وستتسبّب في معاناة البلاد من انقطاعات متكرّرة في التزويد وفي تقنين بعض الادوية المطلوبة من مرضى يعانون من أمراض مزمنة (السكري وارتفاع ضغط الدم والسرطان والكولسترول). كما سيصبح الميزان التجاري الخاص بالادوية والذي يعاني حاليا من عجز مكلف بشكل متزايد لميزانية الدولة والمستفيدين من الرعاية الصحية.

ويمثّل القطاع رسميا أكثر من 4,7 مليارات دينار سنويا أي 2,3 ٪ من الناتج المحلي الإجمالي. لكن هذا الثقل ما انفكّ يكبر بنسبة نموّ تبلغ 4,5 ٪ سنويا.

ومن المنتظر بحلول عام 2033 أن يبلغ الاتفاق على الادوية 5,7 مليارات دينار (1,7 مليار دولار) بمعدل نمو يبلغ 4,5 ٪ و3,6 ٪ على التوالي بالعملة المحلية وبالدولار الأمريكي. ومن شأن المخاطر السلبية الكبيرة اذا حدثت على المدى القصير وكذلك المتوسط التأثير على التوقعات طويلة المدى. ففي عام 2023 مثّل الانفاق على الادوية 2,3 ٪ من الناتج المحلّي الإجمالي بتونس و20 ٪ من الانفاق على الصحّة.

عندما يتحول العلاج الى ترف

مقارنة بدول افريقية، يعتبر متوسط انفاق الفرد على الادوية بتونس مرتفعا نسبيا، ويناهز انفاق الفرد الواحد على الأدوية المستهلكة 100 دولار سنويا أي ما يعادل 320 دينارا. وبحلول عام 2033، تتوقع Fitsh Solutions ارتفاعا بنسبة 24 ٪ في الانفاق على الادوية بالدولار الأمريكي بما يعني أن متوسط انفاق الفرد سيقترب من 125 دولارا سنويا أي ما يناهز 480 دينارا.

كما تتوقع Fitsh Solutions أن تبلغ نسبة حصة الادوية المخصصة للرعاية الصحية 36 ٪ في عام 2028 مقارنة بـ 19 ٪ في عام 2022 وأن تصل هذه النسبة الى 33 ٪ في عام 2033 لتحتل بالتالي حيّزا أكبر من تكاليف الرعاية الصحية الأخرى (الفحص الطبي، المعدات وتشغيلها الخ...)، ومن شأن هذا التوجه زيادة تخلي الدولة عن دورها في الرعاية الصحية بسبب نقص الموارد. وتواجه تونس صعوبات في سداد ديونها فيما تعاني ميزانية الدولة من عجز مزمن تتسع مع مرور الوقت دائرته عوض أن تضيق.

وستكون الأدوية الجنيسة هي المستفيدة الرئيسية من هذا التطوّر اذ لم تعد شركات الأدوية تتودّد لتونس التي تواجه صناعتها الدوائية مخاطر مختلفة حسب نفس الوكالة.

تقليد وسوق موازية

هناك عوامل أخرى من شأنها أن تزيد في ارتفاع أسعار الأدوية. من ذلك أن التضخم (الذي تراوح بين 7 و10 ٪ خلال السنوات الأخيرة) سيؤدي الى مزيد ارتفاع هذه التكاليف بشكل مصطنع الشيء الذي سيتسبّب في مزيد تهرّئ الطاقة الشرائية. وخلال السنوات القادمة 2023 – 2027 سيكون النمو الاقتصادي بطيئا جدا وقريبا من الصفر ممّا سيزيد من المخاطر التي تخيّم على قيمة الدينار مقارنة بالعملات الأجنبية. كل ذلك يمهّد الطريق لمزيد من صعوبات تمويل الأدوية المستوردة وبالتالي لمزيد من التقنين والنقص وطوابير الانتظار.

وحاولت الحكومات التونسية السابقة اقرار إصلاحات في قطاع الاعمال خصوصا بتبنّي قانون للاستثمار يوفر حوافز للمستثمرين الأجانب. ومع ذلك فقد فشلت الاستثمارات في التحوّل الى استثمار ذي قيمة. ومن وجهة نظر شركات الادوية متعددة الجنسيات فإن الخطوة الرئيسية التالية أمام تونس هي إزالة الحواجز أمام وصول الأدوية المبتكرة الى السوق التونسية التي ترى هذه الشركات أنها تمثل بيئة غير مضمونة ولا مرنة تعمل حاليا كعائق أمام أي استثمار كبير على المدى القصير.

فسوق المواد المقلّدة يتوسع بالمناطق الحدودية، وتشمل هذه

التجارة أطباء وصيادلة للتغطية على عمليات التهريب التي تمتد الى دول مجاورة وحتى غير مجاورة (موريتانيا، السينغال الخ...). وتعاني تونس من مشاكل دائمة تتعلق بأدوية مقلدة والمتاجرة بالمخدّرات.

وعلى سبيل المثال، حجز الحرس الوطني في جانفي 2024 كميات هامة من الأقراص والكبسولات المقلدة في منطقة فوشانة وذلك بعد مرور أسابيع فقط على قيام السلطات بالتحقيق في عملية تهريب مخدرات بين تجار محليين لبيع أدوية ومهرّبين من موريتانيا. وفي وسائل الاعلام نسمع بانتظام عن تسريب أدوية من مستشفيات الى القطاع الخاص وشبكات التهريب. وتسلط مثل هذه الحوادث الأضواء على نقاط ضعف سلسلة التزويد وإجراءات المراقبة في البلاد. وتحاول الحكومة بلا جدوى استباق عمليات التقليد والتزوير خاصة عن طريق تحسيس المواطنين وذلك عبر ادخال أنظمة الرصد والتتبع الالكترونية وتحسين جهود تقاسم المعطيات مع الحكومات الأجنبية.

الأمراض المزمنة

تتطلب الاضطرابات العصبية النفسية مثل الانهيار العصبي والفصام ومرض الزهايمر استهلاك كميات كبيرة من الادوية. وتوجد بتونس حاليا 16 مؤسسة عمومية متنقلة للصحة العقلية و7 مرافق مجتمعية ومستشفى واحد للأمراض النفسية. وتنحصر خدمات الصحة العملية في العاصمة وعلى طول الساحل. وهذا التوزيع يجعل وصول مرضى المناطق الداخلية الى هذه المرافق صعبا. وزيادة على ذلك تعاني تونس من نقص حاد في كفاءات متخصصة في علاج الأمراض العقلية وخاصة العاملين في المجال النفسي الاجتماعي فيما أصبحت الأدوية نادرة وغير متاحة لهذه الشريحة الهشة من السكان.

ووفقا للاتحاد الدولي للسكّري، تم تشخيص نحو مليون مريض بداء السكري بتونس عام 2020 الى جانب 600 ألف مصاب لم يتم تشخيص حالاتهم في ظل تسجيل ما يقارب 5300 وفاة سنويا على علاقة بمرض السكري.

وينفق كل مريض بالسكري ما لا يقل عن 2000 دينار سنويا على شراء الادوية. وتشير التقديرات الى أن متوسط النفقات السنوية على علاج مرض السكري ناهز سنة 2017 444 دولارا أمريكيا بالنسبة لكل مريض. وفي أفريل 2023 نشرت الصحافة المحلية نتائج دراسة أجرتها الجمعية التونسية لامراض الكلى وغسل وزراعة الكلى كشفت أن ربع المرضى الذين خضعوا لعمليات غسل الكلى مصابون بمرض السكري. وقد بات المصابون بمرض السكري عاجزين عن تحمل تكاليف الادوية المطلوبة واستسلموا للأمر الواقع.

وحسب Globocan (المرصد العالمي للسرطان) سجلت تونس 19500 إصابة جديدة عام 2020. ويعدّ سرطان الرئة أكثر أنواع السرطان شيوعا في صفوف الرجال يليه سرطان المثانة فسرطان القولون وسرطان البروستاتا. أما بالنسبة للنساء فيعدّ سرطان الثدي أكثر أنواع السرطان انتشارا بينهن يليه سرطان القولون وسرطان عنق الرحم وسرطان الغدد اللمفاوية.

وقد شكل سرطان الثدي سنة 2020 نحو 16 ٪ من حالات السرطان الجديدة يليه سرطان الرئة بنسبة 15 ٪ فسرطان القولون بنسبة تناهز 10 ٪ وسرطان المثانة بنسبة تزيد قليلا عن 7 ٪. ويعزى ارتفاع الإصابات بسرطان الرئة الى ارتفاع انتشار ظاهرة التدخين بين الرجال وغالبا ما لا يتم تشخيص الإصابات نتيجة نقص التحسيس بخطورة المرض وبسبب المفاهيم الخاطئة حول تكنولوجيا العلاج.

وفي اطار الاستراتيجية الوطنية لمكافحة السرطان بتونس، تم بعث ثلاثة مراكز جديدة للعلاج بالأشعة في كل من تونس العاصمة وسوسة وصفاقس. وتضمنت الاستراتيجية خططا لتوسيع مرافق الصحة لزيادة فرص الحصول على الرعاية الصحية. لكن ذلك يتطلب امدادات من أدوية تتغيّر بسرعة على المستوى الدولي بفعل ضغط البحث والتطوير.

كما تتفشى أمراض أخرى ويعاني ضحاياها الأمرّين للعثور على أدوية علاجها. مثال ذلك وجود ما لا يقلّ عن 6500 شخص مصابين بفيروس نقص المناعة (السيدا) ويحتاجون الى أدوية عديدة باهظة الثمن ومستوردة بالعملة الأجنبية.

ينضاف الى كل ذلك وجود طب بمستويين : واحد للأثرياء وآخر للفقراء والمحرومين. وتشكو مناطق الجنوب والوسط بشكل خاص من ندرة الأطباء والأدوية. وهذا العام بلغ عدد الأطباء بتونس 18700 طبيب، 85 ٪ منهم متمركزون بالمدن الساحلية الكبرى. وفي ظل هذا التصحر الطبي يعود السكان الى النباتات الطبية والى بركات الأولياء الصالحين.

وفي بعض المناطق الريفية الفقيرة جدا يتراجع معدّل الحياة نتيجة عدم إمكانية الحصول على الادوية.

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

AMEN BANK بامتياز، SOTEMAIL في صعود وSTB في نزول

منحى السوق

تخيّم على السوق أجواء تفاؤل. فقد أثارت الإنجازات الطيّبة التي حققتها الشركات المدرجة بالبورصة بعنوان نشاط 2023 وتوزيعها أرباح كريمة شهية المستثمرين وأعادت لهم الثقة في الأصول ذات المخاطر. لذلك شهد المؤشر المرجعي خلال الأسبوع الممتد من 20 إلى 24 ماي 2024 نزعة قوية نحو الارتفاع وحقق مؤشر تونينداكس قفزة بـ 2،1 ٪ ليستقر عند النقطة 9373،3 لتبلغ بذلك أرباحه منذ بداية السنة 7،1 ٪.

وقد تميّز الأسبوع الماضي بشبه ركود على مستوى التداولات مقارنة بالاسبوع الذي سبقه وبلغ حجم التداولات 29،5 مليون دينار بما مثّل معدلا يوميا بنحو 6 ملايين دينار. والجدير بالملاحظة هنا أن التداولات استفادت من انجاز تداول بالكتل شمل سهم شركة استري للتأمين وإعادة التأمين ASTREE وبلغ حجمه 1،6 مليون دينار حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- حقق سهم الشركة التونسية للتّلا SOTEMAIL أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور اذ سجّل قفزة بـ 22 ٪ بسعر 1500 دينار رغم أنه لم يكن موضع تداولات.
- سجل سهم التجاري بنك ATTIJARI BANK أداء طيبا خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بـ 9،4 ٪ بسعر 52،980 دينار وأنعش بذلك السوق بتداولات بلغ حجمها 2 مليون دينار على امتداد الأسبوع.
- كان سهم الشركة التونسية للبنك STB الأكثر تضررا خلال الأسبوع المذكور مسجلا تراجعا بـ 11،2 ٪ بسعر 3،170 دينار جامعا أموالا بـ 484 ألف دينار.
- سجّل سهم بنك الإسكان BH بدوره تراجعا بـ 8،8 ٪ بسعر 12،900 جاذبا حجم أموال محدودا جدا لم يتجاوز 49 ألف دينار.
- كان سهم بنك الأمان AMEN BANK الأكثر ديناميكية خلال الأسبوع المذكور وحقق قفزة بـ 1،2 ٪ بسعر 39،900 دينار جاذبا على امتداد الأسبوع 4 ملايين دينار.

مستجدات السوق

- بلاغ من شركة اسمنت قرطاج Carthage Cement :

تعلم شركة اسمنت قرطاج Carthage Cement المساهمين فيها أن مجلس ادارتها عقد يوم الخميس 23 ماي 2024 اجتماعا لضبط القوائم المالية المتعلّقة بنشاط 2023 وأن هذه الأخيرة أظهرت :

- أن رقم معاملات الشركة الجملي سجل خلال سنة 2023 ارتفاعا بـ 18 ٪ مقارنة بعام 2022 قافزا من 367 مليون دينار إلى 431،6 مليون دينار.
- ان نتيجة الاستغلال الصافية حققت ارتفاعا بـ 21 ٪ مقارنة بعام 2022 لتمرّ من 129،6 مليون دينار الى 156،3 مليون دينار.
- ان حصة صافي الربح سجلت ارتفاعا بـ 55 ٪ مقارنة بعام 2022 وأنها مرّت بذلك من 35،7 مليون دينار إلى 55،2 مليون دينار.

وقد قرر مجلس إدارة الشركة دعوة المساهمين فيها إلى حضور جلسة عامة عادية يوم 26 جوان 2024.

- الشركة التونسية للبنك STB : جلسة عامة عادية:

تعلم الشركة التونسية للبنك STB أنها ستعقد جلستها العامة العادية يوم الجمعة 7 جوان 2024 بداية من الساعة 10 صباحا بعمارتها الكائنة بـ 34 نهج الهادي كرّاي – المنزه 4 – بحيّ مدينة العلوم. وللتذكير فقد حققت الشركة اثر نشاط 2023 حصة صافي ربح بـ 50،6 مليون دينار.

إشهار

شهادات خطيرة عن حوكمة القروض والتمويلات وإدارة ملف الشركات المتعثّرة

محمد الجلالي

إحساس بالخذلان يسود عددا من أصحاب الشركات التي تمر بصعوبات اقتصادية خاصة منهم من اختار الاستثمار في جهات داخلية ظلت لعقود منسية من التنمية والتمويل وحتى مما تم اعتباره بعد الثورة "تمييزا ايجابيا".

وحتى مساعي الدولة لادماج الشركات المتعثرة لم تأت اكلها بالنسبة لطائفة واسعة من صغار المستثمرين في ظل اقتصاد قائم على الريع وتحكم مجموعات نافذة في مفاصل الاقتصاد والمال وفق تاكيد عدد أصحاب الشركات الصغرى والمتوسطة لأسبوعية "الشارع المغاربي".

من شركة متعثّرة الى مصنفة

"حكايتي باختصار تتلخص في موافقة بنك عمومي على منحي قرضا ثم تراجعها عن ذلك مما أدى الى افلاس مشروعي". بهذه الكلمات المقتضبة تطرّق الشاذلي الاشخم صاحب شركة لإنتاج كربونات الكالسيوم بإحدى المدن الداخلية.

وقال "سعيت سنة 2018 الى الترفيع في رأسمال الشركة بالاشتراك مع مؤسستي "سيكار" وبنك فوافقت مؤسستا الـ "سيكار" على توفير المبلغ الضروري للترفيع في رأسمال الشركة فيما رفض رئيس اقليم بالبنك منذ 2020 تمكيني من القرض مع العلم انه تم مؤخرا ايقاف هذا المسؤول بتهم فساد مالي واداري بعد زيارة رئيس الجمهورية لنفس البنك".

واضاف المستثمر انه رغم موافقة لجنة بوزارة الصناعة على تمكينه من تمويل بـ 600 ألف دينار تمثلت في 450 في شكل تمويل من مؤسستي "سيكار" و150 ألف دينار في شكل قرضي من بنك عمومي لانقاذ المشروع فإن البنك تعنّت في تمكينه من القرض.

عبد الرزاق حواص

واوضح الأشخم انه كان بإمكان مشروعه المتمثل في استغلال مقطع بأحد جبال معتمدية فريانة من ولاية القصرين لانتاج كربونات الكالسيوم تقديم قيمة مضافة في المجال خاصة بعد أن ابرم عقودا لتصدير المنتوج لولا تعطل القرض البنكي.

وأضاف المتحدث انه نتيجة اخلال البنك بالتزامه تجاهه لم يتمكن من استغلال تجهيزات اقتناها بقرابة مليون دينار بحكم بقائها مرهونة لدى احدى المزودين بمدينة صفاقس.

وأفاد بانه تبعا لذلك اتصل بوالي قفصة وبوزارات الصناعة والمالية والاقتصاد دون جدوى مشددا على ان بعض المسؤولين اكتفوا باعلامه بأن شركته مصنفة في المرتبة الرابعة للشركات الميؤوس منها.

وذكّر بأن شركته لم تكن خلال فترة سعييه للحصول على القرض مصنفة أصلا معتبرا أنه كان بالامكان انقاذها لو تم تسريح القرض لفائدته ومعتبرا ان المواد الانشائية التي تنتجها مؤسسته شبيهة الى حد بعيد بالفسفاط وانها مادة استراتيجية ذات قيمة مضافة عالية لو تمت ايلاءها الاحاطة اللازمة والوقوف مع الشركات الناشطة في المجال.

ولاحظ المصدر متحسّرا ان المنظومة البنكية تتسبب سنويا في افلاس 36 ألف شركة

وقال انه كان يملك عقودا لتزويد مصنعين محليين وآخرين اجانب مبينا ان العراقيل البنكية تسببت في خسارة له بمئات الاف الدنانير من العملة الاجنبية بعد تبخر صفقات مع حرفاء من الجزائر وليبيا.

وأردف قائلا: "املنا الوحيد في السيد سمير عبد الحفيظ كاتب الدولة لدى وزيرة الاقتصاد والتخطيط المكلف بالمؤسسات الصغرى والمتوسطة"

وفسّر المستثمر التعطيل على مستوى البنك باستهداف الاستثمار على مستوى المناطق الداخلية حتى تبقى ولايات مثل قفصة وسيدي بوزيد والقصرين مناطق حمراء لا يجب تمكين باعثي المشاريع فيها من الاستثمار.

المصدر تحدّث عن وقوف لوبيات قال انها تتحكم في البنوك وفي اتخاذ القرار وراء تعطيل التنمية بعدد من المناطق الداخلية.

وتساءل : "هل يعقل تواصل عائلات تمثل كارتال البنوك التحكم في كل مفاصل الاقتصاد على حساب بقية المبادرات الحرة وغير المنتمية الى اية جهة نافذة جهويا وماليا وسياسيا؟"

وتابع " ليس من باب الصدفة ان يتعطل اليوم انتاج ثلاث شركات ناشطة في مجال كربونات الكالسيوم في فريانة فيما يتم تعبيد طريق الاستثمار والانتاج امام رجل أعمال من احدى مدن الساحل ليستغل موارد الجهة ويحقق أرباحا طائلة".

يذكر ان الشركة كانت تشغل قبل توقفها عن الانتاج 38 عاملا وفق تاكيد نفس المصدر الذي أشار الى تعطل ما لا يقل عن 14 مشروعا بجهة قفصة بسبب صعوبة النفاذ الى التمويل وتعقد الاجراءات الادارية وعجزها عن الحصول على تراخيص.

وكنتيجة لانسداد الافاق امام مستثمري الجهات

الداخلية كان السجن مآل بعضهم فيما فضل البعض الانتحار واضطر اخرون للهروب خارج البلاد وفق تأكيد نفس المستثمر.

التحكم في مصير آلاف الشركات

عبد الرزاق حواص الناطق باسم جمعية المؤسسات الصغرى والمتوسطة اتهم من جهته بنوكا خاصة بالتحكم في مصير آلاف الشركات قائلا انها تحرم من تشاء من التمويل وتوافق على تمتيع من تشاء.

وتابع "صحيح ان تشريك البنوك في توزيع الدعم المالي الموجه للشركات المهددة بالإغلاق يأتي في اطار اطلاعها على وضعياتها المالية لكن ذلك لا يستدعي وضع رقبة آلاف المستثمرين المتعثّرين تحت رحمة المنظومة البنكية".

وأفاد بأنه قدّم خلال لقاء جمعه بسمير عبد الحفيظ كاتب الدولة المكلف بالمؤسسات الصغرى والمتوسطة رؤية الجمعية لانقاذ آلاف المؤسسات من الافلاس وتحريك عجلة التنمية مشيرا الى ان كاتب الدولة كان متفهما منفتحا على مختلف الاقتراحات.

ونقل حواص عن المسؤول قوله إن الدولة في طريقها لاعداد برنامج انقاذ لادماج الشركات المتعثرة مع بعث مؤسسات جديدة.

يشار الى أن الجمعية اعدت مؤخرا برنامجا اصلاحي ينص على ضرورة تمكين المؤسسات التي تمر من صعوبات اقتصادية من قروض بفوائد منخفضة أو حتى بلا فوائد وتوفير خدمات مجانية لها في مجالات التخطيط الاستراتيجي وادارة المخاطر والتسويق الرقمي وتطوير مهارات القيادة اضافة الى الدعوة الى تيسير عقد شراكات بين المؤسسات الصغرى والمتوسطة من جهة والشركات الكبرى من جهة وتسهيل نفاذ الشركات الصغرى والمتوسطة للاسواق المحلية والاجنبية.

وحثت الجمعية في برنامجها الدولة على سن قوانين تحمي المؤسسات الصغرى من الممارسات غير القانونية وتعزز المنافسة النزيهة مع انشاء صناديق خاصة لدعمها ومزيد توفير حوافز ضريبية ومالية لها.

في انتظار منشور البنك المركزي

مصدر مطلع على ملف الشركات المتعثرة افاد بدوره بأنه سبق لوزارتي الاقتصاد والتخطيط المالية ان فتحت قنوات تواصل مع عدد من المستثمرين الذين يمرون بصعوبات اقتصادية لتباحث سبل انقاذ مؤسساتهم لافتا الى انه تم بعث لجنة وانه تم عقد ثلاث اجتماعات في مجلس نواب الشعب ووزارتي المالية والاقتصاد للنظر في الاجراءات التي يمكن اتخاذها في الغرض.

وقال المصدر الذي فضّل عدم الكشف عن هويته ان عديد المستثمرين تمسكوا بضرورة تخلي الدولة عن معيار تصنيف الشركات خلال تمكين المشاريع التي بصعوبات اقتصادية من التمويل باعتبار ان البنك المركزي مازال يصر على تمويل الشركات التي لم يتجاوز تصنيفها القسم 1 وحرمان نظيراتها الموجودة بين الاقسام 2 و5 ملاحظا ان اغلب الشركات المتعثرة مصنفة بين 3 و5.

واوضح المتحدث ان نفاذ المؤسسات التي تمر بصعوبات اقتصادية الى البنوك مرتبط أساسا باصدار البنك المركزي منشورا ينص على عدم اعتماد التصنيف مع دعوته الى دراسة وضعيات الشركات حالة بحالة.

يذكر ان البنك الدولي كان قد وافق في فيفري 2023 على اقراض تونس 120 مليون دولار لتمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة في إطار برنامج دعم الإنعاش الاقتصادي.

يشار الى ان استكمال إجراءات تفعيل خط القرض كان في 14 ماي الجاري محور لقاء جمع زهير النوري محافظ البنك المركزي بنادر محمد المدير الإقليمي للنمو المنصف والتمويل والمؤسسات في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا بالبنك الدولي.

جانفي 2024

صندوق الودائع والامانات يطلق خط تمويل بـ 200 مليون دينار منها 120 مليون دينار من مساهمة الصندوق العربي للتمويل الاقتصادي والاجتماعي

جانفي 2024

ايطاليا توفر قرض بـ 55 مليون أورو

ديسمبر 2024

قانون مالية 2024 ينص على احداث خطوط تمويل بـ 35 مليون دينار

فيفري 2023

قرض بـ 120 مليون دولار من البنك الدولي

ديسمبر 2022

قرض بـ 150 مليون دينار من الاتحاد الاوروبي

فيفري 2022

قرض أمريكي بـ 35 مليون دولار

أكتوبر 2022

قرض أمريكي بـ 20 مليون دولار

افريل 2021

منحة بـ 25 مليون أورو من مؤسسة KFW الالمانية

فيفري 2020

قرض فرنسي بـ 30 مليون اورو

جوان 2020

قرض بـ 50 مليون أورو من الوكالة الفرنسية للتنمية

افريل 2018

قرض اسباني بـ 25 مليون أورو

مآل تمويلات الانقاذ

صاحب مؤسسة رفض ذكر اسمه قال من ناحيته ان شركته تنتمي الى المشاريع التي تم تمتيعها بامتيازات جبائية ومالية من قبل وزارة الصناعة شريطة الانطلاق الفعلي في النشاط الى حدود سنة 2021 مشيرا الى ان جائحة كورونا عطلت الاقتصاد وساهمت في ايقاف عجلة التنمية.

ولفت الى أن مجلس نواب الشعب مدّد خلال السنة الفارطة في آجال انطلاق النشاط الى حدود ديسمبر 2023 ثم إلى 2025 والى أن وزارة المالية وادارة وكالة التشجيع على الاستثمار اعتبرتا في ذلك التمديد حرمانا لشركاتنا من أي امتياز مالي.

وأفاد بأنه مثله مثل عديد الصناعيين ينتظر نصا توضيحيا لتجاوز الاشكال حتى لا يتم الحكم على مئات المشاريع بالفشل والاندثار وحتى لا يشعر عديد المستثمرين بالخذلان تجاه دولتهم.

واتهم البنوك ومن يتحكمون في اقتصاد الريع بتصنيف مناطق داخلية مثل القصرين وسيدي بوزيد وقفصة وتوزر مناطق حمراء لا تشجع على الاستثمار وحصرها دورها في سوق كبيرة للبضائع الوافدة عليها من جهات أخرى.

وقال ان من يتحكمون في مفاصل الاقتصاد يريدون دوما استغلال موارد الجهات الداخلية البشرية والطبيعية لفائدة شركاتهم المتمركزة على طول الشريط الساحلي ملاحظا انهم يسيطرون أيضا على البنوك والصناعات الثقيلة والتأمين والايجار المالي.

وأبرز ان الريعيين يسعون دائما الى ان يدور كل شيء في فلكهم والى ان يظل المستثمرون القادمون من الجهات المنسية مجرد أجراء لديهم وعناصر ضعيفة لا حول لها ولا قوة.

واعتبر ان التخلص مما اسماه اخطبوطا ماليا واقتصاديا وسياسيا لا يتم الا بتوفر ارادة سياسية واضحة.

وضرب مثال قرض بـ 35 مليون دولار منحته الولايات المتحدة الامريكية الى تونس لدعم ومرافقة المؤسسات الصغرى والمتوسطة متسائلا عن مصير ذلك القرض ومؤكدا على عدم تمتع أي مشروع في الولاية التي ينتمي اليها منه مرجّحا عدم حصول أي مشروع في المناطق الداخلية على تمويل في نفس الاطار.

المتحدث أعرب عن استغرابه من توجيه تمويلات من هذا القبيل الى ولايات في تونس الكبرى على سبيل المثال بدعوى انها مصنفة كمنطقة تنمية جهوية.

وتساءل عن المغزى من إيداع أموال قروض ومنح خارجية في بنوك خاصة عوض بنوك عمومية.

واستدرك قائلا: لو تم التثبت في مآل تلك الاموال لتبين انها لم تخرج عن الدائرة الضيقة لبنوك خاصة.

واتهم ما اسماهم ريعيين بالسيطرة على مسالك التمويل وعلى مجالس البنوك والسياسات العمومية مبرزا ان هؤلاء تمكنوا في فترة سابقة من تعيين وزراء ومن النفاذ الى البرلمان مطالبا بحد أدنى من المساواة بين المستثمرين والجهات وكل فئات المجتمع الاقتصادي.

وتحدث عن تخلّي الدولة عن الجهات الداخلية رغم ثراء مواردها الطبيعية.

يشار الى ان الولايات المتحدة أطلقت يوم 17 فيفري 2022 برنامج قروض بقيمة 35 مليون دولار أمريكي لدعم المؤسسات الصغرى التونسية تلاه في أكتوبر من نفس السنة قرض آخر بـ 20 مليون دينار من نفس.

GEELY
SOTUDIS
GX3 PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE
VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

تتويج عالمي لـ 3 دكاترة

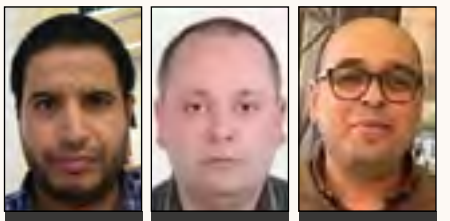

باختيار جامعة ستانفورد الامريكية الدكاترة محمد البوصيري الجلالي وبسام الصامت وحسن العايدي ضمن قائمة افضل الباحثين على مستوى العالم في اختصاص الرياضيات ينضاف تتويج جديد للقامات العلمية التونسية في المحافل الدولية.

تتويج الدكاترة الثلاثة لم يكن من فراغ باعتبار ان الجامعة الامريكية تختار العلماء الاكثر استشهادا بأعمالهم على مستوى العالم.

أما الدكتور الجلالي فتمكن بدوره وللسنة الرابعة على التوالي من افتكاك مكان له ضمن قائمة "ستانفورد" لافضل 2 بالمائة من علماء الرياضيات وهو خريج المدرسة التونسية بمعتمدية الرقاب من ولاية سيدي بوزيد ويعمل حاليا كباحث ومدرّس بالمملكة العربية السعودية. ولم يخف الدكتور طموحه الجامح لتحسين مركزه العلمي الدولي بسعيه للانضمام الى قائمة افضل 1 بالمائة من باحثي الرياضيات في قادم السنوات.

وأما الدكتور بسام الصامت الذي يعمل أيضا في العربية السعودية فقد سبق له أن حقق انجازا عالميا باختياره ضمن تصنيف عالمي صادر عن مؤسستي شنغاي وطومسون رويترز.

وبهذا الانجاز يكون الدكتور الصامت قد التحق بفئة العلماء الدوليين الأكثر تأثيرا واستشهادا بأبحاثهم. وجاءت هذه النتيجة بعد مسيرة الصامت البحثية في مجالات الرياضيات التطبيقية والتي تشمل نظرية الشكل الأمثل ونظرية النقطة الثابتة والمعادلات التفاضلية وتطبيقاتها.

وضمت القائمة أيضا الدكتور حسن العايدي الذي يزاول عمله في احدى المؤسسات التربوية التونسية.

هي إذن مكانة عالمية مرموقة احتلها ثلاثة من خيرة ما انجبت المدرسة التونسية فرفعوا رايتها عاليا في اختصاص يعد فاتحة لأي تقدم تكنولوجي.

رديء

الهلال الاحمر

رغم مرور 6 سنوات على انطلاقها وبت القضاء فيها لا تزال أزمة الشرعية تلقي بظلالها على منظمة الهلال الاحمر التونسي ليبلغ الأمر إلى حد تعرّض المتحدثة باسمها بثينة القراقبة مطلع الاسبوع الماضي للاعتداء بالعنف بواسطة صاعق كهربائي وآلة حادة أمام مكتبها بالعاصمة.

القراقبة فسّرت الاعتداء بوجود حملات تحريض تقف وَراءها عناصر انتسبت سابقا إلى المنظمة رغم حسم القضاء في مسألة عضويتها اثر رفع 20 قضية وعقد 58 جلسة بالتمام والكمال.

ما يجري صلب منظمة في حجم الهلال الأحمر وعراقتها من خلاف تجاوزت حلحلته الاحتكام إلى أروقة القضاء الى الاعتماد على العنف وسيلة ومنهجا ولم تطوقه منبار اعلامية ومواقع الكترونية عجّت بالحديث عن تجاوزات مالية وادارية وقانونية في حوكمة هذا الهيكل الذي تجاوز عمره أكثر من نصف قرن من جهة وتضارب في التصريحات وتبادل للاتهامات بين هذا الشق وذاك.

التطور الأخير المتمثل في الاعتداء بالعنف على الناطقة باسم الهلال مؤشر خطير يشي بأن صفحة الخلافات لم تطو بعد وبأن تدخل سلطة الإشراف لضخ دماء جديدة لوضع حد لحالة الانفلات التي طال أمدها أكثر من اللازم ولم لا ضخ دماء جديدة في المنظمة وتجديد هيئتها التسييرية وإجراء عملية تدقيق معمّقة على أوجه التصرف داخلها عل ذلك يساهم في طي صفحة قاتمة في مسيرة هذا الهيكل.

صورة تتحدث

وائل الدحدوح هو ثاني صحافي يستقبله رئيس الجمهورية قيس سعيد بعد عبد الباري عطوان.

قالوا

قيس سعيد

هناك حملات من جهات متعددة دأبت على الارتماء في احضان الدوائر الاستعمارية تريد ان تشوه هذا المسار وهذه الحركة من اجل تحرير الوطن من الادران التي علقت به منذ عقود وعقود ...يتحدثون كل يوم عن هذا المرسوم (عدد 54) وعن الفصل 24 منه... اريد ان اوضح لكل التونسيين أننا نرفض المساس بأي كان من اجل فكره ..هو حر في اختياره .. حر في التعبير ولكن هناك اشخاصا ليست لهم حرية التفكير فكيف يمكن ان تكون لهم حرية التعبير ؟ هم امتداد لهذه الدوائر الاستعمارية.... القضية ليست يسار ولا يمين ولا نهضة ولا تجمع هي قضية لوبيات لها امتداد في الادارة ...هذا هو المشكل الكبير في تونس ولهم بطبيعة الحال الصحف المأجورة والالسن المسعورة ثم الناس الذين لا يعيشون الا تحت الاستعمار .... استبطنوا الهزيمة وثقافة الهزيمة ومع ذلك يتباكون على الحرية.. معنى ذلك ان كل القضايا مفتعلة ولا تتعلق بهذا الحزب او بذاك .. تتعلق بـ 40 او 50 عائلة تسيطر على البلاد.

آية الله علي خامنئي

وجود شخصية فاضلة وأكاديمية مميزة مثل السيد قيس سعيد في موقع الرئاسة بتونس يعد فرصة لهذا البلد بعد سنوات من الحكم الاستبدادي والانفصال عن العالم الإسلامي، لتظهر وجها جديدا وطيبا من نفسها. .... الشعب التونسي يملك موهبة كبيرة في التقدم والمضي قدماً، ونأمل في ظل حكمة السيد قيس سعيد ان تتحقق الوحدة اللازمة بين مختلف الاطياف في تونس وتوفير الأرضية لمزيد من التقدم.

احمد صواب

توجد 6 ملاحظات بخصوص اقتراح التعديل الرئاسي للفصل 96 من المجلة الجنائية الذي انطلق من قاعدتين الاولى عدم انجاز الموظف والعون العمومي ما هو مطلوب منه والثانية عرقلة سير المرفق العام ..... انا اتساءل الا نتعلم من تجارب الماضي ..؟ قيل لعمرو (عمرو بن العاص) ما العقل ؟ فقال الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان. الم نتعلم من الدرس ومما حصل مع بن علي (في اشارة الى المحاكمات بعد الثورة لوزراء ومسؤولين سابقين على معنى الفصل 96) .. عندما يرفض موظف عمومي تنفيذ قرار يراه مخالفا للقانون مثلا لمنح امتياز لشخص او مؤسسة لا تستحقه وغيرها من المسائل غير القانونية ... .اذا لم يتم تنفيذ قرار غير شرعي تصبح مجرما وان امتنعت عن تنفيذ قرار غير شرعي فستسجن بداهة .. يعني سيكون الموظف او العون العمومي مجبرا على تنفيذ القرارات الفاسدة بالمفهوم القانوني علما ان هناك من هو اليوم محل تتبع ومحاكمة على تنفيذ قرارات غير قانونية... ملاحظتي السادسة والاخيرة ... المقترح الجديد اسوأ واخطر من الفصل 96 ولنا ان نعود الى مسار العدالة الانتقالية مثلما حصل بعد الحرب العالمية الثانية او في جنوب افريقيا وكيف تمت محاكمة اشخاص لانهم نفذوا اوامر غير شرعية..

سامية عبو

اذكّر بأن سنية الدهماني تحاكم من اجل عبارة "شو ها البلاد" وليس لنا نص قانوني يجرم مثل هذا القول وهي كلمة دارجة واذا كانوا يرغبون في تجريم تلك العبارة فما عليهم الا تنقيح المرسوم والتنصيص على ذلك لان الفصل 24 من المرسوم عدد 54 الذي هو اساس التتبع في القضية لا يشير الى ابداء راي وانما اشار الى اخبار زائفة او كاذبة واشاعات او معلومات من شأنها ان تحدث ارباكا في الراي العام ونحن اليوم لسنا امام خبر وما قالته سنية ليس خبرا ..

وثائق تكشف:

الأمريكان لم يحرّروا أوروبا حبّا فيها وإنما لمنع تقارب روسي - ألماني

الحبيب القيزاني

جانب من عملية الانزال بنورماندي
يوم 6 جوان 1944

ما أشبه اليوم بالبارحة ! لأن حبل الكذب والخداع قصير مهما طال، ولأن الأيام في تعاقبها مثل الريح تجرف معها كل ما هو تزييف وكذب، تتسارع عقارب ساعة التاريخ وسيرورته في الدوران إلى الوراء لتعرّي الكثير من المغالطات والافتراءات التي بُنيت عليها أسطورة الهيمنة الامريكية على العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. مغالطات وأكاذيب تكشف عن الوجه الحقيقي والغايات المخفية التي كانت وراء تحرك "العالم الجديد" لـ "تحرير أوروبا من النازية" وتأتي على ألسنة فاعلين خاضوا معمعة الحرب العالمية الثانية وشهادات صمّم أصحابها على الادلاء بها للتاريخ لاراحة ضمائرهم من ذنب السكوت عن الحق سكوت شيطان أخرس خصوصا في ظل المواجهة المفتوحة اليوم بين روسيا والصين من جهة والغرب من جهة أخرى.

ففي مقال له نشره موقع "الشبكة العالمية" بعنوان "عام 1944 لم يأت الامريكان لتحرير الفرنسيين" كشف الباحث الفرنسي Marc Rousset عن الدوافع الحقيقية التي حملت الولايات المتحدة على دخول الحرب العالمية الثانية بذريعة "تحرير أوروبا من ألمانيا النازية" مستشهدا سواء بتصريح هاري ترومان لما كان نائب الرئيس الأمريكي روزفلت حول نوايا بلاده الحقيقية من وراء تدخلها في الحرب أو بتصريحات للجنرال ديغول أول رئيس لفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية أو غيرهما من "الشهداء على العصر" على طريقة "وشهد شاهد من أهلها".

Marc Roussetg هو دكتور في العلوم الاقتصادية شغل طيلة 20 سنة منصب مدير عام بعدة شركات متعددة الجنسيات، وهو حائز على جائزة أكاديمية علوم الأخلاق والسياسة في 1994 عن كتابه La nouvelle Europe de Charlemagne الذي قدمه له Alain Peyrefitte. ولـ Rousset عديد المؤلفات لعلّ من أهمها : "كيف ننقذ فرنسا؟" Comment sauver la France و"من أجل أوروبا الأمم مع روسيا" Pour une Europe des nations avec la Russie وإلى التفاصيل :

يستهل Rousset مقاله باستحضار تصريح كان قد أدلى به هاري ترومان سنة 1941 لصحيفة "نيويورك تايمز" لما كان نائبا للرئيس روزفلت (قبل أن يخلفه في المنصب ويأمر بقصف اليابان بقنبلتين ذريتين)، جاء فيه "علينا إذا رأينا ألمانيا في طريقها للانتصار، مساعدة روسيا، وعلينا إذا رأينا روسيا في طريقها للانتصار مساعدة ألمانيا... وعلينا في كلتا الحالتين أن نجعلهما يتقاتلان أطول ما يمكن من الوقت" (تصريح ترومان بعدما أطلقت ألمانيا "عملية بربروسا" لغزو روسيا).

ديغول

ايزنهاور

ترومان

وكتب Rousset : "شنت الولايات المتحدة حربا على ألمانيا للتخلّص من منافسين كانت ترى أنهما يمثلان تهديدا لمصالحها (ألمانيا وروسيا) وليس دفاعا عن حرية الأوروبيين.

فالسّذج يعتقدون تماما مثلما تروّج ذلك باستمرار وسائل الاعلام أن الولايات المتحدة قدمت الى اوروبا يوم 6 جوان 1944 لتحرير الاوروبيين تماما مثلما دافع لافيات Lafayette عن استقلال الولايات المتحدة مع نهاية القرن 18. كل هذا غير صحيح تماما مثلما هي الحال بالنسبة لمخطط مارشال الذي تم اعداده حسب كلام Lodge، استاذي بجامعة هارفارد ليس لمساعدة الأوروبيين بسخاء من أجل إعادة إعمار بلدانهم ولكن وبكل بساطة لتجنّب سقوط أوروبا تحت نفوذ الشيوعية والروس. ولم يكن جورج مارشال يفكّر كرجل اقتصاد بقدر ما كان همّه التصرّف كدبلوماسي وقائد عسكري حريص على احتواء الاتحاد السوفياتي.

وفي كتابه "والدي ديغول" De Gaulle, mon père نشر فيليب ديغول جملة عثر عليها في كتيب وزعه الجيش الأمريكي على جنوده بعد "تحرير" فرنسا تقول : "لم نأت لأوروبا لإنقاذ الفرنسيين، قدمنا لأننا كأمريكيين كنّا مهدّدين من طرف قوة معادية، عدوانية وخطيرة جدا" قبل أن يضيف : "وقد ردّد والدي ذلك مرارا وقال : "إن الأمريكيين الذين ماتوا خلال معارك تحرير فرنسا، ماتوا من أجل الولايات المتحدة وليس من أجل أي بلد آخر تماما مثلما كانت الحال بالنسبة للفرنسيين الذي ماتوا في ساحة الوغى بما في ذلك من أجل استقلال الولايات المتحدة الامريكية، هؤلاء ماتوا من أجل فرنسا والملك الذي يجسّدها".

وأضاف Rousset : "ان اسطورة لافيات كمحارب غير مبال بالحرية وخطابه في الكونغرس سنة 1824 ليسا سوى فولكلور غنائي صادر عن سياسيين يتقون فن الديماغوجيا ويتناسون حقائق تاريخية وحقائق الجغراسياسة والسياسة الواقعية. وقد ساعدت فرنسا خلال حكم الملك لويس 16 الولايات المتحدة في حرب الاستقلال التي خاضتها ليس دفاعا عن حرية الامريكان وانما نتيجة رغبة سياسية للثأر من معاهدة باريس المشؤومة التي خسرت عن طريقها فرنسا عام 1763 كل مستعمراتها في أمريكا والهند.

وقد كان المبتغى الفرنسي الوحيد هو التصدي للقوة البريطانية والحدّ من نفوذها في العالم.

ووفق عالم السياسة الأمريكي جورج فريدمان كانت العلاقة بين ألمانيا وروسيا هي الهاجس الوحيد الذي دعا الولايات المتحدة الى دخول الحربين العالميتين الأولى والثانية. ويقول فريدمان في ذلك "باتحادهما، يمثل هذان البلدان القوة الوحيدة التي بإمكانها أن تمثل تهديدا لنا وعلينا التيقّن من أن ذلك لن يحدث". ومع مرور الوقت انتبه الألمان الى الخدعة وباتوا يتساءلون لماذا يتحتّم عليهم الاعتراف بالجميل لأمريكا في حين أنها ساهمت في هزيمة بلادهم. وحسب رأي السينمائي Alain Godard "كانت ألمانيا أقرب الدول الى الولايات المتحدة وكانت منافس الامريكان الأول في عديد الصناعات وكان لابدّ لهم أن يخضعوها لمشيئتهم وهيمنتهم بلا شفقة ولا رحمة".

ثم أورد Rousset حادثة رفض الجنرال ديغول المشاركة في احتفالات ذكرى الانزال الأمريكي بنورماندي يوم 6 جوان 1964 ناقلا عنه قوله لـ Peyrefitte "هيّا... هيّا لا بدّ لك من ذاكرة أقوى ! يجب الاحتفال بانتصار فرنسا وليس بانتصار الانغلوساكسون!" وكذلك قوله لنفس المخاطب : "أتعتقد أن الأمريكان والانقليز نزلوا بنورماندي حبّا فينا؟!! (...) ان آخر اهتمامهم هو تحرير فرنسا تماما مثلما كان شأن الروس بالنسبة لتحرير بولونيا!" ليواصل ديغول كلامه قائلا : "لقد تمت معاملة فرنسا كممسحة أرجل! (...) لقد كان انزال يوم 6 جوان شأنا أنغلوساكسونيا تم استبعاد فرنسا من المشاركة فيه. لقد كانوا مصمّمين على الانتصاب بفرنسا مثل تصميمهم على المرابطة بأراضي العدوّ!... وتريدني أن أذهب لإحياء ذكرى هذا الانزال الذي لم يكن سوى مقدمة لاحتلال جديد للبلاد؟ لا ...لا... لا تعوّل عليّ في ذلك!".

بعدها عرّج كاتب المقال على ما أسماه "حقد الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت الغريب على فرنسا وعلى ديغول ورغبته في تقسيمها الى 3 دول" واستشهد Rousset بجملة قال ان ديغول طالما ردّدها في لندن والجزائر يقول فيها : "ان روزفلت لا يحارب هتلر وإنما يحاربني أنا".

واستدل كاتب المقال على ذلك بمقتطف من محادثة جرت يوم 2 نوفمبر 1942 بواشنطن بين الرئيس الأمريكي روزفلت ومبعوث ديغول اندري فيليب جاء فيه :

- روزفالت : لما ندخل فرنسا سنمارس سلطات احتلال... وسيبقى الامريكان في فرنسا حتى تنظيم انتخابات حرة بها".

- فيليب : اذا جاء الامريكان بنية احتلال البلد فلن يتم التسامح مع ذلك بشكل أقل عدم تسامح مع الغزاة الالمان.

- روزفلت : سأخاطب الشعب الفرنسي عبر الإذاعة وسيفعل ما أريد.

وحول مسألة تقسيم فرنسا كتب Rousset : "الأسوأ من ذلك أن ديغول علم تقريبا في نفس الوقت نتيجة ثرثرة شخصيات بريطانية ولوكسمبروغية ان روزفلت يعتزم زيادة على كل ما سبق إعادة تقسيم أوروبا تقسيما تكون معه فرنسا الضحية الأولى باعتبار أنها ستخسر بفعله منطقتي الالزاس واللوران اللتين تقرّر ضمهما الى كيان جديد يتألف من مملكة هولندا (مسقط رأس عائلة روزفلت) واللوكسمبورغ (التي سيتم توسيع نطاق أراضيها على حساب ألمانيا) ولكن أيضا ولِمَ لا الضفة اليسرى من نهر الرون (Rhône) التي سيتم اهداؤها الى إيطاليا كجائزة لها على الخروج من معسكر دول المحور والانضمام الى معسكر دول التحالف".

وتابع Rousset : "أما بالنسبة للرئيس التشيكي آنذاك، Edvard Benes، فقد أسرّ لدى عودته من واشنطن الى René Massigli مفوض اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني قائلا : "ذهبت الى واشنطن وفي ظني أن روزفلت مناوء لديغول لكن اتضح لي أنه معاد لفرنسا". ومع ذلك تفرض علينا الحقائق التاريخية أن روزفلت لم يكن يحظى بأصوات أغلبية الدائرة المقربة منه بخصوص موقفه الشيطاني المعادي لفرنسا. فقد كان الانقليز وتشرشل وايزنهاور والجنرال باتون (المتزوج بفرنسية) والجنرال ماك أرثير وخصوصا الصحافة الامريكية وطنيين الى أبعد الحدود ومتحفظين وانانيين وطائفيين لكنهم لم يكونوا معادين لفرنسا ولديغول".

بعد ذلك، انتقل Rousset للحديث عن مشروع روزفلت المسمى AMGOT Project والذي يقضي بإعادة احتلال فرنسا وادارتها طبقا لنظام عسكري. وAMGOT هي اختصار لـ Allied Military Govermnent of occupated Territories (حكومات التحالف العسكرية لادارة الأراضي المحتلة). وكتب في هذا الصدد : "كان روزفلت يأمل في اخضاع فرنسا لنظام عسكري تماما مثل ألمانيا وإيطاليا واليابان بعدما غزت الجيوش الامريكية هذه البلدان، وكان من المقرّر أن يتمتّع القائد الأعلى لجيوش التحالف بـ "كل صلاحيات الاحتلال العسكري" وكان ذلك يفترض "عدم وجود حكومة سيادية بفرنسا".

وأضاف : "في حوار مع مجلة Marianne، لخّص Eric Branca الصفحات التي خصصها في كتابه L'ami américain (الصديق الامريكي) لمشروع AMGOT قائلا : مباشرة بعد نهاية عام 1942 تم بعث مدارس في بريطانيا لتكوين الموظفين المدنيين الذين سيعملون في الحكومات العسكرية وقد وصل الأمر بالانقليز الى حدّ طباعة عملة بخسة القيمة كانت قدرتها الشرائية – لو كتب للتجربة النجاح – أضعف من القدرة التي تنازل بها الألمان لصالح الفرنك الفرنسي قياسا بالمارك الألماني بين سنتي 1940 و1949.

وقد أجهض ديغول هذه المناورة في آخر لحظة بفضل المقاومة المسلحة ومندوبي الجمهورية الذين تم اختيارهم من طرف ألكسندر بارودي وميشال دوبري اللذين عوّضا الولاة المعيّنين من طرف حكومة فيشي وذلك قبل وصول مندوبي حكومة التحالف العسكرية لادارة الأراضي المحتلة ومعهم شاحنات العملة البخسة التي لم يجف حبر طباعتها بعد".

وتحت عنوان "روزفلت كان يفضّل بيتان Petain ودارلان وجيرو على ديغول" كتب Rousset في ختام مقاله : "كان خيار روزفلت دعم الماريشال بيتان حتى عام 1942 ثم ساند على التوالي دارلان وجيرو ولافال مع معارضة ديغول. وبعد اغتيال الاميرال دارلان على يد المقاومة الفرنسية بالجزائر يوم 24 ديسمبر 1942، عين الامريكان الجنرال جيرو المعروف بدوره بالولاء للماريشال بيتان وذلك في محاولة لاقصاء ديغول. لكن رغم فشل المحاولة، لم ييأس روزفلت وعين خلال صيف 1944 لافال في انتظار إرساء نظام أكثر انفتاحا على الحريات العمومية".

"أسئلة عالقة"

صحيفة "حريت" التركية ذكرت أن أنقرة شاركت طهران كل البيانات حول عمليات البحث المتعلقة بتحطم مروحية الرئيس الإيراني، وأنها مهتمة الآن بتلقي إجابات على عدد من الأسئلة العالقة بشأنها.

وتساءلت "حريت" عن سبب إعطاء الضوء الأخضر لإقلاع المروحية في ظروف جوية غير مقبولة، وقالت: "وفقا لقواعد الطيران، فإنه يتم تقديم المعلومات عن الظروف الجوية مسبقا، ولا يمكن أن تقلع مروحية تحمل رئيس الدولة أبدا إذا كانت الظروف الجوية غير مواتية، ويحق للطيار تجاهل (الأوامر من أحد) فلماذا قرر الإقلاع؟".

وأضافت الصحيفة: "هل اتبعت المروحيات الثلاث (من الموكب الرئاسي) نفس المسار؟ وإذا قامت بذلك، فماذا حدث؟ هل شعرت المروحيتان الأخريان بالحاجة إلى العودة؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فلماذا؟ إذا اتبعت المروحيات الثلاث مسارات مختلفة، فهذه مشكلة في حد ذاتها.. وهل هبطت هاتان المروحيتان بالفعل؟".

وأشارت أيضا إلى وجود قواعد معينة للرحلات الحكومية رفيعة المستوى "يجب اتباعها بدقة خاصة عندما يتعلق الأمر بالمروحيات"، مضيفة أنه "لا ينبغي أن يكون اثنان من كبار المسؤولين في نفس المروحية. فكيف حدث أن استقل الرئيس ووزير الخارجية المروحية ذاتها؟".

ابتزاز قذر

موقع Electo Magazine اتهم الاتحاد الأوروبي بانتهاج "سياسة ابتزاز ومساومة" إزاء جورجيا مقابل قبوله بها عضوا جديدا به.

الموقع كتب في هذا الصدد : "حتى تكون أية دولة أوروبية جديرة بالانتماء للاتحاد الأوروبي عليها القبول بقيام شركات أجنبية متعددة الجنسيات بتنظيم حركات احتجاجية وتمويلها... عليها القبول بمبدإ قلب حكومات عن طريق مظاهرات بالشوارع ممولة من طرف حكومات خارجية بهدف تحقيق مصالحها الخاصة. انه شكل الابتزاز الذي تمارسه بروكسيل إزاء جورجيا... جورجيا الأوروبية التي تريد الولايات المتحدة تحويلها الى مستعمرة تابعة لها".

وأضاف الموقع : "انه ابتزاز قذر وغير لائق... ابتزاز يتهافت عليه مقدمو الاخبار بالقنوات التلفزية الأوروبية المنهمكون في سرد "المعركة الشجاعة التي يخوضها أولئك الذين يتمسكون بتخصيص تمويلات خارجية لقلب حكومات منتخبة شرعيا من طرف شعوبها... هؤلاء لا يريدون أن يعرف الجورجيون الأطراف التي تدفع لبث الفوضى في بلادهم... لا يريدون أن ينكشف أمام عيون العالم أن كل الانتفاضات والثورات الملوّنة لم تكن تلقائية".

فوق المحاسبة؟!

مارك كورتيس Marc Curtis الصحافي والمؤرخ البريطاني المختص أيضا في انجاز وثائقيات حول تحقيقات تهم أحداثا عالمية كبيرة لها علاقة بالسياسة الخارجية الامريكية والبريطانية اعتبر في مقال نشره له موقع "الشبكة العالمية" أن على المحكمة الجنائية الدولية بعد تقديم طلب لاصدار مذكرتي اعتقال بحق رئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو ووزير الأمن يوآف غالانت، التحقيق مع 7 وزراء بريطانيين من أجل "مساعدة إسرائيل على ارتكاب جرائم حرب وإبادة جماعية في قطاع غزة".

مارك كورتيس اتهم الوزراء السبعة بإمداد إسرائيل بالأسلحة مقرّا بتوفر وثائق قضائية تشير الى "تلقي الحكومة البريطانية 28 رخصة تتعلق بتصدير أسلحة تمثل مخاطر عالية الى إسرائيل إضافة الى 28 رخصة أخرى مشابهة في قائمة الانتظار" ومؤكدا أن كل الأسلحة المطلوبة قابلة للاستعمال من طرف الجيش الإسرائيلي في هجومات على قطاع غزة.

وبعد أن اتهم الجيش البريطاني بمواصلة تكوين ضباط الجيش الإسرائيلي وتنفيذ مهمات تجسس على المقاومة الفلسطينية عبر طائرات مسيّرة ذكر كورتيس أن قائمة الوزراء البريطانيين المعنيين بالتحقيق معهم تضم كلا من رئيس الوزراء ريشي سوناك ووزير الخارجية ديفيد كامرون ووزير الدفاع غرانت شابس ووزير التجارة كيمي بادنوخ ونائب وزير الخارجية أندرو ميتشال الى جانب كاتب الدولة سابقا لدى وزير الدفاع ليو دوهارتي ووزير الداخلية جيمس كليفرلي.

وأشار كورتيس إلى أن كل هؤلاء الوزراء يرفضون مدّ البرلمان بأية معلومة عن تعاون وزاراتهم مع إسرائيل في حرب الإبادة التي تشنها على قطاع غزة.

وخلص الى أنه بينما يحق للمحكمة الجنائية الدولية محاكمة الوزراء المعنيين باعتبارهم مواقعهم قانونيا وسياسيا على الصعيد الوطني البريطاني فإنه لا توجد فرصة لقيام النظام البريطاني بمحاسبتهم على مسؤوليتهم وتواطئهم في جرائم الحرب المرتكبة بقطاع غزة خصوصا في ظل تمتعهم بـ "حصانة العرش" التي تعتبر أنهم في خدمة الملك أو الملكة وأنهم بالتالي "فوق المحاسبة".

رصيف بنظام اعتراض

قالت القناة 12 الإسرائيلية إن الجيش الأمريكي يستخدم نظام اعتراض لحماية الرصيف العائم قبالة غزة.

وأضافت أن نظام الاعتراض هو مدفع من نوع "فولكان M61" أمريكي الصنع، وأنه قد يساعد في الحماية من الطائرات المسيّرة عن بعد.

وتابعت: "استخدم قديما في العراق وأماكن أخرى، ويستخدم الجيش الأمريكي في غزة نفس نظام الاعتراض بهدف حماية الرصيف العائم".

وعن طبيعة هذا النظام، أوضحت القناة أنه "مدفع ذو ست فوهات، يطلق قذائف متفجرة يبلغ قطرها 20 ملم، ويتم تركيبه، من بين أمور أخرى، على طائرات سلاح الجو الأمريكي".

وقالت:" أجرى الجيش الأمريكي تجربة استخدام النظام وحتى الآن لم يتم استخدامه عمليا".

مصادرة

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أصدر قرارا يخوّل لمحاكم بلاده مصادرة الأصول الامريكية (أموال وأملاك) الموجودة بالاراضي الروسية.

قرار بوتين يندرج في اطار ردّ فعل على تجميد أصول بلاده بالبنوك الامريكية بعد غزو أوكرانيا ويهدف الى تعويض الخسائر الناتجة عن ذلك.

وبعد تصفية American Express، بات بوسع المحاكم الروسية التصرّف في الأصول الأمريكية كردّ فعل على الممارسات العدوانية التي تنتهجها واشنطن إزاء بلاده.

ويشمل قرار المصادرة الأموال والشركات والأملاك الخاصة الأمريكية بالتراب الروسي.

سفارة برام الله

بعد قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل يوم 2 ماي الجاري، قرر رئيس كولمبيا إقامة سفارة لبلاده بمدينة رام الله الفلسطينية.

وحسب وزير الخارجية الكولمبي لويس جلبارتو موريلو عقد رئيس البلاد اجتماعا بكبار مسؤولي الدولة تم خلاله وضع استراتيجية عمل من أجل الاعتراف بفلسطين كدولة عضوة بمنظمة الأمم المتحدة.

وقال موريلو : "نحن مقتنعون بأن قائمة الدول التي ستعترف بدولة فلسطين ستطول ولا علاقة لذلك بإسرائيل أو باليهود وقد سبق للأمم المتحدة أن أقرّت بعد توقيع اتفاقيات أوسلو حلاّ ينص على وجود دولتين وبالتالي اذا كان وجود دولتين ضرورة فيجب الاعتراف بدولة فلسطينية".

هل تبرم السعودية معاهدة أمنية مع الولايات المتحدة وتطبّع مع إسرائيل؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

تواصل الصحافة الغربية محاولة إقناعنا أن هذا قد يحدث، حرفيا، غدا، وبأنه لم يتبق سوى الاتفاق على بعض التفاصيل الصغيرة.. فهل هذا صحيح؟

إنه لمثل هذا الاتفاق المحتمل أبعادا عدة:

البعد الأمني

بعد تطبيع العلاقات مع إيران، ارتفع مستوى الأمن في المملكة العربية السعودية بشكل جذري، حيث تم تحييد التهديد الرئيسي للبلاد، حرب مع إيران، لبعض الوقت على الأقل. وبطبيعة الحال، نظريا قد يكون من الممكن التراجع عن التطبيع، ولكن في الوقت الراهن لا يوجد سبب للقلق. بل إن اتفاقية أمنية مع الولايات المتحدة في حد ذاتها الآن هي أكبر تهديد للتطبيع، وبالتالي للسلام في المنطقة، مع احتمال جر السعودية إلى حرب إسرائيلية – امريكية مع إيران، وفي المستقبل مع الصين.

من الممكن نظريا افتراض أن تطبيع العلاقات مع طهران عبر الوساطة الصينية ليس أمرا جديا، وأن ذلك كان محاولة لإثارة غيرة واشنطن، لكنني شخصيا أنطلق من قناعة أن تحول السعودية نحو الشرق حقيقي واستراتيجي.

المجال الثاني في البعد الأمني هو أن الحرب في اليمن انتهت أخيرا على ما أعتقد. وأثبت الغرب والولايات المتحدة عدم الوثوق فيهما كحليف في الحروب الهجومية، فمثل هذا التحالف، على أية حال، لم يساعد السعودية على النصر، فلا فائدة إذن من إزعاج الأعداء والأصدقاء من أجل مكاسب غير موجودة. وكما يقال، فإن "فوائد ذلك أمر مشكوك فيه، لكن أضراره واضحة".

المجال الأمني الثالث هو أن إسرائيل لا تشكل تهديدا للرياض، بغض النظر عن التطبيع المفترض معها أو بدونها، لا سيما في الظروف الراهنة. ولا جدوى من تكبد تكاليف في جوانب أخرى من أجل القضاء على تهديد غير موجود في هذا الاتجاه.

المجال الأمني الرابع: تطبيع العلاقات مع إسرائيل على خلفية الإبادة الجماعية في غزة سيقوض بالتأكيد موقف النخبة السعودية الحاكمة ليس فقط في العالم الإسلامي، ولكن أيضا، والأهم من ذلك، داخل المملكة. وفي الانهيار الاقتصادي المقبل، سيؤدي انخفاض الإنتاج إلى انخفاض الطلب على النفط، وأسعار النفط، وبالتالي دخل البلاد من صادرات النفط. وستحتاج السلطة حينها إلى كل ذرة من الولاء من جانب مواطنيها، لأن المصاعب التي سيواجهها السكان ستكون عظيمة، وسيكون غضبهم عارما.

المجال الأمني الخامس هو الالتزام الحقيقي والمهم والوحيد الذي يمكن لواشنطن أن تتحمله بموجب هذه المعاهدة، وهو عدم مهاجمة المملكة العربية السعودية نفسها. لكن الثمن هو رفض ليس التركيز على الصين فحسب بل أيضا رفض تطبيع العلاقات مع إيران وحياد السعودية.

في الوقت نفسه، واستنادا لمصلحة السعودية الاستراتيجية في التخلي عن مثل هذا الاتفاق، من المنطقي أن تماطل المملكة لكسب الوقت والمساومة متظاهرة بأن الرياض ليست بشكل عام ضدها، وبأن هناك شروطا.

البعد السياسي

من الصعب عليّ أن أتخيل كيف يمكن للولايات المتحدة أن تسدد للمملكة العربية السعودية ثمن الأضرار التي يمكن أن تلحق بسمعة الرياض في العالم الإسلامي وغيرها من التكاليف. وقد تكون هذه التكاليف بلا معنى على نحو مضاعف، نظرا للشكوك في قدرة إسرائيل على البقاء بالأساس كدولة في أعقاب التغيرات التي تحدث في العالم.

من حيث المبدأ، ولو كنت مكان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، لفكرّت في التوقيع على مثل هذه الاتفاقية فقط مقابل التقنيات التي من شأنها أن تسمح بتصنيع أسلحة نووية في المستقبل. من الممكن التراجع عن قرار تطبيع العلاقات مع إسرائيل، لكن القنبلة النووية ستبقى. لكنني أخشى أنه لمثل هذه الشروط لم يتبق ما يلزم من بعض العقود من السلام مطلوبة لتطوير البرنامج النووي الحربي المحتمل للسعودية اذ كان ينبغي أن يتم ذلك في وقت سابق.

أضف إلى ذلك ان الأمريكيين فقدوا مثل هذه الكفاءات، وفقدوا القدرة على تخصيب اليورانيوم، والآن روسيا تقوم بذلك نيابة عنهم. ووافقت الولايات المتحدة مؤخرا على برنامج يهدف إلى استعادة الكفاءات ذات الصلة لا غير.

ثانيا، لن تتخذ الولايات المتحدة هذه الخطوة لأسباب سياسية.

كما يمكن للإدارة الديمقراطية أن تخرج من البيت الأبيض، ولن يكون للتوقيع على أية معاهدات معها أي معنى، لأنه يمكن للإدارة القادمة إعادة التفاوض على المعاهدات، مثلما فعل ترامب مع الاتفاق النووي الإيراني. ولم تعد هناك ثقة في اتفاقيات مع الولايات المتحدة، من حيث المبدأ لا سيما الاتفاقيات الأمنية، حيث اتضح ان الولايات المتحدة تتخلى بسهولة عن التزاماتها.

البعد الاقتصادي

لقد أظهر اليمنيون الصامدون والشجعان بالفعل الثمن الاقتصادي الذي يمكن أن تدفعه الدول الداعمة لإسرائيل. والمملكة العربية السعودية هي الدولة الأكثر هشاشة بهذا المعنى. وفي ظل الظروف الراهنة، فإن أي فوائد اقتصادية محتملة من تطبيع العلاقات مع إسرائيل ستكون أقل بألف مرة من الخسائر المحتملة.

باختصار، فإن هذا هو بالأحرى اتفاق على عدم الاعتداء الأمريكي على السعودية، وعلى مشاركتها في الحرب العالمية الثالثة إلى جانب واشنطن. أي أن "الاتفاقية الأمنية" هي في الواقع اتفاقية على غياب الأمن للسعودية.

وهو ما يعني، من الناحية الاستراتيجية، أنه يتعين على السلطات السعودية أن تبذل قصارى جهدها لتجنب التوقيع على هذه الاتفاقية. وسأندهش أيما اندهاش إذا تم توقيع هذه الاتفاقية.

مجلة «لوبس»:

مستقبل أوروبا يتحدد في فلسطين

اعتبرت مجلة "لوبس" الفرنسية أن تردد أوروبا في اتخاذ موقف واضح من الحرب الدائرة بقطاع غزة سيعجل بخسارة نفوذها ومصداقيتها لدى العديد من دول "الجنوب العالمي"، وأن عليها بالتالي أن تتغلب على انقساماتها وتدافع عن القانون الدولي، باعتبار أن مستقبلها يتحدد اليوم في فلسطين.

هكذا قدمت المجلة لمقال مشترك بين النائب الأوروبي منير ساتوري والكاتب نويل بنشطريت انطلقا فيه من فكرة أن مستقبل أوروبا مربوط بما ستفعل في فلسطين، وأن «الاتحاد الأوروبي سيفقد مصداقيته إذا لم يتمكن من التغلب على الشلل والانقسامات التي تشق صفوفه وإذا لم يستطع أن يفرض على حكومة إسرائيل وقف إطلاق النار في غزة وإنهاء العنف والاستيطان في الضفة الغربية فورا مع حل الدولتين».

أولاف شولتز

مانويل ماكرون

أوليفر فارهيلي

ورأى الكاتبان أنه «مع الاعتراف بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها بعد هجوم 7 أكتوبر بشرط احترام القانون الدولي والقانون الإنساني فإن ما حدث هو فرض حصار كامل على قطاع غزة دون السماح حتى الآن بدخول كميات كافية من المواد الغذائية والمنتجات الأساسية، مما أدى إلى حالة من المجاعة شبه المعممة، وتم القصف والأعمال القتالية دون مراعاة للمدنيين، مما أدى إلى مقتل أكثر من 35 ألف شخص، أغلبيتهم العظمى من النساء والأطفال. كما تم تهجير أكثر من 1.7 مليون من سكان غزة قسرا، وتركوا يعيشون في ظروف محفوفة بالمخاطر، الى جانب تم تدمير أكثر من نصف المباني في القطاع، فضلا عن معظم البنية التحتية المدنية الأساسية وشبكات المياه والصرف الصحي والكهرباء».

ويضيف الكاتبان «كل ذلك رافقته مواقف إسرائيلية معلنة لصالح طرد الفلسطينيين من غزة، وإعادة احتلال القطاع، والرغبة في جعله غير صالح للعيش، الى درجة أن محكمة العدل الدولية في لاهاي اعتبرت أن خطر الإبادة الجماعية قد يكون قائما في غزة، مع تزايد التوسع العنيف للاستيطان غير القانوني بالضفة الغربية.».

وتساءل الكاتبان: «كيف كان رد فعل الاتحاد الأوروبي في مواجهة هذه الكارثة الإنسانية؟» ليوضحا أن دول الاتحاد رغم توحدها في مواجهة الحرب الروسية على أوكرانيا أصيبت بالشلل منذ 7 أكتوبر الماضي، بسبب انقساماتها العميقة حول هذا الصراع.

وتابع الكاتبان «في الأيام التي تلت هجوم 7 أكتوبر ذهب رئيس البرلمان الأوروبي ورئيس المفوضية الأوروبية إلى إسرائيل دون أي تفويض من المؤسسات الأوروبية، لتقديم دعم "غير مشروط" لحكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وأعلن المجري أوليفر فارهيلي في المفوضية الأوروبية من جانب واحد -وبشكل غير قانوني تماما- تعليق مساعدات الاتحاد الأوروبي للسلطة الفلسطينية، دون أدنى توبيخ أو عقوبة علنية». وقد دعمت المانيا بشكل غير مشروط حكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة ومنعت الاتحاد من العمل للمساعدة في إنهاء المأساة الإنسانية بغزة، وكأن المحرقة النازية ما زالت تلقي بثقلها على الضمير الألماني الجماعي (...).

من جانبها، لم تكن الحكومة الفرنسية -حسب الكاتبين- على مستوى التحديات والمسؤوليات التي يجب أن تتحملها، ولأسباب سياسية داخلية مرتبطة بتزايد كراهية الأجانب في الرأي العام الفرنسي فضل الرئيس إيمانويل ماكرون دعم حكومة نتنياهو لفترة طويلة وكسر التقليد الدبلوماسي الفرنسي الذي كان متوازنا ومحترما، وأضعف بذلك موقف بلاده.

وواصلا «رغم تمكن الاتحاد الأوروبي أخيرا من الموافقة على المطالبة بوقف إطلاق النار في نهاية مارس الماضي فإن موقفه بدا ضعيفا لغياب دعم العديد من رؤساء الدول والحكومات، بل إن أوروبا بقيت متخلفة عن الولايات المتحدة في فرض عقوبات على المستوطنين العنيفين بالضفة الغربية والوحدات العسكرية التي تدعمهم».

وحسب الكاتبين «إذا كانت أوروبا تبدو حتى الآن عاجزة وغير قادرة على التأثير في هذا الصراع فهذا ليس لأنها لا تملك الوسائل، والدليل هو أنها أكبر ممول دولي لفلسطين على الإطلاق، كما أنها الشريكة الرئيسية لإسرائيل في مجالات التجارة والاستثمار وانتقال الأشخاص، كما تعد أيضا مصدرا مهما للأسلحة الى إسرائيل من خلال ألمانيا، وبالتالي إذا لم تنجح أوروبا حتى الآن في ممارسة التأثير لإحلال السلام ودفع حل الدولتين فذلك لأنها لم ترغب في استخدام الأدوات القوية المتاحة لها . ونتيجة لهذا الجبن على حد تعبيرهما فإن آلاف الأرواح مهددة في فلسطين، وقد يتعرض السلام بالمنطقة كلها للتهديد إذا استمرت حكومة نتنياهو في ارتكاب المجازر والانتهاكات، مع عواقب وخيمة محتملة على أوروبا من حيث الانقسامات داخل مجتمعاتها وتدفق المزيد من اللاجئين.

وحتى بعيدا عن الوضع الإقليمي فإن مكانة أوروبا في العالم أصبحت اليوم على المحك، لا في العالم الإسلامي وحده، بل في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في أفريقيا وأميركا اللاتينية، حيث تمتد جذور انعدام الثقة في الغرب عميقا.

وفي هذا السياق، فإن الدعم غير المشروط المقدم لحكومة نتنياهو أدى إلى تحول شعوب الجنوب ضد أوروبا، وقد شهدنا ذلك بشكل خاص في الأشهر الأخيرة في منطقة الساحل، مع ما تترتب عليه من عواقب كارثية محتملة على المدى الطويل بالنسبة لأوروبا، حسب الكاتبين.

وخلص الكاتبان الى أن مستقبل أوروبا هو الذي أصبح على المحك في غزة، متسائلين: هل تريد أوروبا أن تصبح قلعة معزولة تقاتل جميع جيرانها في الشرق والجنوب المتحالفين مع روسيا؟ أم تريد أن تصبح قارة منفتحة على العالم، خاصة على جيرانها على الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؟

جرائم الصهاينة تفوق الخيال

الشارع الثقافي

العدد 408 - من الثلاثاء 28 ماي إلى الاثنين 3 جوان 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

مثقّفون يقيّمون المشهد الإعلامي الثقافي:

الاعلام الثقافي متأزم ويفتقد لمشروع وطنيّ جادّ

الكاتبة آمنة الرميلي لـ«الشارع الثقافي» :

حين تعود المطالعة مادة رئيسية بالابتدائي والإعدادي ستعود القراءة إلى مكانتها السابقة

وقفة

نوابغ آخر الزمان

بقلم : محمد الخالدي

فن تشكيلي

«الفن-الفعل» في مهرجان الفن المعاصر ببرج القلال : لبنة أولى تَعِدُ بغد مغاير للمعهود

بقلم : ألفة معلى

وقفة

نوابغ آخر الزمان

بقلم : محمد الخالدي - شاعر وروائي

يلاحظ المتابع للساحة الثقافية التونسية والأدبية منها تحديدا ظواهر عجيبة ما أنزل الله بها من سلطان، عادة ما تتداولها وسائل الاتّصال الاجتماعي وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى. ولكثرتها سوف نقتصر على بعضها فقط، فمن الظواهر اللافتة للانتباه في السنوات الأخيرة إقبال الجامعيّين غير المسبوق على كتابة الرّواية بعد بلوغهم من العمر عُتيّا وإحالتهم على المعاش.. وقد ردّ البعض هذه الهجمة إلى اللهاث المحموم وراء الجوائز النفطية الذي استبد بالكتاب في العقود الأخيرة، ليشمل بعد ذلك بعض الأكاديميين ممّن لم يسبق لهم أن جرّبوا السرد. أي أن الغرض من كتابة الرّواية مادّي صرف، وفي هذا جانب كبير من الصحة، مع أن الجامعيين هم أفضل حالا من الناحية المادية، مقارنة بمن ابتُلي بمحنة الكتابة من خارج صفوفهم. أمّا الدافع الحقيقي والخفي فهو البحث عن النجومية والشهرة. فقد انتبه هؤلاء إلى أن ما يُلقونه من دروس وما يحبّرونه من بحوث يظل حبيس أسوار الجامعة وبعض الحلقات الضيّقة من طلبة الدراسات العليا. وقد بدأت هذه «الصحوة» قبل سنوات عندما أقبل زميل لهم، وهو على أبواب التقاعد على كتابة «رواية» لأوّل مرّة، نال بها «جائزة عالمية». حدث ذلك في غفلة من الزّمن والرّوائيين، وفي ظروف غامضة ومتسارعة وأجواء كابوسية معتمة تذكّرنا بأجواء روايات أغاتا كريستي البوليسية. وبين عشية وضحاها تحوّل هذا الأستاذ من باحث مغمور إلى نجم تلاحقه وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، بما في ذلك برامج المنوعات الهابطة في قنوات المجاري. وحتى يكتمل هذا الحفل الجنائزي، انبرى المهلّلون والمطبّلون من الانتهازيين والوصوليّين والطامعين في الانتداب بالجامعة أو الرّقية، ينفخون في صورته ويسبّحون بحمده. وهكذا بسط ظلّه على الساحة، وأصبح نجم المهرجانات والملتقيات البائسة التي تُقام هنا وهناك من هذه الأرض المنكوبة، فجاب أصقاع البلاد من شرقها إلى غربها ومن غربها إلى شرقها بدعوة من المشرفين على هذه التظاهرات الجنائزيّة.

في الأثناء تسرّبت عدوى النجومية إلى عدد من الجامعيين الحالمين بالشهرة وما يرافقها من احتفاء وتكريم، فأدلوا بدلوهم وكتبوا بدورهم روايات «تتناول القضايا الاجتماعية والسياسية» (لكم أمقت هذه العبارة)، لعل الحظ يطرق بابهم فينالوا جائزة عربية مرموقة- تجعل منهم، بين عشيّة وضحاها مشاهير تلهث وراءهم وسائل الإعلام على غرار زميلهم سالف الذكر. وغاب عن هؤلاء أن لزميلهم أساليب أخرى لا تخطر على بالهم في الوصول إلى النجومية. وإلاّ لما أضاعوا وقتهم وحرقوا أعصابهم وأتلفوها في تحبير رواية لن يلتفت إليها أحد.

إن الشهرة الزائفة لا تعدو أن تكون صرحًا من ورق لا يلبث أن ينهار. فالنجومية التي حققها الفائز «بالجائزة» العالمية للرواية لم تنقذه من إحساسه الفاجع بفشله الذريع في أن يكون روائيا، ولا من يأسه الحادّ من دخول مملكة الرّواية كما كتبها ويكتبها أساطينها في العالم.

أمّا الأخطر في ظاهرة النجومية الطارئة هذه فهو تحوّل صاحبها إلى سلعة تُعرض في المنادب والمآدب على حدّ سواء، ويصبح التعامل معه بصفته تلك، لا بصفته مبدعًا. وكدليل على ذلك، فقد باض صاحبنا عددًا من الرّوايات والمجاميع القصصية بعد حصوله على الجائزة وما رافقها من ضجة إعلامية غير مسبوقة، لكنها مرّت مرور الكرام ولم يلتفت إليها أحد. ممّا ضاعف، ولا شك من إحساسه الفاجع بأنه دخيل على الرّواية، فظل يعتاش على تلك الجائزة...

من حق أيّ كان أن يسعى إلى الشهرة وأضوائها البرّاقة، وما تمنحه من حظوة ونفوذ، شرط ألا تكون هذه الشهرة قائمة على الزيف والمظاهر الخدّاعة. بل ما من ضير في أن يتحوّل فلان أو علاّن إلى «حيوان إعلامي» (une bête médiatique)، يفرض نفسه على وسائل الإعلام بإبداعه وعطائه الثرّ ولا يخلو مشهد ثقافي في البلدان الغربية من هذه الظاهرة. وقد زخر المشهد الثقافي الفرنسي، على سبيل المثال بعدد من هؤلاء «الحيوانات» لعل أشهرهم الكاتب والصحفي المرموق Jean D'ormesson الذي توّج مسيرته الحافلة بانتخابه عضوًا في الأكاديمية الفرنسية وكدليل على حضوره الإعلامي الطاغي، فقد استضافه برنار بيفو (B. Pivot)، الذي غادرنا مؤخرًا، أكثر من عشرين مرّة في برنامجيْه الشهيريْن (Apostrophes) و"حساء ثقافي (Bouillon de culture). وفي كل مرّة كان يحلّ ضيفا عليه بمناسبة صدور كتاب جديد له.

****

لكن الهوس بالكتابة في الرّمق الأخير من العمر لم يستبدّ ببعض الجامعيّين وحسب، إذ شهدنا ظاهرة أخرى، لا أدري ما إذا كانت تثير الشفقة أم السخرية أم الاثنتين معًا، ألا وهي إصابة فئة من النساء بلوثة الكتابة، هكذا فجأة ومن دون سابق إنذار وهنّ في أرذل العمر، وقد قيض لي الاطلاع على نماذج من هذه الإصدارات وأكاد أجزم، دون تردّد بأن بين صاحباتها وبين الكتابة ما بين الأرض والسماء، بل لم يسبق لهنّ أن قرأن رواية أو ديوان شعر، وإذا فعلن من باب الصدفة فإنّهن لا يتمثلن ما يقرأن لعدم امتلاكهن القدر الكافي من الثقافة لذلك... فبعض «الرّوايات» و«القصص» يمكن قراءتها من أيّ موضع منها، من وسطها أو نهايتها، أو بالمقلوب، لا فرق، فلا حبكة ولا أحداث أو شخصيات مقنعة إنما ثرثرة ولغو وكلام ينكح بعضه بعضًا، وقد تخلو من أبسط شروط الكتابة كالترقيم باستثناء نقاط التتابع التي تتوسط الكلمات كيفما اتّفق وقد تتوسط الجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه، فإذا الصفحة مرقشة بالنقاط من بدايتها إلى نهايتها.

أمّا ما يُنشر تحت عنوان الشعر، فلا يعدو أن يكون خواطر ساذجة أو سجعا ركيكا، يشي بأن صاحبته لم تسمع بالحرائق التي اندلعت في جسد القصيدة الحديثة، ولا ما حققته من تطوّر مذهل، إنْ على مستوى البنية أو المضمون أو التشكيل.

وبالرّغم من تهافت هذه النصوص وابتذالها وبالرغم ممّا فيها من اعتداء على اللغة وتشويهها فإنها عادة ما تكون مشفوعة بمقدمة عصماء يحبّرها أحدهم، يُفضل أن يكون اسمه مسبوقا بحرف الدال. فيذهب في روع «المؤلفة" المسكينة أنها كاتبة نحريرة أو شاعرة ملهمة، مادام الدكتور الفلاني قد شرّفها بتقديم إصدارها. وهذه جريمة أخلاقية في حقّها. فأن توهم أحدًا بما ليس فيه هو اعتداء صارخ على شخصه واستخفاف بعقله، عدا عن كونه نفاقا صريحا.

ولكي تكتمل الملهاة، تستعين هذه «الكاتبة» أو «الشاعرة» بأحد مرتزقي الصحافة للتعريف «بمولودها الجديد» بمقابل، فيحبّر مقالة يشيد فيها بنصّها «الباذخ» وأسلوبها «الماتع» إلى غير ذلك من العبارات الجوفاء التي درجت على السنة الكتبة في الآونة الأخيرة.

وغنيّ عن القول إن المستفيد الأوّل ممّن ابتلين بلوثه الكتابة في أخريات أعمارهن هم أصحاب المطابع الجشعون والناشرون اللصوص الذين يهتبلونها فرصة ليسلبوهنّ تحويشة العمر، وكان الأجدر بهن ادّخار تلك المبالغ الطائلة لمواجهة الشيخوخة وما تورثه من أمراض مزمنة.

إن الهوس بالكتابة، أو بأي فن آخر يبدأ عادة في سنّ مبكّرة. أي أثناء المراهقة وربما قبلها أحيانا. هذه هي القاعدة. أمّا الاستثناءات فهي قليلة لا تكاد تذكر ومن هذه الاستثناءات وأشهرها أبو أمامة زياد بن معاوية الذبياني الذي أغواه شيطان الشعر وهو في الأربعين من عمره، فسُمّي بالنابغة، وهو من شعراء المعلقات. فهل نعدّ شيبنا وعجائزنا ممّن أصيبوا بلوثة الكتابة في أخريات أعمارهم نوابغ أيضا؟

****

لقد بينّا الأسباب التي حدت ببعض الجامعيين إلى خوض غمار الرّواية في سنّ متأخرة أو بعد تقاعدهم. فما الذي يدفع ببعض السيدات وهنّ على أبواب الشيخوخة أو بلغنها إلى أن يخضن، بدورهن، غمار الكتابة، هكذا، فجأة ودون سابق إنذار؟؟ لا أملك إجابة محدّدة عن هذا السؤال، وإنما بعض التخمينات ليس إلاّ: فقد يكون الدافع تحقيق رغبة دفينة لم يتمكّن من تحقيقها في ما مضى من أيامهنّ، وقد يكون حبّ الظهور أوتعويضاعمّا فاتهن، أو الملل... من يدري؟ الشيء الوحيد المؤكد هو أن وسائل الاتصال الحديثة هي من شجّعت هؤلاء على الارتماء في محرقة الكتابة، فهي الطريق الأسهل والأقصر إلى الشهرة وربط العلاقات مع القاصي والداني...

إن ما يبقى هو النص ولا أظنّ أن ما تنشره هذه الفئة من النساء جدير بالبقاء. ومع ذلك فإن هستيريا الكتابة ما تنفكّ تزداد حدّة في صفوفهنّ.

****

هذا غيض من فيض، وما خفي أعظم وأدهى. فالساحة الثقافية في هذه البلاد تعاني من أمراض مستعصية لا تُحصى.

مثقّفون يقيّمون المشهد الإعلامي الثقافي:

الاعلام الثقافي متأزم ويفتقد لمشروع وطنيّ جادّ

عواطف البلدي

تحدّيات وصعوبات كبرى طالت المشهد الإعلامي الثقافي بعد انتقاله من الشكل التقليدي إلى الفضاء الرقمي أبرزها انعدام الدعم وغياب التمويل الكافي. تحديات تتطلب من الجميع تضافر الجهود لضمان استمرارية هذا المشهد الحيوي «الأقدر» على التغيير وعلى بناء وعي جماعي يعزز الهوية والقيم الكونية. ورغم تلك التحديات فإن المشهد الاعلامي الثقافي في تونس يملك أكثر من فرصة للنمو والتطور عبر دعم المشاريع الفنية والفكرية والأدبية وخاصة الشبابية وخلق بيئة إعلامية ثقافية أكثر ثراء وأكثر عمقا تكون قادرة على فتح آفاق جديدة للتعبير والإبداع. وقد يتطلب هذا الأمر رؤية استراتيجية طويلة الأمد تركز خاصة على تطوير الاعلام الثقافي ودعم مشاريعه لضمان استمراريته وتنوعه.

ملحق «الشارع الثقافي» فتح الملف في محاولة لسبر آراء بعض المثقفين حول المشهد الإعلامي الثقافي في تونس واستئناسا بتجاربهم لتعزيز الاضاءات وتجاوز الهنات .

في كتابه «الثقافة وتجلّياتها» يرى الدكتور علي ناصر كنانة أن «مفهوم الثقافة يكتسب دلالاته في مجالين أولهما ما يعنيه من تعبير عن نمط اجتماعي معين في التفكير والسلوك وثانيهما في ما يشمل توصيف جميع أصناف الابداع الفكري والادبي والفني موروثا وحاضرا». هذا المفهوم يحيلنا بالضرورة الى دور الثقافة في بناء وعي اجتماعي أساسه حرية التفكير والتعبير. ثم ليس صدفة أن تسبق لفظة «موروثا» قبل «حاضرا» في تعريف الثقافة عند د. كنانة لدراية منه أن الثقافة الحقيقية الحديثة والمعاصرة هنا والان لا تبنى الا اذا كان الانسان مطّلعا على الموروث الحضاري والاجتماعي والفكري والفلسفي والفني والادبي والتاريخي والديني قبل أن يؤسس لمشهد راهن مبني على فراغ وخواء... أما اليونسكو فقد وضعت سنة 2001 مفهوما شاملا للثقافة جاء فيه أن «الثقافة هي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميّز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وتشمل الفنون والاداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات والثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته وعلى النقد والالتزام الأخلاقي وهي وسيلة الانسان للتعبير عن نفسه وابداع اعمال يتفوق فيها على نفسه...» . ولعل الأسئلة المطروحة هنا هي: ما مدى تقيّد الاعلام الثقافي اليوم بهذه التعريفات والمفاهيم الموضوعة مسبقا؟ وهل ما ننجز يصب في خانة تلك الثقافة التي تهدف بدرجة أولى الى بناء وعي نقدي وفكر حر أم أننا مجرد «مخبرين» نكتفي بنقل الخبر وتغطية الأنشطة الثقافية الفنية والأدبية؟ وهل استطاع الاعلام الثقافي خدمة قضايا الثقافة وقضايا هذا الوطن؟ أم نكتفي بتطبيق ما ورد بكتاب «تكنولوجيا الاعلام المتخصص» للدكتورة نورهان سليمان التي اعتبرت أن «الاعلام الثقافي يعالج الاحداث والظواهر والتطورات الحاصلة في الحياة الثقافية ويسعى لمواكبة هذه الحياة والتفاعل معها..» ؟ هنا فقط نتساءل عن الدور الموكول لنا او الذي من المفترض ان نوكله لأنفسنا استئناسا بما ورد في تعريف «اليونسكو» باعتبار أن «الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته» بشكل حر ومن ثمة انفتاحه على الذوات والثقافات الاخرى.

أسئلة كثيرة تراودنا نحن المشتغلون بالاعلام الثقافي رغبة منا في تجميل الجميل وتعديل النقائص وتجاوز الأخطاء وهذا لا يكون الا بانفتاحنا على النقد وتقبّل الرأي الاخر، ومهما كانت اختلافاتنا فإن المشهد الثقافي يتّسع للجميع. بسبب كل هذه التساؤلات التي تقفز الى ذهني بين الحين والآخر طرحت سؤال «كيف تنظرون الى المشهد الإعلامي الثقافي اليوم في تونس؟» فكانت هذه الآراء البنّاءة:

الشاعر منصف المزغنّيّ
التأمل في الانتاج الادبي هو ضرورة وطنية في تونس الجديدة

١- أعتقد ان الاعلام الثقافي غير متوازن، ولا داعي للمقارنة بين الحقل الادبي والحقل الفني، حيث ان اخبار اهل الادب، والحوار معهم، والتطلع الى انتاجهم وطموحاتهم هو الحلقة الاضعف بكثير ،،، ٢-

ان اجيالا ثقافية ادبية جديدة تولد في تونس، بين فترة واخرى، ولا نكاد نرى صدى لاعمال البعض من مواهبها، واجتهاداتها في المشهد الاعلامي (المرئي، واسمعي البصري، والمكتوب)، وهو مشهد ولوع بالموسيقى ،والغناء، حدّ المرض، كما عهدناه ،،، ،

إنّ التأمل في الانتاج الادبي هو ضرورة وطنية في تونس الجديدة أبدا ،،، لمتابعة هذا النموّ والتدفّق الذي يحياه الشباب التونسي في مجالات الفنون والاداب خاصة ،،،

دون نسيان الشباب الذي يتعاطى الفنّ التشكيلي او يسعى الى التجريب في الابداع المسرحي السينمائي، مثل هذا الشباب يحتاج الى الحضانة المصرفية والاعلامية الوطنية بما يجعل انتاجهم المعلن مُنْتظَرًا من قبل عموم مستهلكي الثقافة،،،

الواضح أن الشباب الفنّي والثقافيّ هو طاقة إنتاج، وبحث وتجريب ،،،

ولا مناص له من ان يكون طاقة افتكاك الضوء الاعلامي، وذلك لأنّ الاعلام يحرّض المبدعين الشبان على خوض غمار الانتاج الجمالي ،، ومن هذا الانتاج يبرز الابداع وتطفو مواهب شبان جدد، ويجعلهم يشعرون بأن مايقومون به هو شأن خاصّ، ولكنه ضروري للشأن العامّ ،،،

والاعلام الثقافي قادر على ان ينتج حالة الانتظار لدى ما يمكن ان نسميه (الجمهور) او (المستهلك الثقافي والفني) وارى ان على الشباب ان يشعروا بحقهم الجمالي من المجموعة العمومية

ولا يُطلَب منهم ان ينتظروا كثيرا ،،، والمشهد الاعلامي سيقوم بواجبه نحوهم، وان لم يقم، فان ابداعهم سوف يذكرهم بواجب تذكير الاعلام الثقافي بواجبه نحوهم، ونحوهنّ .

إنّ السؤال مطروح على الاعلام بكافة مستوياته (المسموع والمرئي والمكتوب) ولا مناص للجيل الجديد ان يعلن عن نفسه، اولا، واخيرا، بالرغبة في الاقناع بالابداع، وليس لمجرد التسويق الذي يخشى عليه ومنه، بأن يصير مجرد تسويق مالي بلا تشويق جمالي ...

ولا مناص من التأكيد على ان العمل الابداعي هو غير العمل الصناعي، رغم ان الفنّ صناعة متوارثة ولكنها تنتظر دوما من الشباب ان يجددوا العهد مع الماضي، وينطلقوا في البحث عن آفاق جديدة بعد ان ترسخت تجارب الكهول الذين كانوا شبابا، وصاروا جسرا للقادمين الجدد من الشباب الابداعي، في كل الفنون ،،،

والمشهد الاعلامي الثقافي اليوم، قد لا يجد في الشباب قدرة على الحوار، لأن بعض الشباب قد لا يقدّم غير الشكوى من إقصاء، لا وجود له الا في اذهان شباب تصوّر ان الابداع الفني والثقافي والادبي عملاً سهلاً ،، قد يشعر شباب الفنون والابداع في شتى المجالات

بانهم مهمّشون، وقد يكون معهم حقّ، ولكن الاصل في الاشياء ان الابداع، والنفس الطويل، والصبر الجميل هو ما تنتظره الحياة لتستمر ،، في هذه الحياة التي تكره الفراغ، وتأبى شكوى الزمان، وتنتظر كل نجم قادر على الإضاءة، حتى لا تضيع الاصوات في الشكوى من الظلام والاعلام .

الكاتب عيسى الجابلي

في ظل هذا التجاهل فقَد الإعلام الكلاسيكي دوره الريادي في اكتشاف المبدعين

أرى أن الإعلام الثقافي في تونس، إن كان كثيرٌ ممّا نراه من تهريج يسمّى حقّا إعلاما ثقافيّا، بعيدٌ كلّ البعد عن مسايرة الطفرة التي يشهدها واقع الثقافة من حيث الكمّ على الأقل. وأمام ندرة البرامج الثقافية في الإعلام هناك كمٌّ إبداعي هائل في كل الفنون تقريبا لا يمكن متابعته ببرامج هزيلة وكلاسيكية يكاد لا يتابعها أحد، ثمّ إنّ الوصول إليها أمر شبه مستحيل تقريبا، ويجب أن تكون من المبشرين بالجنة كي تُدعى إلى برنامج تلفزي للتعريف بكتابك أو بتجربتك، وأن تكون لك علاقة صداقة بمقدّم البرنامج. في ظلّ هذا الوضع البائس تحاول الإذاعة الثقافية مثلا أن تفكّ الحصار عن المبدعين باستضافتهم للتعريف بإبداعاتهم المتنوعة. وأعتقد، من خلال متابعتي على الأقل أنّ الملحق الثقافي لأسبوعية الشارع المغاربي قد فتح الباب لمئات المبدعين في شتى المجالات لنشر إبداعاتهم والتعريف بتجاربهم والمساهمة في ملفاته بأقلامهم وآرائهم، حتى صار الملحق ملاذ كلّ الذين قست عليهم الجغرافيا، وأقصتهم البرامج التلفزية والإذاعية، وقد قرأت لمبدعين كثيرين نشروا نصوصهم لأول مرة في الملحق ودخلوا مجال الإبداع من بابه وصاروا من كتابه، وهي تجربة من أهم تجارب الصحافة المكتوبة أُديرت بدراية وحنكة.

أعتقد أنّ الإعلام الكلاسيكي في ظل هذا التجاهل قد فقد دوره الريادي في اكتشاف المبدعين ودعمهم، وضاع الإبداع في الاستضافات الإخوانية. وشخصيا راكمت على امتداد عشرة أعوام تجربة إبداعية بسيطة نالت حدّا أدنى من التقدير، ولكنني لم أُدعَ إلى التلفزة الوطنية إلاّ في مناسبة واحدة في برنامج «بيت الخيال» سابقا. حصلت بعدها على عديد الجوائز الأدبية الوطنية والعربية. وبما أنّني لا أتزلّف لأحد، ولا أقبل مطلقا أن أكون من جماعة «بربي اكتب عليّ حويجة» أو «بربي استضيفني»، وبما أنّني لستُ نديمَ مقدّم برنامج ثقافيّ، بما أنّني لست من هؤلاء، ولن أكون منهم أبدا، فقد رأيت أكثر من مرة من يستضيفونه في برنامج ثقافي وفي رصيده كتاب أو كتابان، فقط لأنّه من قريش. ثمّ إنّني أرفض الشكوى ودور الضحية، ولهذه الأسباب وغيرها أكتفي بالكتابة وحسب.

وفي ظلّ هذا الإفلاس الإعلامي الثقافي الذي ينحدر نحو القاع بسرعة الضوء ركب المبدعون موجة الإعلام البديل، فسخّروا وسائل التواصل الاجتماعي للتعريف بالأدب والفن والتسويق لهما، وأؤكّد لك أنّ عدد متابعي قناة يوتيوب أو صفحة على فايسبوك متخصصة في الثقافة يتابعها أضعاف من يتابعون بعض «البرامج الثقافية» البائسة على القناة الوطنية.

الروائي والجامعي الأزهر الزناد

على الهيئات الرسميّة والإعلامية سنّ إطار تشريعي يحدّد رسالة الإعلام الثقافيّ وتوجهاته

يشهد الإعلام في بلادنا انتعاشا كبيرا، ولكنّ الثقافة لم تستفد منه كثيرا. وقد تستفيد الثقافة من هذا الواقع:

– بتخصص بعض الإعلاميين في نوع ثقافيّ بعينه يتعمق في تاريخه ومدارسه واتجاهاته المختلفة محليا وعالميا، فينهض بمهمّة الإعلام والنقد وينتقي الأعمال الجيدة ويقدّرها حق قدرها للرقيّ بالإبداع وفتح السبيل إلى العالميّة، لأنّ الحديث عن الثقافة (أدب، مسرح، سينما، وموسيقى، إلخ) لا يمكن أن تكون في حصص المنوعات ذات الفائدة المحدودة.

–بتجاوز الإخوانيات والصداقات في العناية بالأعمال، لأنّ الكثير من الأشخاص يبقون خارج الدائرة لقلة علاقاتهم أو لطبع فيهم.

–بإنشاء مصالح أو لجان تشرف، في المؤسسات، على خط تحريري يراعي القيمة الثقافية العالية بدل نشر التفاهة والرداءة بدعوى المساواة بين الأشكال التعبيريّة أو مراعاة الميول العامّة.

–بأن تسنّ الهيئات الرسميّة والنيابيّة والإعلامية (العمومية والخاصّة) إطارا تشريعيا أو ميثاقا مهنيّا عامّا يحدّد رسالة الإعلام الثقافيّ وتوجهاته وفلسفاته، بدل أن يترك المجال للأفراد أو المؤسسات الإعلامية، مفتوحا للسباق لرفع نسب الاستماع والمشاهدة.

– بأن تخصّص كلّ مؤسسة إعلاميّة مساحة في أوقات الذّروة لعرض مضامين ثقافية راقية عميقة، بدل برمجتها في وقت لا يتابعها فيه أحد، ولمَ لا يعاد بثها (بطلب من الجمهور!) مثل مسلسلات تافهة كثيرة؟

فللإعلام سلطان على العقول ... وأيّ سلطان!

الروائي الطيب الجوادي:`

ما ينقص الاعلام الثقافي هو تقريب المتلقي من العمل الابداعي

هناك رغبة واضحة من مختلف وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في وصل المتلقين بمختلف أعمارهم ومشاربهم بما يستجد من احداث ذات بعد ثقافي، ولعلّ ما تفعله «الشارع الثقافي» هو أفضل مثال على ذلك الجهد، اذا تخصص أكثر من نصف صفحاتها للثقافة وللتعريف بالاصدارات الجديدة، ونقد بعضها، بقي أن ما ينقص الاعلام الثقافي هو تقريب المتلقي من العمل الابداعي مسرحا كان أو أدبا أو شريطا سينمائيّا من خلال تولّي نقاد مختصين تلخيص العمل والوقوف عند مواطن الجذب فيه ليكون المتلقّي على بيّنة من الكتاب أو المسرحية أو الشريط السينمائي،اذا لا يكفي في مجال الرواية مثلا مجرّد الاعلان عن العناوين الجديدة،بل يجب تقريبها من القارئ كما أسلفنا،وهو ما يدفع القارئ الى الاقبال على العمل الابداعي

الروائية كلثوم عياشية:

ما يحسب للصحافة المكتوبة وحتى المسموعة في بعض الاذاعات انها حافظت على حدّ محترم من الالتزام بالترويج للابداع في مفهومه الجاد

يعتبر الاعلام الثقافي المحرك الرئيس للعمليّة الابداعية برمتها فاي شكل من اشكال الابداع لا يمكنه ان يدرك بغيته دونه فكل عمليّة فنيّة او فكرية مهما كان مشغلها تبقى صوتا يردده صاحبها بينه وبين نفسه او بين المحيطين به في اطر ضيقة حتى يتلقفه الاعلام فبمنحه الصدى ورجعه ويقرب المنجز من المتذوقين

غير انّ وضع الاعلام الثقافي والقائمين عليه وحتى الجماهير التى يستهدفها اتسع بشكل بلبل الرأي واوقع مفاهيم عديدة في اللُبس واصبح معنى الثقافة في حدّ ذاته مستسهلا .فامام الطفرة التكنولجية وتعدد القنوات غير الرسميّة وامكانية الكتابة والتصوير الحرّ والتوثيق والتسويق تراجعت مفاهيم تقليدية ووضعيات سادت لعقود واخلت احيانا بجوهر الثقافة ومفهومها اذ اختلف تقيم المحتوى المقدم للجماهير وكيّف الذائقة العامة وحملها الى مستويات خطرة من الضحالة. ويبدو ان المشغل المادي للعديد من القنوات انساق وراء هذه الموجة القائمة على الادهاش ولفت الانتباه التى رسختها المواقع الالكترونية والمنصات الساعية الى الشهرة فاصبح بعض الاشخاص نجوما على حساب الشعراء والادباء والكتاب والرسّامين ليتصدر المشهد صناع المحتوى دون اعتبار لشهائد علمية او تحصيل ادبي اوفني وغدا المقياس عدد المشاهدات التى يحصلونها يوميا في المواقع السبرالية رغم حجم المغالطات والمعلومات الخاطئة والتأسيس للضحالة والرداءة وحتى الرذيلة احيانا

ما يحسب للصحافة المكتوبة وحتى المسموعة في بعض الاذاعات انها حافظت على حدّ محترم من الالتزام بالترويج والحديث عن الابداع في مفهومه الجاد الذي لا يستسهل تصنيف الاعمال الفنية ويخضعها الى مقاييس معينة تحد من تهافت الادعياء والمستهترين الذين عودوا الناس على الرداءة والعنف والصّخب

فلعل في اعادة تنظيم القطاع وتنقيته من الدخلاء والتصدي لثقافة التفاهة فرصة ليستعيد الاعلام الثقافي دوره في خدمة الفنون والابداع ليرقى بمجتمع حولت وجهته المواقع الالكترونية ورسخت فيه استهلاك المعلومة وتصديقها دون اعمال للفكر فللصورة سطوتها وهو عصر الصورة بلا منازع. المهمة صعبة والعمل على استرداد دور الاعلام الثقافي ضروري حتى لا تندثر فئة من المبدعين مقابل طفرات وظواهر صوتية تافهة ستحمل المجتمع الى ما تحمد عقباه.

الناشر والروائي سامي مقدم

تغييب الشعراء والكتّاب والناشرين والنّقّاد وحتّى القرّاء عن الحصص التلفزيّة يبدو أمرا عاديّا رغم أنّها مصيبة

لستُ أعتقد أن هناك ما يمكن أن نطلق عليه اسم «مشهد اعلامي ثقافي»، فباستثناء ملحق «الشارع المغاربي» الثقافي، وحصة مريم بالقاضي «أحنا هوني»، وحصص المثابرة آمنة الوزير، وحصص كريمة الوسلاتي وسماح قصد الله وبعض الحصص الإذاعيّة اليتيمة التي تُبثّ بعد أن ينام الجميع (رغم مجهودات الصّحفيين اللذين أحيّيهم) لا يمكننا ابداء رأي في شيء لا يُوجد.

لا ألوم كثيرا الصحفيين والإعلاميين فالمادّة نفسها غير متوفّرة، أي المعلومة. في معرض تونس الدّولي للكتاب تمّت دعوة قامات أدبيّة مثل بثينة العيسى وسعود السنعوسي وعادل عصمت والمترجم مارك جمال، لكن لم ينتبه إعلامي واحد إلى ذلك ليدعوهم إلى حصّة إذاعيّة أو تلفزيّة. في الحقيقة لا أرى اعلاميا واحدا في تونس له القدرة على محاورتهم. ستكون الأسئلة سطحيّة هزيلة، ببساطة لأن من سيستضيفهم لم يقرأ كُتُبهم، بل قرأ على الأكثر ما قيل عنهم.

في تونس لا توجد احصائيّة واحدة عن الكتب. لا نعرف قائمة الكتب الأكثر مبيعا ولا نعرف عدد النسخ ولا عدد الطبعات.. مادّة كهذه بامكانها أن تغذّي أركان حصّة حول الكتب، لكن المعلومة نفسها غائبة، فكيف نلوم على غياب الحصّة الثقافيّة ذاتها ؟

الجوائز الأدبيّة هزيلة في تونس، في عددها وفي مبلغها، ولا تُحظى بتغطية اعلاميّة. توزيع الكتب الذي يقتطف خمسين في المائة من عوائد الكتب، لا يقوم بمهمته الأساسيّة وهي الاشهار والتعريف وتدريب أصحاب المكتبات على آخر الاصدارات حتى تتمكّن من بيعها بسلاسة. المزّع في تونس هو شركة نقل خاص توصل الكتاب من الناشر إلى المكتبة، دون أن يسمع أحد بصدوره.

في الحقيقة قطاع الكتاب في تونس صحراء قاحلة، لكنّي أرى هذا بعين متفائلة، فمن السهل تحويل جزء من الصحراء إلى واحة.. بقليل من الإرادة والعمل الجادّ.

تغييب الشعراء والكتّاب والناشرين والنّقّاد وحتّى القرّاء عن الحصص التلفزيّة يبدو أمرا عاديّا رغم أنّها مصيبة. لهذا يلجأ القرّاء عادة إلى الإعلام الثقافي البديل الذي يقدّم محتوى راقيا، على اليوتوب والإنستغرام، مثل قناة سونيا بن باهي أو قناة فارس بن صويلح الذي حاور مؤلفين من العالم أجمع في بثّ حي يتابعه العديدون. حتّى نوادي القراءة الجادّة في سوسة ونابل وتونس لا تحظى بحضور في المشهد الإعلامي الكلاسيكي، لكنّها تتمتّع بصدى كبير في مواقع التواصل الاجتماعي وتستضيف أكبر وأهم الكُتّاب في تونس فتكاد تكون الفضاء الوحيد للكاتب ليلتقي بجمهوره، في ظل تجاهل تام من الإعلام الكلاسيكي.

الباحثة والروائية هاجر المنصوري

المشهد الإعلامي الثقافي الرسمي والخاص يعيش مأزقا بسبب القيود السياسيّة والخطوط الحمراء

يطالعنا الإعلام الثقافي في مستواه النظري صرحا قائما على ترسيخ معاني الوعي وقيم المسؤوليّة وحريّة التفكير والنقد والحوار، وعلى دعم مسيرة التنمية السياسيّة والاجتماعيّة..إلخ. ولكن في مستواه الإجرائي وعلى قلّة مشهديّته في عالمنا العربيّ عموما أمام سطوة « البوز» و« الأوديمات»، تخفّ بعض المعاني والقيم وتثقل موازين الدعم إلى مسار دون آخر وقد يضيع هذا الدعم في طريقه إلى التنمية المرجوّة. ويتشكّل الحبل السريّ للمشهد الإعلامي الثقافي في ارتباطه بنظمنا السياسيّة التي ما تزال تقليديّة على ما تدّعيه من حداثة، بل ويلتفّ على الرّأي العام بما يروّجه من فكر ماضويّ، وشعارات زائفة، وبما يختلقه من أحداث تتناسب مع رغبة هذه النظم في المحافظة على مواقع نفوذها، أو من تحوير للوقائع التاريخية والثقافيّة حتّى يضغط على الرأي العام ويضلّله إعلاميّا بما يخدم التوجّهات المعلنة والمخفيّة. وكل ذلك يقودنا إلى حقيقة أن المشهد الإعلامي الثقافي الرسمي والخاص يعيش راهنا مأزقا باعتباره إعلاما مليئا بالضوابط والقيود السياسيّة، والخطوط الحمراء منها وحتّى «الجويّة» العابرة للحدود. ويكفي أن نتحدّث عن تجربة خاصّة مررنا بها في أحد البرامج « الثقافيّة» التي استضافتنا حتّى نتبيّن خطورة ما قد يرتدّ إليه المشهد الثقافي من أسئلة كنّا نعتقد على الأقلّ في تونس أنّنا تجاوزناها مثل مفهوم المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات بين النساء والرجال.

محمد فوزي المستغانمي
أستاذ جامعي

الإعلام الثقافي بين مشروع الثورة السياسية والثورة الثقافية

يقوم الاعلاميون عادة في مجال ثقافة المهرجانات المحلية والوطنية والتركيز على ما يثير فضول القراء والمشاهدين والتركيز على الصورة الخارجية والأصداء والأضواء وفساتين الفنانات والصراعات التي تنشأ بينهن على السجاد الأحمر أو حواشيه وفي الغالب عدم التركيز على المضامين الثقافية لهذه المهرجانات التي مرجعيتها الأساسية هي تلبية رغبة الجمهور حتى وان كان على حساب رفعة المستوى. فالمقياس بين المبدعين وبين الإعلاميين كذلك هو تنافس من اجل نسبة القراءة والمشاهدة.

أن الثورات بما تحمله من معنى التغيير الجذري على جميع المستويات لا يمكن ان تقوم الا على عاتق نهضة فكرية وثقافية تغير المرجعات الذهنية السائدة وتقوض النظم الفكرية وهياكلها لتؤسس لفكر جديد. منذ 14 جانفي 2011 حاولت الأحزاب والشخصيات الوطنية والمنظمات الحزبية والجمعيات الدخول في حراك السياسي وقد عشنا مختلف مراحله الا ان ما بقي راسخا في ذاكرة كل التونسيين الفوضى التي شهدها المشهد الاعلامي لاسيما في المجال الثقافي حيث جمعت البرامج التلفزية والاذاعية كل الوان التفاهات لخدمة هذا الحزب أو ذاك وسادت الفوضى لا الاعلام فقط وانما الساحة الثقافية ذاتها وظهرت أصناف لم نألفها ولم تقدم ولن تقدم للمشهد الإعلامي الثقافي ما يمكن ان يحقق الثورة الثقافية التي تكون قاعدة فكرية لثورة فعلية في الذهنيات تنعكس حتما على النظم والهياكل وعلى العلاقات بين مختلف مكونات المجتمع السياسية منها والفكرية والاقتصادية فالثورات لا تكتمل الا زخم فكرية يتقاسمه الشارع في اطار راق من العلاقات بين الأطراف مهما تعددت ولا اعتقد أنه يتحقق بأسلوب الكرونيكارات والانستقراموزات وصانعي اللامحتوى..

في هذه الصورة التي لم أردها قاتمة كانت هناك بعض الأقلام وبعض الاعلاميين الذين لم يضعوا انفسهم فوق الربوة ولم يعمّقوا الفوارق بينهم وبين القارئ والمشاهد والمستمع منها بعض البرامج الثقافية ببعض الإذاعات والتي حاولت تقديم حتى معرفي وثقافي يساهم في تهذيب الفكر وصقل المعرفة ولا ندري مدى اشعاع هذه البرامج وهناك كذلك بعض الصحف لاسيما الرقيمية منها التي تحاول ان تكون منابر للثقافة والمعرفة وحاولت التقليص من الهوة الفاصلة بين الباحثين الاكاديميين وبين الراغب في الوصول ال المعرفة نخص بالذكر منها جريدة الشارع المغاربي التي الى جانب صفحاتها الإعلامية الإخبارية خصصت حيزا هاما من صفحاتها الى الجانب الثقافي وفتحت أبوابها للباحثين من مختلف الاختصاصات لتتطرق الى موضيع متنوعة تفتح باب النقاش وتثري الرغبة في المعرفة ومزيد البحث والتقصي.

الروائي والشاعر سفيان رجب:
أغلب الملاحق الأدبيّة انقرضت ومجلّة الحياة الثقافيّة انطفأ ألقها

الحقيقة أنا أرى أنّ الاعلام بطبيعته ثقافيّا اجتماعيّا، لعلّك تقصدين الاعلام المتخصّص في المسائل الفنيّة والأدبيّة مثل الاذاعة الثقافيّة والحياة الثقافيّة والملاحق الأدبيّة. أرى أنّ هذه المنابر تشهد تراجعا كبيرا، فأغلب الملاحق الأدبيّة انقرضت، ومجلّة الحياة الثقافيّة انطفأ ألقها الذي عرفته في تسعينيات القرن الماضي وأوائل الألفيّة الجديدة. لم تبق سوى بعض البرامج القليلة في الاذاعة الثقافيّة والتي يشرف عليها بعض المبدعين، وملحق الشارع المغاربي الذي يحاول طرح الاشكاليات الحارقة في المشهد الثقافي التونسي.

بعض الصحف العريقة حاولت إعادة ملاحقها الأدبيّة، لكنها عادت ببدلات مهترئة لا تجديد فيها. فالثقافة مثل الماء إن لم تتجدّد أسنت وتحوّلت إلى برك متعفّنة، وهذا حال الشّأن الثقافي في بلادنا.

الشاعرة هدى الدغاري :
منارات حرة تسعى جاهدة لبناء نمط ثقافي جادّ منها بعض الملاحق الأدبية المختصة كملحق «الشارع المغاربي» وملحق جريدة «الشعب»

ساهم تنامي وسائل الإعلام بين المسموع والمكتوب والمرئي في تشكيل الأنماط الثقافية بمختلف توجهاتها وهذا ما بجعلنا نتحدث لا على تأثير وسائل الاعلام على الثقافة فحسب وانما ايضا التّأكيد على خطورة الدّور وحساسيته، ذلك الذي يلعبه الإعلام.

فهو القناة التي تمرّ من خلالها الثقافة نحو المجتمع، لا سيّما في ظلّ ما تعيشُ الشعوب اليوم من انحسار للقراءة واعتبار للكتاب الورقي.

أصبحت هذه الوسائل، هي المنتجة للثقافة والمروّجة لها، بل هي التي تشكّل ذائقة المتلقي وتصنع ثقافته من خلا ل توجبهه إلى نمط ثقافي معيّن تسعى إلى ترسيخه من خلال تقنية التكرار غير البريئ.

هذه الإنتقائية لنمط معين يقتضي بالضّرورة طمس أنماط أخرى بفعل مبدا الهيمنة يفترضها منطق راس المال الذي يؤذن بدخول الثقافة إلى عالم السّوق ممّا يجعلنا نطرح هذه العلاقة ذات الابعاد الثلاث : الاعلام/ الثقافة /راس المال

يكون فيه الاعلام بيد رأس المال يحرّكه كيفما يشاء، فضلا عن اختياره للنمط المراد ترويجه

لتصبح الثقافة بهذا المفهوم سلعة، ويتحوّل المتلقي إلى مستهلك يُجنّد له رأس المال كل ترسانته بما في ذلك الإعلام لاستمالته لثقافة استهلاكية تحرّك الجسد وتستفز الغرائز ولا تبني انسانا يفكّر.

في هذا السياق تعيش الثقافة في ظل راهن الاعلام اليوم ازمة حقيقية نتج عنها تسطيح للعقل مقابل انتاج للّامعنى. ولعل البرامج التلفزية في بعض القنوات الخاصة ساهمت بشكل كبير في تدجين جيل كامل في ثقافة البوز واطلاق الألسن لمن يسبّ اكثر! بل وتتهافت الكثير من المنابر الإعلامية لاستضافة نماذج جاهلة، موغلة في التفاهة لتقدمها للمشاهد كقُدوات !

هذه القتامة التي لا يزال يكرسها واقع الإعلام الثقافي في البلاد إلى اليوم لا تنفي وجود منارات حرة تسعى جاهدة لبناء نمط ثقافي يرتقي بوعي الإنسان منها بعض الملاحق الأدبية المختصة كملحق الشارع المغاربي وملحق جريدة الشعب وغيرها من المواقع الثقافية الجادة التي لا زالت تناضل رغم الصعوبات من اجل ارساء ثقافة جادّة وحرّة.

الكاتبة نورة عبيد:
الإعلام الثقافي في عمومه موسميّ مهرجانيّ يفتقد لمشروع وطنيّ مستقبليّ

يرتبط الإعلام الثّقافي بالمؤسّسات الثّقافية. ولا يخفى على أهل الثّقافة هشاشة هذه المؤسّسات، بدءا بوزارة الثّقافة الّتي لم تشهد استقرارا إداريّا منذ الثورة. فمع كلّ وزير تتغيّر الوعود وتتفاقم أزمة قطاع الإعلام عموما الّذي ينضوي تحته الإعلام الثّقافيّ المرئيّ والمسموع والمكتوب والرّقميّ لا سيما ماديّا. إذ يحتاج هذا القطاع إلى تبنّي المؤسّسات الاقتصاديّة لمشاريع ثقافيّة تؤسّس لمستهلك دائم للمادّة الثّقافيّة يفوق ولعه بالثّقافة ولع المشتغل بها.

ومع ذلك تقدّم الملاحق الثّقافيّة للجرائد التونسيّة، ومنها ملحق «الشّارع الثّقافيّ» لجريدة «الشّارع المغاربيّ» أو «منارات» الملحق الثّقافيّ لجريدة «الشّعب» قراءات جادّة في الرّاهن الثّقافيّ من حيث السّياسة الثقافيّة والرّاهن الثّقافيّ الوطنيّ والعربيّ والدّوليّ. ولا يمكن ألاّ نثمّن دور البرامج الإذاعيّة لا سيما إذاعة «تونس الثّقافيّة» في الاعتناء بالمشهد الثّقافيّ في ما تقدّم من برامج تفاعليّة تحتفي بالمبدعين عموما وجمهور التّلقّي. وحريّ بالذّكر الاهتمام بالإعلام الثّقافيّ الرّقميّ الّذي تزايد واكتسح الإعلام الورقيّ والتّلفزيّ. إلاّ أنّ هذا الإعلام في عمومه موسميّ مهرجانيّ يفتقد لمشروع وطنيّ مستقبليّ.

رغم قتامة المشهد الإعلامي التونسي اليوم ورغم ما يعانيه أغلب صنّاعه من تجاهل وتهميش وأمام غياب الدعم المادي الضامن الوحيد لديمومته فإننا رصدنا من خلال هذا الملف التقييمي للمشهد الإعلامي الثقافي نقاطا مضيئة كثيرة بإمكان المشرفين على هذا القطاع الحيوي البناء عليها والأخذ بها دون إغفال الهنات التي ذكرها بعض ممن شاركونا هذا العمل من مثقفي تونس . ذلك أن الإعلام لا سيما الثقافي هو جزء من الثقافة التي لخّصها العرب قديما في عبارتي «الحذق والتمكّن» ... خلاصة القول علينا اليوم حذق هذا المجال حتى نؤسس لثقافة وطنية يستطيع المواطن من خلالها اكتساب فكر حر وقدرة على التمييز بين حقوقه وواجباته.

في حاجة الاعلام الثقافي الماسة إلى التعافي

د. لطفي عيسى - أستاذ التاريخ الثقافي

تغطي تسمية الصحافة الثقافية مجالات متباينة. فهي تحيل على النقد الفني والأدبي، وعلى تاريخ الفنون، وعلى الملاحق الثقافية الجامعة أو المتخصّصة. كما تشمل الأدلة، والمجلاّت الثقافية، أو تلك التي تغطي ضربا من ضروب الفنّ على وجه التخصيص. هذا بصرف النظر طبعا عن تنوّع الحوامل الثقافية الورقية والرقيمة، وانفتاحها الواسع على جميع ما تم إدراجه ضمن ما اتفق على تسميته بـ «الفنون الحيّة».

وللتذكير فقد كانت الثقافة تحيل قبل أقل من قرنين من الزمن على تصوّر إنساني نخبوي ينشد سمو الفكر، ويشمل الآداب والفنون الراقية، بيد أن تبدّل السياقات التاريخية خلال القرن الماضي هو الذي أدى إلى تحوّل الشواغل الفكرية والجمالية إلى متقاسم جمعي تمّ رده في البداية إلى «الثقافة العامة»، ليشكل رِهَانًا معرفيا وتربويّا أساسيا. على أن تحوله إكراهات التصنيع خلال نفس القرن وبالتدرّج إلى بضاعة استهلاكية خاضعة للمواصفات التي يفرضها قانون العرض والطلب كونيا. فانخرطت الصحافة الثقافية عندها في أتون ترضية أصحاب دور القراءة والنشر والتوزيع، ومنصات الألعاب الرقمية، والسينما الترفيهية، ومختلف مظاهر الثقافة الدُنيا أو الشعبية، تلك التي لم يكن لها حتى وقت ليس بالبعيد أي حضور ضمن دائرة الاعلام الثقافي.

لا مراء عندنا أن وسائل الاعلام هي من ساهم -وباعتبار ارتباطها بالصناعات الثقافية- في ابتسار الفعل الثقافي في مدلوله التسليعي دون غيره، بل وإرغام الصحافة الثقافية على برمجته وتوسيع دائرة تلقيه أيضا. بحيث تحوّل ذلك الاعلام ومنذ ثمانينات القرن الماضي تقريبا إلى عرض «للأخبار الثقافية»، أو «لأصداء الثقافة»، يحفل بأخبار نجوم الحفلات أو الشبابيك، توافقا مع اقتصار همة المتابعين على تعقّب اخبارهم، والتركيز على الأطباق الثقافية السريعة والأنشطة الترفيهية الـمُسليّة. (التعريف بالإصدارات الروائية خاصة، والترغيب في اقتناء أو في المشاركة في الألعاب الـمُجزية ماليا، وإدمان مشاهدة الأفلام والمسلسلات، واقتراح حوارات مع شخصيات بوسع منجزها أن يلفت ذائقة «المستهلك الثقافي» القاعدي.)

ولا ينم هذا الانحدار عن حصول تعافي حقيقي على صعيد الارتقاء بالذائقة الثقافية كونيا، خاصة إذا ما اعتبرنا بغياب الحدّ المعقول من الحريات الصحفيّة، وكذا بالطابع الانقلابي للفعل الإبداعي والثقافي على وجه العموم. وهو ما يدل عليه الموقع المتردي الذي انزلقت إليها حرية الصحافة بمختلف البلدان، الواقعة منها بالشمال كما تلك الموجودة بالجنوب سواء بسواء. فقد احتلت البلاد التونسية مثلا وحتى سنة 2021 المرتبة 73 عالميا (فرنسا 43)، لتنحدر بعد أقل من سنتين فقط إلى المرتبة 121، (تعود المراتب الأولى إلى البلدان الإسكندنافية طبعا). وهذا التوجه قابل موضوعيا إلى مزيد من التدحرج بالنظر إلى هشاشة القطاع الإعلامي وانتهازية القائمين عليه، وتعويل السلطة السياسية على أساليب متشدّدة فعّلت التراتيب الإجرائية القاضية بمعاقبة جميع من يجرؤ على مراجعة الخط السياسي الأحادي الـمُتبع من قِبَلِها إعلاميا، وفكريا، وفنيا أو إبداعيا.

الكاتبة آمنة الرميلي لـ«الشارع الثقافي» :

حين تعود المطالعة مادة رئيسية بالابتدائي والإعدادي ستعود القراءة إلى مكانتها السابقة

- مجموعاتي القصصية براكين صغيرة في الأراضي الصخرية

حاورها شفيع بالزين

آمنة الرميلي أستاذة جامعية بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، حاصلة على شهادة الدكتورا وصدرت لها منشورات علمية عديدة منها «المرأة والمشروع الحداثي في فكر الطّاهر الحدّاد» و«الحيلة في أدب الهامشيين» و«كتابة القتل في الأدب العربي القديم». لكنها معروفة أكثر باعتبارها كاتبة روائية مبدعة حاصلة على عديد الجوائز الأدبية (الكومار- الكريديف- معرض الكتب...) ومن أبرز رواياتها «جمر.. وماء» و«الباقي» و«توجان» و«شطّ الأرواح». غير أن هناك جانبا آخر مهما في تجربتها الإبداعية لا يلتفت إليه النقاد والقراء كثيرا، وهو الكتابة القصصية، رغم أنها صدرت لها خمس مجموعات قصصية هي «يوميات تلميذ حزين» و«صخر المرايا» و«سيّدة العلب» و«ألوووووو...» وآخرها مجموعتها «الجيعان» التي فازت بجائزة معرض تونس الدولي للكتاب في دورته الأخيرة. وبهذه المناسبة أجرينا معها الحوار التالي:

أولا أهنئك على فوز مجموعتك القصصية «الجيعان» بجائزة معرض تونس الدولي للكتاب، وهي حسب رأيي الخاص جائزة مستحقة. وبهذه المناسبة هل ترين أن الجوائز التونسية عموما في مستوى الحركة الإبداعية وتنصف المبدعين ماديا واعتباريا؟

أشكر لك تهنئتك وأعتبر رأيك في تتويج المجموعة بجائزة معرض الكتاب تهنئة ثانية تخصّ النص هذه المرّة وهذا يسعدني أكثر. والخوض في «الجوائز الأدبيّة» أمر مهمّ بما أنّه يتنزّل في شبكة تقييم النصوص الأدبية التونسية والحثّ على قراءتها ودفع الجمهور إلى الخوض فيها. يتعلّق السؤال بقيمة الجوائز الأدبية وما إذا كانت تنصف المبدعين ماديا ومعنويّا. يدفعنا هذا ضمنا إلى فتح ملفّ الجوائز لمراجعته وتطويره وجعله مسهما بقوّة في خدمة الكتاب خصوصا والحركة الأدبية عموما. وإذا ما كانت الجوائز اعترافا معنويّا مهمّا بقيمة النص فإنّ الجانب المادي في الجوائز التونسية يبقى محدودا جدا مقارنة مع الجوائز المالية العربية والعالمية. وهو أمر مفهوم في ضوء ميزانيات المؤسسات الثقافية في تونس. من هذا المنطلق يمكن القول إنّ الجوائز الأدبية في تونس تفوق قيمتُها المعنوية قيمتَها المادية بأشواط وهذا يحسب لها لأنّ التنافس عليها ليس مردودا إلى مبلغها المالي وإنّما إلى حاصلها المعنويّ!

كيف تقيّمين معرض الكتاب في دورته الثامنة والثلاثين خاصة أننا لاحظنا جميعا نقائص عديدة وتشكيات سواء بسبب ضعف التنظيم أو لغياب بعض دور النشر المعروفة؟ وكيف كانت مشاركتك أنت في المعرض؟

يكفي أن نتحدّث عن «الدورة 38» لنحس بالفخر بعراقة معرض تونس الدولي للكتاب. فقد سبق أغلب المعارض العربية وكانت تونس سبّاقة إلى استقطاب الكتّاب ودور النشر منذ عقود. ولكن هذه العراقة وهذا السبق لم ينتجا المتوقّع منهما على مستوى التنظيم والإشعاع في جميع الدّورات، ولعلّ الأمر مردود إلى غياب أمرين اثنين على الأقلّ: التخطيط المحكم والتّمويل الكافي. هذه الدورة بالذات جاءت مرتبكة لأنّ المعرض ألغي ثم أعيد ولم تتسلّمه الهيأة المنظّمة إلا في آخر وقت فكان لابدّ من الوقوع في شيء من الارتباك وأن تظهر بعض النقائص. وقد اقتصرت مشاركتي في هذه الدورة على تسلّم جائزة المعرض في الأقصوصة. ولكنني تابعت ما أمكن من الندوات المنشورة على صفحة المعرض.

الجائزة التي فازت بها مجموعتك القصصية «الجيعان» طبعا ليست أول جائزة فقد حصلت بعض رواياتك على جوائز مختلفة: هل تكتبين نصوصك الروائية أو القصصية وفي ذهنك هذه الجوائز وشروط لجان التحكيم؟ وما رأيك في من يكتب خصيصا للجوائز ووفق شروط لجان التحكيم حتى أن هناك من يوصف بصياد الجوائز؟ ألا يؤثر هذا سلبا في الكتابة القصصية ويحد من حرية الإبداع؟

المؤكّد أنّنا حين نكتب نكون في لحظة تداوليّة قصوى كوننا نخاطب «آخر» ونتبادل معه الكلام والأفكار والقضايا وما أمكن من أسرار اللغة وألاعيبها. لحظة الكتابة هي لحظة امتلاك ذاتيّ للّغة ولكن في ذات الآن نحن نتفاوض باللغة مع ذلك «الآخر» القابع داخلنا فنحاول إغراءه وإمتاعه وإقناعه ونمكر مكرا حتى نوقعه في شرك النص الذي نكتبه. الكتابة ليست تنفيسا ذاتيا ولا تعبيرا عن هاجس أو رغبة ولا فتح قلوبنا أمام القرّاء كما يقول كثير ممّن يكتبون، الكتابة لعبة فنّية جماليّة هدفها القبض على انتباه القارئ وجعله ملكا للنص طالما كان بصدد قراءته، وألا يغادره مغسولا من الأحاسيس والأفكار والانفعالات، وأن يقول هذا القارئ بينه وبين نفسه: لقد ترك فيّ هذا النص أثرا ما، لقد غيّرني! خارج هذه الأهداف تفقد الكتابة قيمتها تماما. وأنا متأكّدة أنّ الجوائز عموما تذهب إلى النصوص التي لم تكتب من أجلها! ولكن من حقّ الكتّاب الدّخول في المسابقات وتحكيك نصوصهم بقراءة هذه اللجنة أو تلك! فوز مجموعتي «الجيعان» بجائزة معرض تونس الدولي للكتاب كان مفاجأة سارّة والجائزة مهمّة في مسيرة الكتاب والكاتب، فهي تلفت إليه الانتباه وتفتح له آفاق تلقّ أوسع. وسأكون سعيدة مع كلّ جائزة تحصل عليها كتبي.

بالنسبة إلى مجموعتك القصصية «الجيعان»: ما هي المعايير أو المميزات التي استندت إليها لجنة التحكيم لتسند إليها الجائزة؟ وهل تعتبرين أن هذه المعايير قد استوفت حق المجموعة وقيّمتها تقييما مناسبا ومرضيا؟

لا أملك إجابة واضحة ودقيقة عن السؤال لأنّ شروط التقييم تضبطها اللجنة وحدها ولكن أذكر بعض ملاحظات ممّا قال الأستاذ سمير السحيمي رئيس لجنة الجوائز بمعرض الكتاب في حفل تسليم هذه الجوائز، فقد تحدّث عن مرحلتين في التقييم: مرحلة فرديّة يكتب فيها كلّ عضو تقريره الخاص في كلّ أثر من الآثار المتقدّمة للمسابقة دون أن يعود إلى بقيّة الأعضاء ولا أن يتبادل معهم رأيا. وفي مرحلة ثانية يلتقي أعضاء اللجنة ويطلعون بعضهم بعضا على التقارير

ويتناقشون للفرز والترتيب النهائي. وبحكم مشاركتي في لجان الجوائز الوطنية أكثر من مرّة فإنّ المعايير جدّية وعادلة ما أمكن لها العدل ولكنّها ليست حاسمة حسما نهائيّا في قيمة الكتب المتوّجة.

شاركتُ معك سابقا في برنامج إذاعي خُصّص لهذه المجموعة وشارك فيه عدد من النقاد. لاحظت أولا تعدّد المداخل والقراءات: فهناك من قرأها انطلاقا من تيمة الجوع (العنوان) ومن قرأها انطلاقا من ثنائية الواقعي والعجائبي، ومن قرأها من منظور إيديولوجي وأنا قرأتها اعتمادا على المنظور السردي. هل يُعدّ هذا في نظرك علامة دالة على نجاح المجموعة فنيا ومضمونيا؟

أوّلا أتوجّه بالشكر لدار «محمد علي للنشر» أنّها نشرت المجموعة في شكل جميل جدّا وبسرعة قصوى، والشكر لدار «محمد علي» لأنّ رهان دور النشر اليوم هو الرواية بدرجة أولى ثم تأتي بعد ذلك بقية الأجناس. ثانيا أذكر جيّدا ما دار في تلك الحلقة ومن حضرها من المبدعين والأكاديميين وما حظيت به المجموعة من مداخل تحليلية تثلج الصدر وتؤكّد أنّها مجموعة لا تخلو من بعض نجاح أو تميّز سرديّ في رأيهم. ويمكن أن أذكر اهتماما آخر حظيت به مجموعة «الجيعان» حين ألحقتها الباحثة والروائية إلهام بوصفّارة بمدوّنة أطروحتها في الدكتورا التي هي بصدد إتمامها وتتعلّق بخطاب الجوع أو إنشائية الجوع حتى أنها قالت لي: كأنّ الأطروحة كانت تنتظر مجموعتك هذه! إنها مجموعة محظوظة فيما يبدو!

> لا خوف على الكتابة من الرداءة إذا نظرنا إلى الأمر نظرة زمانية لا آنيّة
>
> الجوائز الأدبية في تونس تفوق قيمتها المعنوية قيمتها المادية بأشواط
>
> رهان دور النشر اليوم هو الرواية بدرجة أولى ثم تأتي بعد ذلك بقية الأجناس
>
> أصعب ما يواجه الكاتب هو اختيار العنوان

هناك طريقتان في تأليف مجموعة قصصية: الأولى كتابة نصوص متفرقة ثم جمعها في كتاب دون أن يكون بينها خيط ناظم، والثانية كتابة نصوص متآلفة منذ البدء يجمعها خيط ناظم. ويبدو أنك تكتبين بالطريقة الثانية. وفي هذا الإطار السؤال المطروح هو ما الخيط الناظم (أو الخيوط الناظمة) لنصوص المجموعة والحال أنها تبدو مختلفة في طرائق السرد وعوالمها وقضاياها؟

«الجيعان» هي مجموعتي القصصية الخامسة بعد «يوميات تلميذ..حزين» (1998) و«صخر المرايا» (1999) و«سيّدة العلب» (2006) و«ألووووو..» (2018). وقد نبّهني السؤال إلى أنّني بالفعل أكتب بالطريقة الثانية، أي طريقة «التّتالي»، كلّ أقصوصة تنغلق تنفتح بعدها أقصوصة في ترتيب زمني متقارب وفي عوالم تخييليّة متشابهة ومتنوّعة في آن. كلّ مجموعة أقاصيص من المجموعات الخمس تفجّرت نصوصها على مسافات قريبة من بعضها بعض كالبراكين الصغيرة في الأراضي الصخرية، لأجد نفسي أقفز من بركان إلى آخر أتقلّب في حرارة الخيال وأقلّبه قبل أن تنطفئ تلك الحرارة وتهدأ الطبقة التّكتونية داخل رأسي!لا بدّ إذن أنّه توجد خيوط رابطة أو ناظمة ما بين أقاصيص «الجيعان» وغيرها من المجموعات. أنا لا أعرف ما هي تلك الخيوط فهذا من عمل القرّاء وتحديدا المختصّين فما أعرفه أو ما أحسّ به أنّها نصوص مستقلّة عن بعضها شخوصا وأحداثا وأزمنة وأمكنة من ناحية وهي نصوص تأتيني تباعا بمسافات زمنية قصيرة وحتى قصيرة جدّا أحيانا من ناحية أخرى.

لا شك أن العنوان أهم عتبة واختياره لا يخلو من صعوبة. على أي أساس اخترت «الجيعان» عنوانا لمجموعتك (وهو عنوان الأقصوصة الأولى)، خاصة أنه لا يبدو ذا علاقة بأغلب النصوص، فضلا عن كونه عبارة دارجة؟

العنوان في الأقصوصة أو في الرواية ليس شأنا هيّنا ولا سهلا ولا جانبيّا في فعل الكتابة. العنوان يتجاذبه في ذهن صاحب النص أكثر من قطب: شدّ الانتباه، دلالة الجزء على الكلّ، هويّة النص ومركزه الدلالي. ثم يأتي بعد هذا رأي الناشر: العنوان هو طاقة تسويقية بالدرجة الأولى: ضرورة الوصول بسرعة إلى القارئ، القدرة على القبض على انتباه القارئ لشراء الكتاب، القدرة على سرعة الانتشار بين الناس... والعنوان اليوم مجال درس أكاديمي مهمّ في مخابر تحليل الخطاب لذا أصعب ما يواجهه الكاتب هو اختيار العنوان. مجموعة «الجيعان» كنت قد عنونتها بـ«الكاتب الذي لم يستطع أن يكون مشهورا» وهو العنوان الذي شاركت به المجموعة (مخطوطا) في مسابقة نادي القصة (وصلت إلى القائمة القصيرة ونالت تنويها من رئيس اللجنة) ثم في ما بعد عند النشر وقع الاختيار على «الجيعان». ما الرابط بين «الجيعان» وبقية الأقاصيص؟ لا أملك جوابا جاهزا ولكن ما يمكن قوله إنّ «الجوع» هو ما كنت أعيشه وأنا أكتب المجموعة وتنثال عليّ أقاصيصها الواحدة تلو الأخرى، «جوع» مفترس إلى الكتابة، كتابة الأقصوصة بالذات بعد تركها سنوات عديدة، كنت أكتب بنهم لغوي مخيف وبشوق جارف إلى عوالم الأقصوصة وكأنّها هي أمّي الحقيقية في الكتابة وليست الرواية!

هناك موقفان مختلفان بل متضاربان من الساحة الثقافية التونسية عامة، والإنتاج الأدبي والنقدي خاصة: موقف متفائل يرى أن بلادنا تتميز بحركية ثقافية إبداعا ونقدا، وموقف متشائم يرى أن الساحة الثقافية متأزمة وتعاني من الانفلات والفوضى، ما رأيك أنت في الساحة الثقافية؟ وما هي في نظرك سبل التصدي للرداءة والنهوض بالإبداع خاصة مع غلاء المعيشة وتراجع مكانة الكتاب والثقافة وظاهرة العزوف عن القراءة؟

سأبدأ بنصف السؤال الثاني: كيف يمكن النهوض بالإبداع رغم تراجع مكانة الكتاب؟ الحلّ في نظري واحد: إعادة خلق القارئ التونسي، وهذا لا يكون إلا بعودة الكتاب إلى المدرسة الابتدائية والمدارس الإعدادية والثانوية. تلاميذنا اليوم تفتكّهم مخالب مدرسة متوحّشة في برامجها المرهقة وعدد ساعاتها الطويلة وكابوس الدروس الخاصة وعقدة «العلوم الصحيحة» و«التكنولوجيا». فهل سيجد التلميذ موقعا أو وقتا للكتاب؟! حين يعود الكتاب والمطالعة مادة رئيسية في الابتدائي والإعدادي على الأقلّ ستعود القراءة إلى مكانتها السابقة غير هذا فنحن نحرث في البحر! باختصار شديد أنا مع الموقف الأوّل، أنا متفائلة جدّا بالحركة الإبداعية في تونس، متفائلة بالأصوات الجديدة والكتب الجديدة ومدارس السرد المختلفة عمّا سبق. كيف أكون متشائمة وجائزة البشير خريّف للرواية بمعرض تونس الدولي للكتاب تذهب إلى أوّل رواية في مسيرة كاتبة شابة هي ريحان بوزغندة؟ كيف أكون متشائمة وجائزة الكومار الذهبي تحصل عليها الرواية الأولى في مسيرة كاتب تونسي شاب مختصّ في الرياضيات هو صحبي الكرعاني؟ لا خوف على الكتابة من الرداءة إذا ما نظرنا إلى الأمر نظرة زمانية لا آنيّة. الزّمن غربال دقيق في الإبداع، وفي كتب أخبار الأدب نجد هذا الخبر: «نبغ في هذا القرن (ق 3 هـ) أكثر من ثلاثمائة شاعر لم يبق منهما إلا اثنان: أبو تمّام والبحتريّ».

رأي

عصابةُ أكادميّين نكبة تونس

كمال العيادي
(الكينغ)

تونس بلد صغير، لكنّه بلد عظيم، قدّم للعالم العربي، وما زال يقدّم، عباقرة بالفعل، منذ الحصري وابن رشيق وعبد الرّحمان بن خلدون وابو القاسم الشّابي وسيدي علي الدّوعاجي وبيرم التونسي، وصولا الى عشرات بل مئات المبدعين في كافة المجالات الفكريّة والثقافيّة والابداعيّة. ولكنّ المشهد الثقافي التونسي الراهن، يشهد خمولا وركودا. والكّتاب التوانسة يتحمّلون وحدهم المسؤوليّة في ذلك. فما ينقص كتّاب تونس تحديدا هوّ التفرّد والإيمان اليقين بأنّ الإبداع ليس إخوانيّات وتكتّلات وعناق (وهات بوسة وخوذ بوسة) ودماثة أخلاق وتواضع المغشوشين، الذين يعرضون بضاعة متواضعة مثلهم. فالإبداع معارك أدبيّة مثمرة وخصومات وكبريت ونيران وحراك ومبادرات وهدم وتقويض وبناء وفعل وصهريج يغلى ونهش مشروع في حدود النّصّ وضواحيه أيضا... الإبداع أن تؤمن بالفعل وبشدّة وجبروت بأنّك الأعلى والأفضل والأرقى والأنقى والأكثر تمكّنا وتحاول اثبات ذلك فعلا. فمن لا يؤمن بأنّه يمكن أن يكون الأجدر بالصولجان لا يمكنه أن يضيف ويقترح بدل أن يستجيب. ولا حتّى أن يحيض يوما أو يبيض. وبذلك يكثر الملوك ويتنافسون على الحدود المفتوحة وتوسيع مساحة الإنسان في الكون، وهذا أصلا ما يصنع الادب ويجعل عرق الابداع يورق ويينع وينمو ويثمر...

ولعلّ أكثر ما يعيق الإبداع والسرد خصوصا، هم عصابة من عديمي الموهبة من الأكاديميين، الذين تصدّروا المشهد الإبداعي بالوصاية ومبدأ وضع اليد والاستحواذ على الجوائز وتغييب المبدعين الحقيقيّين بالتجاهل والتهميش والإقصاء. وقد يظنّ البعض أنّ انتشار ظاهرة (مُمارسة العادة السّرديّة) وكتابة الرّوايات الموسميّة الرّكيكة والمُفبركة بين الأكاديميّين، من أجل الاستحواذ على الجوائز الأدبيّة وتداولها في ما بينهم أمر مقّزز وغير أخلاقيّ. ولكنّني شخصيّا، أنادي بتشجيع الأكاديميّين غير الموهوبين على المزيد من «الاستفراغ» و«الاستمناء» الأدبيّ وإقصاء كلّ المُبدعين الحقيقيّين بكلّ الأشكال الممكنة والمُتاحة، لأنّه من غير المعقول بصراحة أن تكون أرضيّة السّاحة الثقافيّة كلّها غاطسة في مستنقع الفساد والرّذيلة والدّعارة والعُهر الأخلاقي وفي نفس الوقت ننتظر من كواليس الجامعات الخلفيّة أن تُفرّخ لنا أكاديميّن أنقياء وشرفاء. سيكون ذلك أشبه بالدّعوة إلى فرش سجّاد ثمين، في رواق ماخور، تفوح من كلّ جوانب حيطانه رائحة الخطيئة وعفونة البَوْلِ والنّتونة والزّنا...

«رسائلي إلى ريما» لسنيا الفرجاني :

محاولة للقبض على الضوء القادم من الرّوح

منية الفرجاني

منذ وعيت على الدّنيا لم أعرف أختي إلاّ شاعرة، تكتب الشّعر مذ كنّا بميداعاتنا الملوّنة في المدارس الابتدائيّة ثم في المعاهد تشارك بقصائدها في الملتقيات ومسابقات بين المعاهد لتعود بجائزتها الخاصّة مرفوعة الوجدان. ها هي تتحوّل إلى كاتبة رسائل... رغم أنّني أحاول تصنيفها على أنّها رقصات بين فلامنكو، فالز وتشاتشا... الرّسائل هذا الصّنف البديع الذّي كثيرا ما كان يشدني وأنا أقرأ ما تبادله العشاق من الأدباء والشعراء فيما بينهم... وفنسنت مع أخيه ثيو. تلك التواريخ الصّغيرة التّي كانت تترأس خطابات... التحيّة الصّباحيّة الموجزة، أمزجة كتّابها... قهوتهم، طرقاتهم، نوافذهم وطقوس لحظاتهم الحميميّة التّي كانت تفصل لحظة الكتابة عن لحظة التلقّي.

كثيرا ما كنت أتخيّل أنّني معنيّة بتلك الرّسائل، الرّسائل التّي أقرؤها في الكتب...كنت أفتحها كما لو كانت موجّهة لي... فأغرق. هذه المرّة مع «رسائلي إلى ريما»... تصنع سنيا عالمها الخاصّ، عالمها الذّي كنت أعتقد أنه استُنفد في قصائدها بدواوينها الكثيرة التّي نشرتها، لكنّ للغة عند سنيا آبارا مخفيّة في عمقها، تغذي روحها كشاعرة وهذه المرّة كأمّ! أمّ! تخيّلوا رسائل تكتب لابنة تغادر البيت لأوّل مرّة من أجل الدّراسة؟ قد تبدو الفكرة بسيطة وعاديّة ومتداولة، أذكر أنّنا تراسلنا مرّات ومرّات مع أمّي أثناء تواجدنا بالجامعات ولكن هل كان لسنيا رأي آخر... سنيا الشّاعرة... الأمّ؟

منذ الرّسالة الأولى وأنا أحاول أن أقبض على الضوء القادم من الرّوح، العبارات الاستعارات، الصور التّي انتشلتها سنيا من أمامها لتبث فيها اللون والرّوح والرائحة، أنت لست أمام رسائل من حبر وورق، أنت أمام حياة كاملة، بهوائها وترابها ونملها، وغربانها وحبال الغسيل فيها... بآثار من مرّوا ولم يمرّوا بأصوات التنهيدات والهسهسات وكلّ ما يجعل الورق بين يديك يئن لذّة وانبهارا. هذه رسائل للتّفاصيل... لوردة مرسومة على كمّ فستان، لقرط نسيته ريما فوق الثلاّجة، لورقة مطويّة تسقط فجأة من غلاف وسادة، تفاصيل اللون و الظل في سماء الجزيرة... حتّى الذين يمرّون صدفة من أمام بيت سنيا لهم نصيب في هذه الرّسائل... اختصرت يا سنيا علينا الطّريق، كتبت رسائلنا إلى فلذاتنا هناك في الجامعات والمسافات الطّويلة، خفّفت عنّا الوجع وأنت تقسّمينه بسحر اللغة إلى أقراص ومضادات حيويّة، إلى تطعيمات ضدّ البُعد والهناك... رسائل عقاقير جعلتنا نلمس الخيط الرّفيع الذّي يفصل الشّوق عن الاشتياق... الحبّ عن المحبّة... هذه الرّسائل... كُتبت لتبقى... تحمل تواريخها الأبديّة ممنوعة من التّلف وفترات صلاحيّة، إنّها للذّاكرة والذّكرى .

لا تستغرب أن يطلّ عليك كافكا من رسائل سنيا إلى ابنتها، أن تكلّمك فريدا كاهلو من بين السّطور، أن يغمز لك ماركيز، تحيّيك ميشال أوباما وهي تغادر فقرة لتحطّ في أخرى... أن تتوقّف عند أسماء فلاسفة، كتّاب، شعراء... إنّها رسائل فسيفسائية تتجمّل بما يليق من معارف ومصادر للمعلومة اختارتها الكاتبة من قراءاتها المتعدّدة وانفتاحها على أغلب أشكال الفنون.

شكرا حبيبتي أختي على المتعة الخالصة التّي جنيتها من حقول رسائلك الجميلة إلى ريما دكتورتنا القادمة، شكرا لأنّك جعلتني في أسطر كثيرة أجمّع دمعاتي وأشوّش على الفكرة صفاءها وهي تمرّ من روحك نحو روحي... شكرا لأنّك حوّلت انكسارات الشوق داخلك إلى انتصارات باللغة والمعنى... صنعت قواميسك وألبوماتك المتاحف. أمّ بأتمّ معنى الكلمة... بأتمّ معنى الرسائل...

الكتاب مطعم بمقدمة مذهلة للدكتور شفيع بالزين تعتبر نجمة أخرى في سماء الأثر. لكلّ من ودّع ابنته إلى مقاعد الجامعة ولأجل كلّ تلك اللّحظات المقدّسة التّي نقفها أمام محطات سيارات الأجرة والحافلات أو المطارات... اقرؤوا «رسائلي إلى ريما»... ستجدون المناديل البيضاء والنوارس في انتظاركم بين الصّفحات... ستجدون دهشتكم.

رواية «ظلّ أعرج» لزهرة الظّاهري سيرة خاصّة أم وجعٌ عامٌّ؟

عبّـاس سليمان

فيما ذهبت بعض الآراء النّقديّة وهي قليلة إلى أنّ الكتابة السّيرذاتيّة ضربٌ من التّرف ووسيلة لإشباع الذّات، ذهبت آراء أخرى إلى أنّها مشروع قائم بذاته له مخطّطه ووسائله وتقنياته ومادّته وأهدافه ولغته الخاصّة. ولعلّنا لا نجانب الصّواب إن قلنا إنّ الكتابة في عمومها مشروع على نحوٍ مّا وإنّ ما جاء منها تحت جنس السّيرذاتيّ مشروع قصده صاحبه قصدا وضمّنه رؤاه وأفكاره ونقده ولومه وبدائله ومنهجه في الحياة. ثمّة كتابات سيرذاتيّة اتّسمت بالتّمرّد ومنها مثلا كتاب محمّد شكري «الخبز الحافي»، وثمّة أخرى وُصفت بأنّها محايدة بريئة ومنها كتاب طه حسين «الأيّام». وبين المحافظة والتّمرّد كُتبت روايات سيرذاتيّة كثيرة اختلفت في براعتها في التّخييل وفي قدرتها على التّأثير وهما عاملان أساسيّان في دوام ذكر السِّيَرِ وتمكّنها من القرّاء أوّلا ومن النّقاد ثانيا. وتُعَدّ رواية الكاتبة زهرة الظّاهري الجديدة واحدة من هذه الرّوايات السّيرذاتيّة، ونحن عازمون في هذه الإطلالة على أن نبحث في ما جعل منها سيرة وفي مدى ما يمكن أن تخلّفه في من يقرأها ويبحث فيها.

«ظلّ أعرج» سيرة ذاتية؟

سنجيب عن سؤالنا هذا من خلال النّظر في العتبات أوّلا وفي المتن ثانيا.

في العتبات:

في الغلاف:

يقطع أمامنا الشّكَّ في انتماء رواية الظّاهري إلى السّيرذاتيّ ما نُصّ على الغلاف. والغلافُ نصٌّ موازٍ له دلالاته ورموزه وإيحاءاته وفلسفته وتصميمه وزُخرفه. وعلى غلاف «ظلّ أعرج» اسم المؤلّفة وصورة امرأة، ولا نظنّ ذلك إلّا دلالة على أنّ ثمّة صلة مّا سيبيّنها السّرد بين من كتبت ومن يقوم عليها السّرد. قد تكون صلة مطابقة وقد تكون صلة تشابه وقد تكون الثّانية ظلّا للأولى. وإلى جانب اسم المؤلّفة والصّورة المزدوجة العنوانُ، وفيه أيضا ما يثبت الصّلة بين من يكتب وما تدور حوله الرّواية، فالمعروف أنّ الظّلّ هو المنطقة المظلمة الّتي يرسمها جسم مّا بسبب غياب الضّوء. فلعلّ المتن سردٌ لمرحلة سوداء أو مظلمة من سيرة الكاتبة. والمعروف أنّ العرج صفة تلازم الظّلّ على نحو مّا.

وفي أعلى الغلاف تنصيص على جنس الكتاب «رواية»، ثمّ إنّ التّنصيص أُلحق بتوضيح آخر ورد تحت العنوان مباشرة «سيرة بمحض الصّدفة». وهكذا تنتفي أمامنا كلّ الاحتمالات الأخرى ولا يبقى للشّكّ مجالٌ في أنّ رواية الظّاهري عمل روائي سيرذاتيّ حتّى وإن كُتب بمحض الصّدفة. ولعلّ هذه العبارة الأخيرة تحيل على احتمالَيْن، فإمّا أنّ صاحبة العمل انخرطت في كتابة رواية فإذا السّرد يقودها إلى أن تُعرض عن كلّ شيء وتكتب ذاتها، وإمّا أنّ قضيّة تستحقّ أن تكون مدار رواية ألحّت عليها فإذا القضيّة قضيّتها وإذا الفرق بين من كان سيتناوله السّرد وبينها ذاتًا كاتبةً ومكتوبًا عنها ضعيف واهن.

التّقديم

قَدّم لهذه الرّواية الأستاذ نصّر سامي، وقد اختار لتقديمه عنوانا هو «وعي مستقيم» في تقابلٍ ذكيّ مع العنوان «ظلّ أعرج»، فكأنّما يثبت أنّ هذا العمل إن هو إلّا نتيجة تفكير طويل أفضى إلى وعي مستقيم لا عرج فيه ولا اعوجاج ولا ضعف ولا وهن. إنّه يقول « وهذه الرّواية تستبدل الحاضر بمواقيت قديمة راسخة وضاغطة وموشومة في الجسد والرّوح، تستحضر الأقفاص الّتي عاشت فيها لسنوات (العائلة، المدرسة، المجتمع)،

وتستقرئ رحلة الطّائر الّذي فقد بمرور الأيّام جناحيْه، ولكنّه لم يفقد حلم السّفر أبدا. (ص 5). وفي ما قال سامي نصّر تجذير للرّواية في زمن الماضي وهو ما يتطابق مع كلّ عمل سيرذاتيّ إذ لا يكون السّيرذاتي إلاّ ماضيًا عادة ما يمتدّ من زمن الطّفولة إلى زمن الكتابة. ثمّ إنّ التّقديم ذكر أنّ الرّواية «تتوسّل بفنّ المذكّرات وتفتح في الفصول المتتالية مساحات سرديّة من حياتها...» (ص 5).

وفي ما ذكرنا إلى حدّ الآن ما يقيم الدّليل على أنّ زهرة أخرجت لنا في هذه الرّواية الجديدة ذاتَها وحدّثتنا عن نفسها وأبانت لنا من خلال ذلك كلّه عن رؤاها إذ يَسْكُنُنَا اعتقاد أنّ الكاتب لا يتحدّث عن نفسه اعتباطا أو إمتاعا أو تشكّيا وتذمّرا وإنّما تنفيذا لمشروع اختار أن يحمله السّرد إلى النّاس.

وإضافة إلى ما قدّمنا، سنجازف ونضيف قرينة تتعلّق بكتابات الظّاهري الأخرى قصّةً وروايةً لنذكّر بأنّها علاوة على انخراطها في مشروع واضح هو الانسان عموما والمرأة وقضاياها على وجه الخصوص فإنّها لم تبرح كثيرا هموم الذّات وما كابدته وما لاقته من تمييز وتحقير وإقصاء وكره.

في المتن

سنشير أوّلا إلى سلسلة من العبارات لا يمكن أن يعثر عليها القارئ إلّا في أعمال سيرذاتيّة. ولعلّ الكاتبة قصدت إلى اختيارها قصدا لتلفت الانتباه إلى دلالاتها أوّلا وإلى جنس ما تكتبه ثانيا، ومن هذه العبارات مثلا: حياتي الماضية – نبش- سنين العمر الّتي مرت- أتذكّر طفولتي- هشاشة طفولة-كانت حياتي...- حكاية طفلة-أتذكّر الآن-تذكّرت- يا لرمضان في الصّبا-في تلك السّنة الدراسيّة الجديدة...) وما شابه هذه العبارات والألفاظ كثيرٌ، وهو مبثوث بين كلّ الفصول، وقد توزّع بين ما هو مكانيّ وما هو زمانيّ وما جمع بين الإثنين.

إنّ هذه العبارات والألفاظ تجذّر الرّواية في الزّمن الماضي، زمن عاشته المؤلّفة وانتهى ولكنّه لم يمّحِ من ذاكرتها بالتّقادم بل لعلّه ظلّ مع مرور الوقت يزداد اتّقادا واقفا لها بالمرصاد يضطرّها إلى أن تعيش داخله.

وأمّا ثانيا، فالرّواية عاجّة بأحوال الكاتبة عند صغرها ماضيةً فصلا ففصلا في سرد حزنها وما كابدته وما كان بينها وبين أخيها الّذي فضّله عليها أبوه لأنّه ذَكَرٌ وأبيها الذّي لا يخفي كرهه للإناث ويرى الذّكران أفضل وأنفع وقلبها الّذي لم ينفكّ يعذّبها والحيّ والمدرسة والأصدقاء والاقارب والكتابة.

هكذا تقدّم لنا الرّواية عبر فصولها الخمسة عشر سيرة أنثويّة طافحة بالحزن وبالقهر، سيرة فتاة وقف في مواجهتها الفكر المتيبّس الّذي يرى الأنثى عارا وفضيحة قابلة للانكشاف في كلّ حين، وأبوها الّذي لو سُئل إن كان يرغب في أن تكون له بنت لصاح «لا» بالصّوت العالي، وأخوها الّذي لا يرى نفسه إلّا أنقى منها وأنفع وأصلح...

ولكن، أَكَتَبَتْ زهرة الظّاهري هذا العمل الممتدّ على أكثر من مائتيْ صفحة لتروي لنا حزنها وتسرد لنا محطّات من سيرتها مذ كانت طفلة؟ أأخرجتْ زهرة للنّاس رواية بِطمّ طميمها لتغرق قرّاءها في ماضيها الّذي يُفترض أنّه لها خالصٌ لا يشاركها فيه أحد؟ أَنَفَدَتْ كلّ القضايا والسّرود والحكايات والشّخصيات الّتي يمكن أن تكون مدار رواية حتّى نلجأ إلى حياتنا الماضية وما لفّ لفّها نسردها وننشرها للقرّاء؟

يبدو مجرّد إثارة هذه الأسئلة موحيًا بالجواب. يبدو مجرّد ما في هذه الأسئلة من استغراب دليلا على أنّ الأمر إن يكنْ كذلك لا يستقيم. ألم نقل منذ البدء إنّ الكتابة مشروع؟ ألم نقل إنّ الكتابة السّيريّة على وجه الخصوص مشروع هادف لا تحيط به الصّدفة ولا تقربه حتّى وإن صادفنا كاتبا أو كاتبة ينصّص على أنّه يقدّم لنا سيرة بمحض الصّدفة؟

الحقيقة أنّنا لا نستطيع أن نقرأ «ظل أعرج» بمعزل عمّا كتبت الظّاهري قبلها، وإذ يتسنّى ذلك يصبح الجواب جليّا ويصبح السّيرذاتيّ حيلة تتوسّل بها زهرة الظّاهري كما توسّل بها من قبلُ محمّد شكري وآخرون لتعرية المجتمع وتسليط ضوء النّقد واللّوم على أفكاره ومعتقداته وممارساته علّ الكتابة أو الرّواية تنبّه إلى عَرَجِهِ واعوجاجه وما يمارسه مِن لا معقولٍ ومن جهل وما يزرعه من سواد. إنّ رواية زهرة لئن اتّفقنا على أنّها سيرتها على نحو مّا فإنّه يمكن أن نتّفق أيضا على أنّها تخرج من السّيرة الخاصّة إلى الوجع العامّ بما يعنيه ذلك من انسحابها على غالب بنات جيلها واللّاتي انتمين منهنّ إلى الأوساط الرّيفيّة على وجه الخصوص.

خاتمة

قوّضت رواية «ظلّ أعرج» رأيًا كنت أتبنّاه مفاده أنّ من يكتب السّيرة ينتشي مرّتيْن، مرّة وهو يعيش أطوار حياته ومختلف تجاريه وأخرى وهو يتذكّر ما عاش وينقله في كتاب. الآن، يبدو لي أنّ زهرة لم تَنْتَشِ ولمْ يُداخلها الفرحُ، إنّما هي عاشت حزنها مرّتيْن، مرّة وهي تلاقيه أحداثا ومواقف وتجارب وردود فعل، ومرّة أخرى وهي تكتبه لتخرجه لنا كتابا روائيّا. لعلّ كتابة الحزن على صلة بالقضايا العميقة، قضايا المرأة والتّمييز والتّعلّم ونسيج العلاقات والحبّ والخيانة... ولنقلْ إنّها على صلة بقضايا الانسان. ولنقلْ أيضا إنّ «ظلّ أعرج» ليست روايةً للتّسلية وتتبّع الأحداث البسيطة بفرح بل رواية التّفكير والنّقد والعتاب، رواية المعاندة، معاندة الموروث وكلاكله، معاندة ثقافة «إذا بُشِّرَ أحدهم....»، معاندة تفضيل الذّكر على الأنثى لأنّه ذكرٌ ولأنّها أنثى.

ظلّ أعرج، رواية، زهرة الظّاهري، دار خريّف 2024.

«حفيد كورصو» لعبد الوهاب الملوّح
رواية استحضار الذاكرة المفقودة

كاهنة عباس

من المسائل التي تطرحها رواية "حفيد كورصو" الصادرة أخيرا عن دار زينب للنشر بتونس، للكاتب والشاعر والمترجم عبد الوهاب الملوح، طريقة تعامل الأديب مع المادة التاريخية، بما تزخر به من أحداث وشخصيات وقراءات وتآويل وما تقتضيه من ذاتية، وهي طريقة تختلف عن تعامل المؤرخ مع هذه المادة باعتباره مطالبا بانتهاج قراءة موضوعية

فقد اختار المؤلف حقبة تاريخية عاشتها البلاد التونسية خلال القرن السابع عشر، وتحديدا فترة حكم مراد باي الثالث الذي عرف بعنفه الشديد، حتى أنه سمي "مراد بوبالة" للإشارة إلى السيف بتسميته التركية، فسعى إلى سبر أغوارها وإبراز جوانبها المتعددة الجامعة بين البطولة والعنف والجنون والرومانسية.

فكيف تعامل الكاتب مع هذه الفترة التاريخية من وجهة نظر فنية أدبية، أي كمادة ملهمة للإبداع ؟

ما هي أهم ملامح الشخصية الرئيسية للرواية كما وصفها لنا الكاتب عبد الوهاب الملوح، وما هي دواعي اختياره لهذه الحقبة بالذات ؟

الرأي عندنا، أن الكاتب لم يغير من مجريات الأحداث ولا من أسماء الشخصيات الحقيقية التي عاشت هذه الحقبة والقريبة من مراد باي الثالث، إلا أنه أعاد صياغتها وترتيبها في الزمان والمكان بأن حافظ إلى حد ما على مرجعية الرواية التاريخية دون التقيد بها.

وقد أدى به تعامله ذاك إلى استعمال تقنيات متعددة في السرد، بأن قص علينا الأحداث تارة بضمير المتكلم وطورا بضمير الغائب، فكان في كل مرة يغير موقعه كسارد، سعيا منه إلى سبر أغوار الشخصيات.

المرجعية التاريخية للرواية

فقد اختار المؤلف من خلال عنوان روايته «حفيد كورصو» أن يشير الى نشأة الدولة المرادية في تونس خلال القرن السابع عشر إثر سقوط الدولة الحفصية وتحول البلاد التونسية إلى إيالة عثمانية، تولى حكمها مراد باي الأول أصيل جزيرة كورسيكا التابعة لمدينة كالفي بفرنسا ،وقد اختلفت المصادر حول اسمه الحقيقي بعضها يعتبره جاك سونتي وأخرى موراتو كورصو، أسر في سن التاسع من عمره ثم بيع لعثمان داي الذي كان قد كلف من طرف السلطة العثمانية بحكم تونس آنذاك، ثم تربى في كنف يوسف داي الذي زوجه ابنته ثم كلفه بجمع الضرائب مما جعله باتصال مع أعيان البلاد و القبائل، كل هذه المعطيات مكنت مراد باي الأول من حكم البلاد ثم من توريث ابنه محمد باي الثاني الملقب بحمودة باش، إلا أن الصراع حول السلطة بلغ أشده بين أبنائه وهم محمد ورمضان وعلي : والد مراد الثالث ،الذي قتل من طرف أخيه رمضان، فترك ابنه مراد باي الثالث مشردا يتيما، تبناه أول الأمر عمه محمد ثم سجنه عمه رمضان الذي سمل عينيه بإيعاز من غلامه»مزهود» حتى يكون عاجزا عن حكم البلاد، فما كان من مراد باي الثالث إلا الهروب من السجن، ثم الاستيلاء على الحكم والانتقام من كل من كان سببا في تعذيبه وتشريده ثم اغتياله من طرف إبراهيم الشريف أحد الجنود الانكشارية في بداية القرن الثامن عشر ونهاية الدولة المرادية .

الاطار الزماني والمكاني للرواية

تبدأ الرواية بهذه الجملة :»على غير عادتها استفاقت المدينة هذا الصباح باكرا جدا»، وهي توحي للمتلقي أن الراوي تعامل مع الأحداث التاريخية باعتبارها مادة قابلة للاستعادة في صيغة جمالية وفنية حديثة ،فاختار أن يسردها في الحاضر الراهن باستعمال عبارة « هذا الصباح «ووضع على كاهله مهمة أن يتصور الوقائع، دون الاكتفاء بنقلها ،أن يفتح للمتلقي أفق الولوج إلى زمنية سردها أي زمنية كتابتها وأن يستهل الرواية متحدثا بضمير الغائب.

ومعنى ذلك، أن الراوي لم يتبع خطا مسترسلا أفقيا لسردها بل تعامل معها من منطلق تصوره الخاص وخياله أي من منطلق « زمنية النص والسرد «، لذلك تبدأ الرواية بوصف دقيق يتعلق باستعداد مراد باي الثالث لشن الحرب على الجزائر ثم تنتهي سريعا بمقتله إثر اغتياله بعدة رصاصات أثناء انطلاق موكبه .

إلا أن الراوي حرص كل الحرص على إبقاء أسماء الشخصيات التاريخية الحقيقية وكذلك أسماء الأماكن دون إدماج أي تغيير جوهري في كبريات الأحداث التاريخية، أي أنه سعى إلى تخيلها حاضرا مع إعادة ترتيبها وصياغتها.

إذ تبدأ الرواية بمقتل الباي، لترسم أول ملامح الشخصية المأساوية، تلك التي أصرت على تحقيق أهدافها الكبيرة مهما كلفها الأمر، كأن الراوي باختياره لحظة الاغتيال من خلال وصف سياقها التاريخي، أراد أن يقرب هذه الشخصية التاريخية من المتلقي، بعد أن عرفت بقسوتها وجنونها وحبها للعنف والانتقام، بأن يجعل منها بطلا لا يخشى الحرب ولا الموت ومستعدا للمغامرة بكل ما يحيط بها من مخاطر.

فكان لا بد للراوي أن يقطع حبل الصمت منذ الأسطر الأولى من سرده، إذ كتب في الصفحة السابعة ما يلي : هزت جلبة صاخبة مختلف أحيائها وأسواقها قبل رفع أذان صلاة الفجر، سرعان ما تحولت إلى ضجيج أخذ يتصاعد شيئا فشيئا متواترا، متشابكا متصادما، آتيا من جميع الجهات، وهو ما قطع نهائيا وبشكل مباغت حبل السكون المريب التي غطست فيه كل أركانها .

لينتهج « وتيرة معينة « تعتمد الوصف المتواتر للأحداث بنسق سريع، فمن الجلبة التي ملأت المدينة، يتحول بنا إلى قصر الباي ثم إلى إعلان قرار الحرب على الجزائر من طرف مراد باي الثالث، ثم خروجه ومقتله في تسع صفحات الأولى من الرواية .

لكن الراوي، لم يكتف باستحضار الماضي وإعادة بعثه وتخيله وتصوره من خلال وصف سريع للأحداث، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، بالولوج في وعي الشخصيات الرئيسية وتقمص أدوارها والتحدث باسمها بالانتقال من السرد بضمير الغائب إلى السرد بضمير المتكلم، ومن تكثيف الأحداث وما تتطلبه من حركة وأفعال إلى وثيرة أقل سرعة لسبر أغوار ما يجول داخلها.

وقد سعى الى وصف دقيق للامكنة للحفاظ على المرجعية التاريخية للرواية، فكان يتنقل بنا من تونس العاصمة الى قصر بارد والى سجن مراد باي الثالث بسوسة الى جبل الوسلات لولاية القيروان، الى بارتو فرينا بغار الملح ولاية بنزرت، الى قسطينة بالجزائر مع ذكر تفاصيل الحياة وخصائص أهاليها في ذلك العصر، حتى كأن الراوي بذلك يسترجع عصر ولى وفات.

الشبكة السردية للرواية وتبني الراوي أصوات بعض الشخصيات الرئيسية من خلال السرد بضمير المتكلم

«إنني في أشد الحاجة إلى ذلك السائل يجفف الماء الذي يعمي عيني !» بهذه الجملة يفتح الراوي للمتلقي العالم الداخلي لمراد باي الثالث، ليعود بالمتلقي إلى فترة ما قبل تقلده الحكم أي إلى فترة سجنه (الصفحة 16) إثر وصف اغتياله في بداية الرواية .

كأنه بذلك شيد روايته على مستويين : الأول خارجي يتعلق بسرد الأحداث واستحضارها وإعادة صياغتها والمستوى الثاني داخلي ،يتعلق بسيكولوجية الشخصيات الرئيسية لينتهج نسقا ملتويا فتارة يطفو إلى السطح ليصف الأحداث وطورا ينغمس في ذاتية الشخصيات متبعا النسق التالي : وصف العالم الخارجي أي الأحداث / وصف العالم الداخلي للشخصيات، ثم الرجوع إلى العالم الخارجي / العالم الداخلي، لذلك كان يغير موقعه في كل مرة، فتارة يتخذ موقع المشاهد الخارجي وطورا ينخرط في قلب الأحداث كأنه يعيشها بنفسه.

فبعد وصف لمحات من طفولة مراد باي الثالث ونشأته بضمير المتكلم (الصفحة 16 إلى الصفحة 29) كما يلي : «إنني في أشد الحاجة إلى ذلك السائل يجفف الماء الذي يعمي عيني ! مازلت أبحث في داخلي عن أشياء كنت قد أخفيتها عني وعن كل الآخرين، خبأتها عن أيامي الآتية وعن تحولات الزمن، أفتش عن أشياء ضاعت مني وما عاد بإمكاني أن أمسك بها، وأشياء أخرى قد نسيتها فما عدت أذكرها .»

يعود الراوي بالملتقي إلى سرد خارجي للأحداث بداية من الصفحة 30 عند وصف رجوع مراد باي الثالث إلى قصر باردو، إثر وفاة والده بفضل إبراهيم الزرقاني الشريف ،إذ

استهل الفصل الرابع للرواية، كما يلي :

« كان هو الذي أنقذ الفتى من أولائك الهمج ليرجعه إلى القصر إنه إبراهيم الزرقاني الذي لا يكاد أحد يعرف عنه شيئا سوى أنه أحد أتباع محمد بن شكر الذي قدم من الجزائر على رأس جند كثيرين للقضاء على سلالة مراد كورصو وتنصيب نفسه دايا على تونس واستعادة سيطرة الباب العالي عليها من خلال تركيز حكم الدايات. «

وكما ذكرنا سابقا، فقد استمر الراوي في سرد الأحداث وكأنها تقع في الحاضر حين تعرض لمهام إبراهيم الشريف بالصفحة (31) كالتالي :» ها قد أنهى اليوم دورته المعتادة، وها هو على جواده محاط بثلة من جنده عند أعلى قمة جبل عرباطة بالشمال الشرقي من المدينة . في هذا المكان حيث يمكنه أن يتابع كل من يدب ويهب داخلا وخارجا من مدينته، فمن هذا الموقع بإمكانه أن يرى كل سهوب عمرة بل يستطيع أن يراقب التحركات عند ثغر الجنوب الجزائري وبمستطاعه أيضا من خلال هذه القمة أن يرى ما يحدث على الجهة الأخرى من الجنوب الشرقي الممتدة التي تمتد إلى بر ورغنة، فكر أن كل شطر تونس هو الآن تحت قبضته وأنه يمكنه أن يكتفي بل يمكنه أن يعلن عصيانه على الباي محمد ويصبح لسلالته دولة يسمونها دولة آل الشريف، نعم ولم لا فكل شيء الآن وهنا تحت إمرته، وأهم قبائل الجهة في صفه خاصة عروش قفصة الاجري ينوالخنانسة وقبائل الجريد أولاد الهادف والمواعدة أولائك المستهدفين بمحلة الجريد.»

كما سعى الراوي إلى ذكر الأسماء الحقيقية للشخصيات التاريخية الفاعلة في تلك الفترة مثل (محمد بن شكر، محمد طاطار، محمد باي، إبراهيم الزرقاني الشريف) ,

ولم يكتف بتقمص شخصية مراد باي الثالث باستعمال ضمير المتكلم، بل تحدث أيضا بصوت الجد الأول مراد كورصو (واسمه الحقيقي جاك سانتي) الصفحة 52 وما ورد على لسانه من وصية لابنه حمودة باشا حول تونس قائلا بالصفحة 56 ما يلي :

«أعرف أنك تحب هذه البلاد يا ولدي، لقد ولدت بها وتربيت ونشأت في أحضانها، وقد حظيت بما لم أحظ به أنا من نعيم الاستقرار والرفاه فأحبها أكثر مما أحببتها أنا، لقد تعلقت بها رغم كل فيها من اختلافات ،إنها بلد الجمال رغم كل ما فيها من تناقضات، إنها مستودع كل الرياح، وهي ملجأ الآتين من كل الجهات جاؤوا بكل تواريخهم ومختلف أسمائهم، جاؤوا بيضا وسودا ولقطاء وأبناء عائلة، يهودا وعلوجا من جميع أصقاع العجم، وعربا على مختلف مللهم، سنة مالكية حنفية ،شيعة باطنية وإسماعلية، زهادا ومجاذيب، قطاع طرق ومسالمين، تجارا ومزارعين، قوادة وما أكثرهم وفيها أيضا نبلاء، لقد عاينت كل هؤلاء وكنت وفيا لتونس دون أي جهة أخرى .»

ورغم تبني الراوي أصوات بعض الشخصيات الأساسية، لكنه أفلح في اتخاذ المسافة الكافية بالعودة إليها والحديث عنها بضمير الغائب : فبعد أن وصف لنا الراوي بدقة شديدة مشاعر مراد الثالث الأكثر عمقا، غير موقعه ليراقبه عن بعد ليسرد على المتلقي مأساته ،كما ورد بالصفحة 58 : «لم يكن يشعر أنه خائف وأنه يهرب من الموت بقدر ما كان يتعاظم في داخله شعور بالمواجهة : مواجهة نفسه البائسة، مواجهة أقداره اللعينة، مواجهة الموت وجها لوجه.»

وقد يتقاطع الخطان اللذان يرسمان السرد (من الداخل والخارج) ليتلقيا في نقطة أساسية كما جاء في الجزء الثاني من الرواية وتحديدا بالصفحة 105 كالآتي :» لا شك أن قشرة الوجه بيضاء غير أن الندوب الممزقة تخفيها على كامل سطح هذا الوجه العريض البيضوي بجغرافيته وفي وعورة تضاريسها بذقن مربعة مدببة، لم يكن الشق الأيمن لهذا الوجه يماثل الشق الأيسر .»

لينتقل بنا الراوي في نفس الصفحة إلى «مونولوغ « أي الحديث الذي دار بين مراد باي الثالث مع نفسه قائلا :» هل أنا هو أنا ؟ هل هذا هو وجهي ؟ لم أتخيلني بهذا الشكل ! هل بهذا الوجه جئت إلى هذا العالم ؟ أم أن العالم جعلني بهذا الشكل ؟» ليعود من جديد لوصف الشخصية من جديد من منظور خارجي في أول الصفحة 106 كما يلي : «مد مراد وجهه يقربه من المرآة وهو يشد الشمعدان في يده ليسلط الضوء على ما يراه من انعكاس ملامحه ويدقق فيها وشرع يمرر أطراف أصابعه على السطح الأملس قدامه غير أنه وجد نفسه يمس وجهه ويتحسس تفاصيله ،» دون القطع مع «المونولوغ» أو حوارها الداخلي مع نفسها، قائلا : «ليس هذا وجهي، إنه عدوي وقاتلي أم ترى هي المرآة، بلى إنها المرآة الخادعة يجب أن أهشمها لأرأني كما أنا .» ثم يواصل : وجد نفسه يخبط السطح الصقيل بقبضة يده بكل قواه فتناثرت شظايا الزجاج تكسو قاع أرضية المكان من حوله .»

كما ذكرنا سابقا ،لم يكتف الراوي بتقمص شخصية مراد باي الثالث من حين إلى آخر، فقد استعمل نفس التقنية لرسم ملامح شخصية إبراهيم الشريف ومراد باي الأول وكذلك الشأن بالنسبة لشخصيات أخرى مثل فاطمة، حفيدتها وغيرهم.

ومعنى ذلك، أن الراوي كان قد أسس روايته على شبكة متكاملة من السرديات بتغيير موقعه من الأحداث التاريخية التي انتقاها بعناية فائقة، أما الهدف من تداخل تلك التقنيات فيعود إلى رغبته الملحة في البحث عما كان، ومحاولته سبر أغوار شخصية مراد باي الثالث بعقدها المتعددة إلى حد الانفصام .

وفي الحقيقة فقد أبرزت الرواية أكثر من جانب لهذه الشخصية من بينها الجانب العدمي، الوجودي الفلسفي، المغامر، العنيف إلى حد الوحشية، الرومانسي الوجداني، التائه، المريض إلى حد الانفصام، التاريخي، السياسي .

ويبدو أن الروائي عبد الوهاب الملوح قد جمع بينها بواسطة رابط أساسي ألا وهو علاقة مراد باي الثالث ثالث بالسلطة في مفهومها العام الذي لا يقتصر على السياسة، فكيف قدم لنا هذه الشخصية بعد سبر أعماقها.

شخصية مراد باي الثالث في رواية حفيد كورصو

لقد عرفت عائلة مراد باي الثالث صراعا دمويا من أجل الاستئثار بالسلطة، فاغتيل والده ثم مات عمه محمد، لكي يتمكن رمضان من حكم البلاد بعد سجنه ابن أخيه وتعذيبه، فلم يدرك مراد الثالث معنى السلطة باعتبارها إدارة وتفاوض تستوجب دراية ومعرفة ولم يتبين جانبها الرمزي باعتبارها تمثل ولو ظاهريا القانون والحق والعدل حتى وإن كانت ظالمة وجائرة ،بل تقبلها بمفهومها البدائي باعتبارها قوة غاشمة تعود للأقوى، للأشد بطشا وعنفا .

لذلك سيعلن الحرب حال تقلده حكم البلاد للبرهنة على شرعيته المهدورة وإثبات جدارته، ثم سينتقم أشد الانتقام من كل أعدائه أي من حاشية عمه رمضان وخاصة مستشاره «مزهود» بقتله بأبشع الطرق .

لذلك لن يستطيع مواجهة نفسه ولا تأمل وجهه الأملس الأبيض الوسيم في المرآة، لأنه لا يعكس ما يشعر به داخل نفسه من قسوة وغربة ونقمة ووحدة.

لسنا إذا، إزاء شخصية نرجسية بالمفهوم الحديث، تلك المعروفة باعتدادها بنفسها ،العاشقة لصورتها الخارجية التي تمارس العنف المعنوي على الآخرين لإثبات قدرتها، بل إزاء شخصية تشكو من الانفصام والعزلة، لأنها لم تجد ضالتها في السلطة ،إذ كانت كلما مارست العنف والقتل وسفك الدماء ،كلما زاد شعورها بالاغتراب، أما السبب في ذلك، فمرده تحول السلطة في غياب جميع أبعادها الرمزية والعقائدية والقانونية إلى مجرد ممارسة للعنف من أجل بث الرعب والموت بين الناس.

لذلك أدرك الراوي أن شخصية مراد باي ثالث تعاني من إحساس دفين بالعدمية، من فقدان تام لمعنى الحياة لأنها لم تعرف لا الاستقرار العائلي ولا المحبة ولا الآمان، وهو الإحساس الذي سيجعلها تمارس العنف على الآخرين بمنتهى القسوة .

فما يعاني منه مراد باي الثالث يتجاوز الرغبة في الانتقام، لأنه لم يتمكن رغم حبه لتونس من التصالح مع ماضيه وتاريخه ،إذ يعود أصله إلى جده الأول المسمى مراد كورصو أو جاك سونتي الذي أسر في سن التاسعة من العمر وبيع كغلام لحاكم البلاد ومعنى ذلك، أن أصول مراد الثالث ليست تونسية ولا عربية وأن ظروف سياسية وتاريخية أوصلت جده الأول إلى الحكم لتمتعه ببعض الخصال مثل الشجاعة والقدرة على إدارة البلاد والذكاء وهو ما يمكن اعتباره بالإرث الرمزي «للبطولة» الذي سيتلقاه مراد الثالث .

كل هذه المعطيات ستخلق منه شخصية ملتبسة، لا تتردد في الدفاع عن البلاد وتشييد معالمها وفي نفس الآونة، لم تمتنع عن البطش بأهاليها وبكل من يخالفها أو يعارضها أو يعاديها.

كذلك، يبرز لنا المؤلف من خلال هذه الشخصية وصفا وسردا أسس الحكم الفردي الاستبدادي بكل روافده التاريخية والثقافية ومساوئه، دون إغفال جانبها الإنساني العاطفي من خلال تعلق مراد الثالث الشديد بفاطمة الفتاة (ابنة عمته) التي شاركته أجمل ذكريات طفولته، فما انفك يشتاق إليها وينتظر ملاقاتها .

أما عن الأسباب التي جعلت المؤلف يستعمل تقنيات متباينة في السرد، فمرده كما أشرنا البحث عن الذاكرة المفقودة.

الذاكرة المفقودة

يمكن القول بأن نشأة الدولة الوطنية بعد الاستقلال ،غيبت جل المراحل التاريخية التي سبقتها لأسباب أيديولوجية، باعتبار أن حكم البايات قد انتهى بإبرام معاهدة باردو في نهاية القرن التاسع عشر وتسليم البلاد للسلطة الفرنسية والقبول بالاستعمار، لذلك لا تستحضر ذاكرتنا الجماعية لا الشخصيات الهامة التي عرفتها كل من الدولة المرادية ولا الحسينية ولا أهم المحطات التي عرفتهما، ولعله السبب الرئيسي (من وجهة نظرنا) الذي جعل الكاتب يختار استحضار هذا الماضي المغيب كما بيننا سابقا، أنه الحلقة المفقودة في ذاكرتنا الجماعية، وما يفسر تجنبه إتباع خط مسترسل في السرد واختياره لأطر مكانية و زمنية متفرقة ليست موحدة ولا مترابطة، لا يجمع بينها سوى ذلك السعي المستمر للمؤلف لفهم المغامرة الوجودية السياسية لمراد باي الثالث، دون الحسم فيها أو الحكم عليها بل لاستحضارها وفهمها وإعادة إدماجها في تلك الذاكرة .

نتبين ذلك في آخر الرواية حين تزور حفيدة فاطمة تونس، بعد أن سلمت مجموعة من الوثائق التي تخص عائلتها لباحث في التاريخ على أن يقوم بتحقيقها وتدقيقها حتى تقدمها للمكتبة الوطنية أو لجهة رسمية كجزء من التراث المنسي لأجدادها المراديين (كما جاء بالصفحة 206) لكي تذكر اللقاء الذي جمعها ب « عبد الوهاب» خلال زياراتها المتكررة لتربة الباي في مقام سيدي بن عروس وتسلمه تلك الوثائق ليعود إليها برواية حفيد كورصو، فما أن تصل الى ضريح جدتها « أهم شواهد على الذاكرة المفقودة « حتى تصلها إرسالية من عبد الوهاب مؤلف رواية «حفيد كورصو» لتذكيرها بأن بما يلي : تلك حقيقة التاريخ، بقدر ما هي غامضة فهي آسرة وكذلك هو حاضرنا أسير ما فاتنا أن ندركه، أنت تعرفين البعض من هذه الحقيقة، أما أنا فعلي أن أعود من حيث بدأ صانصو بقفصة لإتباع الخيط الذي يوصلني لجدي بوجمعة بوشلاكة، دمت بخير.»

كذلك يتحول الراوي في نهاية الرواية إلى أحدى شخصياتها لتورطه في البحث عن التاريخ الذي سينتهي به إلى البحث عن أصوله وقصته الشخصية، إذ لا يمكن الفصل التام بين الذاكرة الجماعية والذاكرة الفردية.

ويمكن القول أن رواية « حفيد كورصو» تعتمد على بنيتين أساسيتين هما الانفصام والثنائية : انفصام الداخلي عن الخارج، انفصام الراوي عن الأحداث، انفصام الشخصية الأساسية وهي مراد الثالث عن جانبها الانساني، انفصام الذاكرة الجماعية عن الذاكرة الفردية والنتيجة الحتمية لهذه الانفصام هي تجزئة هذه الوحدات الى جزئين وتقديمها في شكل ثنائيات وهي ثنائية : الراوي / الشخصية، العنف /الحب، الداخل /الخارج، الماضي / الحاضر ،الذاكرة الجماعية / الذاكرة الفردية .

لذلك يصعب تصنيف رواية « حفيد كورصو» ولا يمكن اعتبارها رواية تاريخية ولا سيكولوجية نفسية ولا سياسية، لما تميزت به من تجريب، وأسلوب شعري، وتعددية الأصوات السردية ، تعددية الزوايا والرؤى لقراءة الأحداث التاريخية، مما يتطلب قراءات أخرى تتناول بالدرس كل هذه الجوانب .

قراءة في كتاب

«في رمزيات التصوّف الطرقي بتونس ومؤسساته» لمحمد العزيز بن زاكور

لطفي عيسى - أستاذ التاريخ الثقافي بجامعة تونس

صدر عن منشورات كلمة بتونس، وضمن سلسلة «البصمة والمنوال» أول قطاف محمد العزيز بن زاكور حاملا عنوان «رمزيات التصوف الطرقي بتونس ومؤسساته». وتمثلت إشكالية هذا الأثر الرئيسية في توصيف واقع التصوّف ومختلف مؤسساته بالبلاد التونسية من القرن التاسع عشر حتى ستينات القرن العشرين، وتعقب الطقوس المتصلة بذلك شكلا، ودلالة، ورموزا.

تم الاستناد في إتمام هذا العرض على متن مصدري متنوعّ استوعب العديد من الأجناس التي تحيل على الثقافة الإسلامية التقليدية تونسيا، تلك التي جسّمتها فيما يتصل ببحث المؤلِّف مدونات المناقب أو / وتراجم الصلحاء، وشروح قصائد الانشاد والمديح الصوفي ومؤلفات أرباب المواجد من أساطين التصوّف الإسلامي وكبار شيوخه مثل الحلاج، والطوسي، والشاذلي، والسكندري، والسهروردي، والشيرازي، ومحي الدين بن عربي، وأبي حامد الغزالي، وعمر بن الفارض، والجنيد، وعبد الكريم القشيري، وأبو طالب المكي، وعبد الجبار النفري، وعبد الله اليافعي، فضلا عن أجناس أدبية أخرى مكمّلة على غرار مدونات الأخبار وقواميس المصطلحات الصوفية. الشيء الذي ترتبت عن تقاطعات روايته محصّلة معرفيّة استعرض المؤلِف مضمونها في شكل استنتاجات نهائية طريفة وجِدُّ مفيدة.

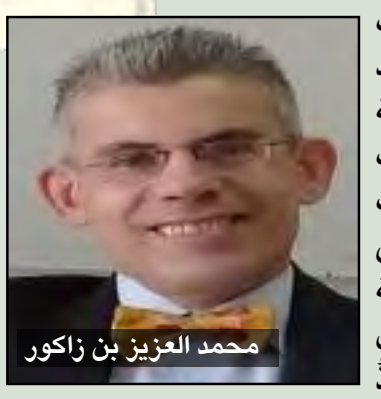
محمد العزيز بن زاكور

في محتوى الكتاب

خُصص الكاتب الباب الأول من الكتاب لتوصيف واقع المؤسسات الطرقية بتونس بين القرنين التاسع عشر والعشرين، وتوقّف أول فصوله عند ثلاثة مسائل هي على التوالي: مدلول التجربة الطرقية في التصوّف بعد الانتقال من تجارب التأمل الروحي الفردي إلى الممارسات الطقوسية الجماعية، وطبيعة المؤسسات الدينية الناتجة عن ذلك، وتوصيف التطوّرات التي طالت هيكلتها التنظيمية ومعمارها ومختلف القوانين أو الترتيبات العُرفية المتّصلة بها.

وتعرض الفصل الثاني لأصناف المؤسسات الطرقية بالبلاد التونسية طوال نفس المرحلة، وتضمنت مباحثه الثلاثة الطرق الأكثر انتشارا مثل «القادرية»، و«الرحمانية»، و«العيساوية»، و«التيجانية»، و«السلامية»، و«الشاذلية»، فالطُرق الأقل انتشارا أو ما وسمه المؤلف بالطرق «المغضوب عليها» مثل «الشابيّة»، و«السنوسية»، وكذا الطرق «الفئوية» مثل «الطيّبيّة»، و«العلوية» المحسوبة إلى الشيخ أبي علي السني النفطي (ت 1213م)، و«العوامرية» نسبة للشيخ عامر المزوغي، و«الحشانية» نسبة لأولاد الحشاني، فالطرق «المزاحَمة» مثل «المدينية»، و«الجزولية»، و«الرفاعية»، و«العزوزية»، و«التبّاسية»، والطرق الحديثة الظهور مثل «العلاوية»، و«المدانية» بقرية قصيبة المديوني بساحل المنستير، فضلا عن الطرق المندثرة مثل «القشاشية»، و«البكداشيّة»، و«القلندرية».

اتصل ثالث فصول هذا الباب بتوصيف هياكل المؤسسات الصوفية وتوضيح طبيعة العلاقات التي ربطتها بالسلطة السياسية. وتمحورت مباحثه الثلاثة حول بعدين رئيسين هما: المعمار والنظام والموارد والوظائف، ثم العلاقة بالسلطة السياسية. بحيث اقترح الباحث قراءتين: اتصلت أولهما بطرق الإدارة والتنظيم والتسيير والقوانين والأعراف والموارد والوظائف، في حين خُصصت القراءة الموالية لتعقّب أبرز التطوّرات التاريخية التي طالت علاقات هذه المؤسسات بالسلطة السياسية في مرحلة ما قبل حضور الإدارة الاستعمارية، وعلى أيام تلك الإدارة، وبعد تصفية الاستعمار وبداية مرحلة دولة الاستقلال.

خُصّص الباب الثاني من هذا التأليف إلى ما وسمه المؤلف بـ «رمزيات التصوّف الطرقي التونسي»، واتصلت فصوله الثلاثة بتعريف الرمز الصوفي الطرقي. وقُسمت مباحث فصله الأول إلى ثلاثة مظان هي: التعريف بمعنى الرمز وتجلياته في المعتقد والطقس الديني والمكان والزمان، وتوضيح علاقة الرمز بالتصوّف الطرقي، من حيث الخصائص والدواعي والتجلّيات أيضا، قبل الانتقال إلى الرمز الطرقي الذي كَيَّفَ أشكال تقبّل العلاقة بالشيخ المربي، وفضاء الزاوية، ومعنى الانتساب إلى الطريقة.

واهتم ثاني فصول هذا القسم برمزيات المعتقدات الصوفية في تونس، مُشتملا هو أيضا على ثلاثة أبعاد هي: توضيح علاقة التجارب الطرقية تونسيا بالذات الإلهية في التصوّرات الحُلولية، وتلك المستندة على نظرية وحدة الوجود في ما وسمه الباحث بـ «التصوّرات السنية». في حين شملت الرمزيات المتّصلة بشخصية النبي تجلّي الحقيقة المحمدية في مختلف الطرق مثل «القادرية»، و«الشاذلية»، و«الجزولية»، وكذا في قصائد المديح النبوي التي ألفها شرف الدين البُصِيري، وفي ثنايا الوظيفة التيجانية أيضا، مُتعرّضة لاحتجاب مدلولها عن الذائقة العامة بعد قسر الهمة في ذلك على التبرّك دون سواه، وردّ الرموز التي تحيل على الشيخ ومدلولها إلى نوع من التركيز المرضي المبني على الافراط في التودّد والتمجيد عبر سحب نعوت «الحبيب» و«الساقي» و«النور الهادي» عليه، مع ربط ذلك بمدلول الأبوّة وتحويل ذاته إلى وسيلة مثلى في الحصول على الشفاعة وتحقيق الخلاص.

اشتملت مباحث الفصل الثالث من نفس القسم، وهو فصل تم إفراده لأشكال الطقوس الصوفية الطرقية ودلالاتها الرمزية تونسيا، على توضيح أشكال الذكر (القرآن، والشهادة والهيللة، والأوراد، والوظائف والأحزاب) ودلالاته الرمزية (الماء، والقوت، والسيف)، مع توضيح رمزية السماع لدى الفقهاء والصوفية وأشكاله على غرار «الميعاد» و«الخرجة» تونسيا، قبل التفرّغ في الأخير لتوضيح رمزيات الرقص الصوفي ودلالاته من منظور الفقهاء والمتصوّفة وأشكاله الموزونة ورصيفاتها المضطربة أو الخارجة عن الحسّ، أو «التخميرة»، وارتباط ذلك بخرق العادة لدى

قراءة في كتاب

العيساوية، والرفاعية، أو ادعاء التواصل مع العوالم الغيبية واستدعاء الجان وإبطال مفعول الاضطرابات النفسية الناجمة عن تلبّسه بالذات البشرية.

على سبيل النقاش والاثراء

لئن لم تُنبئ المعطيات المدرجة ضمن الباب الأول، والمخصّصة تباعا لتوصيف واقع الانتظام الصوفي تونسيا وتصنيف مؤسساته ومختلف التطوّرات التي طالت علاقاته بالسلطة السياسية كما أشكال تنظيمه وتوضيح قدراته المادية، عن تحقيق نقلة فيما يتصل بمقاربة مختلف المدونات المصدرية، بحيث اكتفى المؤَلِف بعرض نتائج أبحاث من سبقوه والاحالة على نفس الوثائق الأرشيفية التي سبق استنطاقها ضمن مؤلفات من سبقوه من المؤرخين التونسيين إلى الاشتغال بنفش الظاهرة وخلال نفس المرحلة الزمنية، على شاكلة ما انتهت إليه بحوث «التليلي العجيلي» و«لطيفة الأخضر»، فأن التصنيف الذي وافانا به والمعطيات المتصلة بعلاقة المؤسسات الطرقية التونسية بالسلطة السياسية وتوصيف أشكال انتظامها وترتيب التصرّف في مواردها المادية، قد وضّح مختلف التفاصيل التي عزّ على جانب من البحوث المنجزة حول تلك المسائل سواء من قبل ممثلي المدرسة التاريخية الاستعمارية، أو تلك التي انجزها العارفون بموضوع التصوّف من الباحثين التونسيين ضمن حقل الدراسات الحضارية والإنسانية والاجتماعية، البَتّ في مدلولها.

وحتى وإن بدا للقارئ أن توجهات المؤلِف قد تأثّرت بنتائج استطلاعات عدد من المتبحّرين وهواة البحث في الجوانب التراثية على غرار ما حوته مؤلفات «البهلي النيال» و«الصادق الرزقي» و«محمد بن عثمان الحشايشي» و«الطاهر الخميري» و«محمْد بن الخوجة» وغيرهم، فإن تصوّراته المعرفية قد انحازت لما توصلت إليها مؤلفات كل من «توفيق بن عامر» في مؤلفيه «التصوّف الإسلامي إلى القرن السادس الهجري»، و«التجربة الدينية بين الوحدة والتنوّع»، وعبد المجيد الشرفي في كتابه «الإسلام بين الرسالة والتاريخ».

أما بخصوص القسم الثاني فقد تداولت فصوله الثلاثة في مسائل تتصل برمزيات المعتقدات الطرقية في تونس من بداية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين. وهي جوانب بدا لنا أن الغرض من استجلابها هو الإحالة على التطوّرات التي طالت رؤية الصوفيّة للذات الإلهية واستيعاب المضامين الذوقية المتصلة بما وسمه أهل التصوّف بـ«الحقيقة المحمدية»، واختصار جميع ذلك في التبرّك بأرباب الطرق والمواجد من الشيوخ المربّين، أحياء كانوا أم وأمواتا، وربط مطلق النجابة في الإذعان لتوجيهاتهم والوقوف عند أوامرهم ونواهيهم خلال المرحلة المقصودة بالمعايرة. وذاك جهد مهم في حدّ ذاته، حتى وأن لم يتم استكماله من خلال مزيد تفكيك أشكال التقبّل ومستوى المدركات أو التمثلات الذوقية ومستويات تطوّرها، بالتعويل على مساءلة المنجز الصوفي التونسي بأذكاره، ووظائفه، وسفائنه، وبحوره، ورباعياته، وأشعاره، ومروياته، وكراماته، ومناقبه، وأزجاله، وأرجازه، ومقطوعات انشاده، حول نفس المسائل التي تم البحث بشأنها، أي كيفية إدراك الذات الإلهية، وتمثل شخصية النبي، ومدلول شيخ التربية والسلوك. هذا بالإضافة إلى الوقوف عند بعض التجارب التي تحوّلت بالتقادم إلى أنماط تراثية، يحتاج مضمونها إلى مزيد تعهّد وتأويل وبحث معمّق في خصوصياتها، حتى لا يطالها النسيان. وهو بُعد بدا لنا محمد العزيز بن زاكور مهيأ لإتمامه وعرض عيّنات من تراثه من خلال استجواب العارفين بأفانينه من شيوخ الانشاد الصوفي أو من المحسوبين عليهم والمنتسبين إلى عائلتهم المشهورة بمدينة تونس مثل «بن محمود»، و«التركي»، و«العبدلي»، و«النعات»، و«الحنّافي»، و«غليونجي»، و«عجاج»، و«خلاّص»، و«بزّاي»، و«سلتان» وغيرها، فضلا عن تفكيك أشكال الاحتفال التي تحيل على مضامين طريفة تتصل بالتعبّد الروحي المزوج بتقاليد شعبية حضرية غير خافيّة سميولوجيا، مثل طقوس الاحتفال بالمولد النبوي، وبمواعيد أخرى أقل انتشارا على غرار «جمعة الرغايب» (وهي تلك التي توافق يوم الجمعة الأول من شهر رجب) أو «ليلة قَسَّام الأرزاق» (الموافقة لليلة الخامس والعشرين من شَهر شعبان)، والتعريف بأشكال مخصوصة من الترانيم التي كان يشد بها المؤذنون ليلا، والتي كانت تُعرف باسم «دفن الليل»، وعلاقة ذلك بتقريب الفرائض وتلطيف الذوق والنهي عن الايذاء تحت ستار العتمة، والحد من الانزعاج أو الشدّ العصبي.

وبالجملة فنحن على تمام اليقين من أن ما أنجزه المؤلِف في غاية الأهمية خاصة فيما يتعلق بتحديد خصوصيات تجارب الصلاح التونسي، مع الكفاية في مكافحة الروايات المبذولة من قبل مؤلفي المدونات التي اشتغل حقيقة عليها، حتى وإن لم تخل استنتاجاته من بعض انسياق للتصديق عمّا ثبت ترميقه من خطابات تكشف عن الطبيعة القلقة والمتردّدة لأصحاب المواجد، وتمكّن من استجلاء مدى قدرة المؤسسات السياسية والاجتماعية والعائلية على القبول بتلك التجارب الروحية أو رفضها.

بيد أن الـمُهم في تقديرنا هو طرح الأسئلة المجدِّدة أو الفارقة التي يسمح حضورها بتحقيق حدّ مقبول من الطرافة، كشف عن قدرة محمد العزيز بن زاكور على تجاوز ما تم التوصل إليه من نتائج معرفية تتصل بموضوع بحثه. لذلك يستقيم أن نعتبر أن معظم ما انتهى إليه من نتائج محصلة معرفية محمودة، ساهم نشرها، ولا جدال، في الدفع نحو صياغة أعمال مبتكرة تدفع نحو تعميق اطلاعنا على تجارب الصلاح التونسية، وتمكّن من تعيير مستويات اتفاقها، وكذا افتراقها أيضا مع تجارب متساوقة معها مغربا ومشرقا.

صورة تتحدّث

مفيدة بورقيبة

ولدت باسم ماتيلد لوران عام 1890 بسان مور دي فوسي (Saint-Maur-des-Fossés) بفرنسا وتوفيت يوم 15 نوفمبر 1976 بالمنستير هي الزوجة الأولى للحبيب بورقيبة وهي أول سيدة تونس الأولى.

عرفها الشاب الحبيب بورقيبة عام 1925 عندما كان يدرس بفرنسا، وقد كانت آنذاك أرملة حيث توفي عنها زوجها الكولونيل لي فرا (le colonel Le Fras) الضابط في الجيش الفرنسي والذي توفي عام 1918. وقد أنجبت منه في شهر أفريل 1927 ابنه الوحيد الحبيب بورقيبة الابن، وذلك قبل أن يتزوجا في شهر أوت من نفس السنة.

عادت معه إلى تونس بعد حصوله على الإجازة في الحقوق في صيف 1927. وبعد الاستقلال عام 1956 حصلت على الجنسية التونسية، واعتنقت الدين الإسلامي بتاريخ 25 أكتوبر 1958 وحملت اسم مفيدة.

كان الحبيب بورقيبة على علاقة عاطفية منذ عام 1943 مع وسيلة بن عمار رغم أنه كانت متزوجة من غيره، وقد طلق زوجته الأولى يوم 21 جويلية 1961 بنية التزوج من وسيلة في الشهر الموالي، غير أن ظروف حرب بنزرت وما أشاعته من حزن بسبب كثرة الشهداء، جعله يؤجل زواجه من وسيلة وهو ما تم بتاريخ 12 أفريل 1962.

كان بورقيبة يزور زوجته الأولى التي حافظت على ودها له إلى أن توفيت ودفنت في تربة آل بورقيبة في مدينة المنستير.

عن تاريخ تونس والمغرب العربي

عبد العزيز المهدوي وابن عربي وأولياء تونس من خلال كتابات هشام عبيد

صلاح بوزيّان - باحث في الحضارة

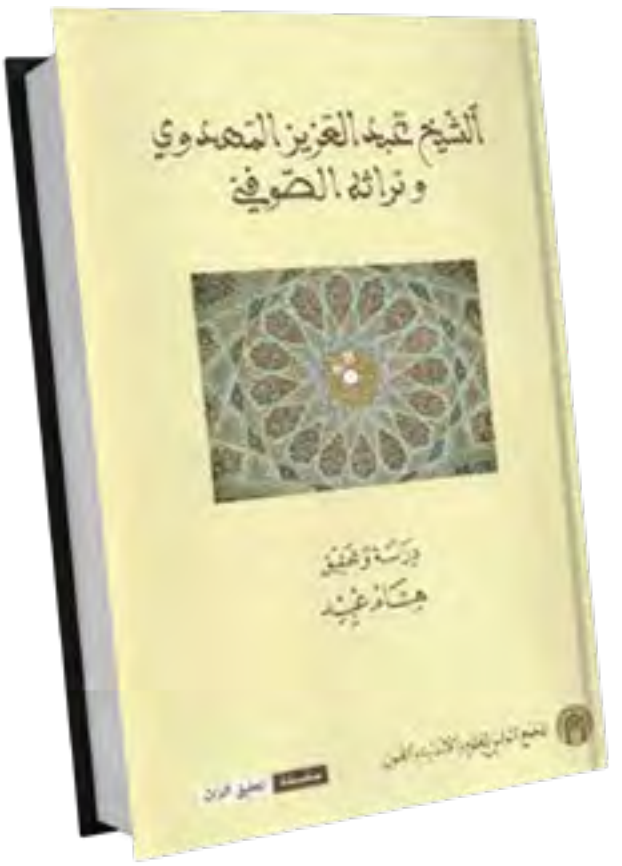

1/ في ناصية التأمّل

أبان النّظر في مؤلّفات الباحث هشام عبيد عن تنوّع في المواضيع وثراء في الطّرح وعناية بالشأن الصّوفي التونسي. ومن ضمن ما استرعى اهتمامنا محاولة فهم لمعاني الأوليائية في مدونة المناقب الصوفية وفي تجارب صوفية فردية. كما نجد علامات دالّة على إثارة جملة من المسائل سنأتي على كشفها وتحليلها في سياق هذه الورقة العلمية. إنّ اللاّفت للانتباه في دراسات هشام عبيد حول التّصوف والأولياء هو التّوسع العلمي وتعمّق التجربة البحثية، مع التأنّي والصّبر والتطرق إلى جوانب جديدة في إسلام المتصوّفة. فكيف تبدو ملامح مشروع هشام عبيد من خلال كتبه: 1(تونس وأولياؤها الصّالحون) و2(الشيخ عبد العزيز المهدوي وتراثه الصّوفي) و3(نشأة الطّريقة الشاذلية بإفريقيّة) و4 (محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيز المهدوي)؟ لماذا عاد الباحث ثانية إلى حظيرة عبد العزيز المهدوي وقد سبق واهتمّ به ؟ لماذا جمع بين الشيخين ؟ لا نعتقد أنّ إدراج هشام عبيد الرّجلين في دائرة البحث كان محض تأمّل في سيرتهما، بل هواختيار مقصود، كأنّها قراءة جديدة لنقطة الالتقاء بينهما. ولكن هل يُعتبر الشيخ عبد العزيز المهدوي أهمّ شخصية التقاها الشيخ الأكبر في مساره الزّمني والرّوحي الطّويل ؟ وأين تبدو ملامح تأثير عبد العزيز المهدوي في الشيخ محيي الدين بن عربي ؟ لا يسمحُ لنا هذا المقال أن نقرأ كلّ مضامين الكتب المذكورة والتي هي تندرج في مشروع علمي مهمّ عكف الباحث هشام عبيد على إنجازه في دِقّة وتدقيق وتروّ وأناة، وسنكتفي بعرض أهمّ ما جاء في الكتابين: (الشيخ عبد العزيز المهدوي وتراثه الصّوفي) و(محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيز المهدوي). وسنحاول أن نسائل فصولا وننبش في أبرز الأفكار اللّوامع فيها.

2/ محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيز المهدوي

كتاب صدر سنة 2023، يشدّك إليه بعنوانه المنتقى بدقّة متناهية تفضي بالقارئ مباشرة إلى موضوعه الرّئيس، فالمأدبة عنوان الكتاب من ناحية ونحن نعلم رمزية المأدبة في ثقافتنا وتاريخنا، وممّا يزيد العنوان خطورة أنّ المأدبة تجمع بين علمين من أعلام التّصوف السّني المغاربي، واللاّفت في الأمر أنّ كثيرا من المنشغلين بالتّصوف ممارسة أو بحثا يجهلون علاقة الشيخ المهدوي بالشيخ الأكبر وتأثير المدرسة الصّوفية بإفريقية في الشّيخ محيي الدّين بن عربي ولعلّ طرافة مشروع هشام عبيد تكمن في إثارة هذه الدّرر والحفر في هذه المدارات المجهولة بما يفيد جهود الإنسانية في التّحرر من التّكرار المعرفي والانعتاق من هيمنة المركزيّة الاستشراقية كما تبدو لنا طرافة هذا المشروع في إعلاء قيمة المدرسة الصّوفية التونسيّة بمختلف أذواقها ومميّزاتها وتجاربها الرّوحية التي خيّر بعض أصحابها الصّمت والهدوء في بحار التّجريد والتّفريد وترتفع أرواحهم إلى أرفع درجات الفرادة والكمال، ولعلّ شخصية الشيخ عبد العزيز المهدوي واحدة من الشخصيات التي آثرت الصّمت ممّا جعلها تبدو «غامضة آسرة قد تتضارب الآراء حولها «1.وسنأتي على طرح هذه الفكرة تِبًاعا. يحملُ غلاف الكتابُ صورة مريدين صوفيين يرقصون في حلقة وعلى رؤوسهم طرابيش صوفية ولباساهم أبيض، معراج الأرواح نحو المحبوب/ الله تعالى. فما علاقة الرّقص بالطّعام والصّداقة في هذا الكتاب ؟ وتمتدّ المواضيع على 206 صفحة، موزّعة على ثلاثة أبواب مهمّة نكتفي بعرض عناوينها لنترك للقارئ البحث عن فصولها ومعانيها: الفصل الأوّل: المشروع الإحيائي الصّوفي السّني في الفترة الموحّدية مقدّمات ومنابع متجدّدة، والفصل الثّاني: محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيز المهدوي، والفصل الثّالث: ابن عربي والمهدي : مسار الصّحبة والاعتراف . لاحظنا أنّ هشام عبيد استنطق النّصوص واستثمرها أصوب استثمار لفهم جوهر علاقة الرّجلين، واكتشاف منطلقاتها وتحديد نوعها وحدودها . على عكس دراسات أخرى ادّعت اهتمامها بالتّصوف في فترة ما وأسرفت في السّرد التّاريخي وتنتيف سيرة أولياء دون تأمّل تراثهم، فغلب عليها الطّابع التّاريخي وأهملت البعد الحضاري وهي تحسب أنّها اهتمّت بالتّصوف باعتباره ظاهرة ثقافية أو منتج ثقافي، فلم تستثمر البعد الحضاري لتلك الشخصية وتقدّم قراءة وفق جملة خصوصية تلك الشخصية وسياقاتها، ولم تجتهد في جمع تراثها ولا تأمّلت تراث معاصريها الذي ينطوي على ما يفيد، ولربّما نثير هذه المسألة بعيدا عن هذا المقال. كما لاحظنا في مقالنا هذا أنّ هشام عبيد فكّك بنية النّصوص بما له علاقة بصميم الموضوع المطروح في ترابط وتواشج منطقيين متينين يفضيان إلى تصوّره لمختلف القضايا والمواضيع التي ربطت الرّجلين ومآلاتها . بحث في قادرية أبي مدين التلمساني المغربية بِعُمق وهي نقطة مهمّة أهملها جمهور الباحثين في أبي مدين الغوث، كما حاول الوقوف على جذور التطابق بين أبي مدين وشيخه عبد القادر الجيلاني- إذا سلّمنا بلقائهما في غار حوار أثناء مناسك الحجّ- إلاّ أنّه نفى التطابق بينهما، بسبب مميّزات كلا التجربتين وسياقهما المختلفين، رغم أنّ أبا مدين حاول تطبيق مفهوم التربية الصوفية السنية وانتهج النزعة الأخلاقية الإصلاحية وهو في ذلك بلا شكّ متأثّر بالجيلاني، إلاّ أنّه اختلف عنه، ونلفت الانتباه إلى أنّ أبا مدين التلمساني بحث عن تأصيل لتجربته الصوفية بالتحاقه بعبد القادر الجيلاني والانتساب إليه، ولا ننسى أنّ الجيلاني هو أوّل من أسّس الطريقة وضبط فضاء الزاوية وفق معايير من القرآن والسُنّة، وانتساب أبو مدين إلى الجيلاني هو انتساب إلى سلسلة الأولياء الذهبية التي يجلها جمهور الباحثين في الشّأن الصّوفي ولم تتطرّق كلّ الدّراسات والبحوث في التّصوف لجهل الباحثين بجوهر الطرقية وخفايا ترتيب الأوليائية ومراتب الأولياء، وأن يكتب طُرقيٌّ باحث في التّصوف فذلك اختصاص في الاختصاص فريد ومفيد ونادر، لأنّه يكتب من داخل التّصوف بأدوات البحث العلمي، لا كشأن كثير من البحوث التي تستخدم مناهج البحث العلمي في التّصوف وتسقطها على تجارب صوفية إسقاطا فتبدو بحوثا جافّة تكرّر تأويلات المستشرقين وتدور في فلك من حاولوا قراءة إسلام المتصوّفة مستعذبين أقوال المستشرقين وآراءهم وكأنّها آتية من عالم الحقيقة نزيهة وصالحة لكلّ وقت . إنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني هو اللّحظة الفارقة في تاريخ التّصوف لأنّه مهندس الطرقية، أسّس الطّريقة واختار لها فضاء وضبط أدوار كلّ الفاعلين داخل هذا الفضاء، لقد جمع الشيخ عبد القادر بين التّنظير للطّريقة والممارسة، وهو الذي استكمل ما بدأه الإمام الغزالي من محاولة لتعريف التّصوف وكلّ ما يتعلّق به. وأدرك أبو مدين أن انتسابه إلى الجيلاني ضروري رغم أنّ له مشايخ مغاربة

1 - عبيد (هشام)، الشيخ عبد العزيز المهدوي وتراثه الصّوفي حياته وفكره وتحقيق رسالته في التصوف محجة القاصدين وحجة الواجدين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة،2016، ص 25 .

التصق بهم واقتدى بهديهم الصّوفي . وأشار الباحث إلى وعي المغاربة بضرورة وصل اتجاهاتهم الصوفية بالمنابع الصوفية المشرقية. وهو في تقديرنا إلتزام روحي، يقتضيه المسار الصوفي وتستوجبه مبادئ الأوليائية، فالتحاق أبو مدين بالجيلاني هو التحاق الفرع بالأصل والمغرب بالمشرق بغاية التأصيل والانتساب إلى السلسلة النورانية والانتظام . فعبد القادر الجيلاني هو القطب والسّند آنذاك.

3/ الأخبار والالتفاتات

إنّ ما جاء في مقدّمة الكتاب(محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيزالمهدوي) على غاية من الأهمّية، فقد أشار الباحث هشام عبيد إلى علاقة وثيقة ربطت بين الشيخين محيي الدين بن عربي وعبد العزيز المهدوي، وهي ثمرة سفرتين قام بهما الشيخ الأكبر إلى الشيخ المهدوي وجلس إلى مائدته واختلط بكبار أصحابه. واعتبرها علاقة تلميذ(محيي الدين بن عربي) بشيخه الأكبر(عبد العزيز المهدوي)، وأخبر عن انتباه القدامى إلى هذه العلاقة وتصنيفها بعبارة المؤرّخ عبد الواحد بن الطّواح:» وهذا كلام دلّ على أنّه أكبر أشياخه».والمهمّ في ما تفطّن إليه هشام عبيد هو أنّ المتوقّفين عند أهمّية هذا اللّقاء اكتفوا بالاستمتاع بروعة ما ورد في حوارات مجالس الرّجلين، ولم يحفروا في معانيها ودلالتها، وإنّ من مظاهر توفّق هشام عبيد في عمله أنّه حاول إبراز الأهمّية العلمية لهذه اللّقاءات، وبَيّنَ شواهد هذه الأهميّة وأوّل شاهد على ذلك فعل التدوين الذي قام به محيي الدين بن عربي ناقلا عن شيخه المهدوي، وهذا التدوين بمعنى من معانيه يكشف عُمق دور التصوف التونسي وتأثيره في حركة التصوف المغربي، ها هو يخاطب المهدوي في رسالة روح القدس قائلا:» وقد فُزت يا أخي، جعلني وإيّاك من الفائزين، في زمانك هذا بخلال لم أقدر أن أراها من غيرك . منها معرفتك بمرتبة العلم وأهله، وعدم تعريجك على الكرامات والأحوال، ومنها انقيادك للحقّ وتواضعك له ونزولك إليه عند من وجدته سواء كان ممّن تلحظه العيون أم لا تؤبه له، ولم تلحظ منزلتك الدّنيوية من تعظيم النّاس لك، وتقبيلهم يدك، وإتيان السلاطين إلى بابك، وهذا غاية الإنصاف» ويقول له في طعامه: « أبشّرك، يا وليّ رضي الله عنك، أنّي جرّبت إخواني في هذا الطّعام من باب المغرب إلى باب مكّة المشرّفة، فما دخل في بطني أخلص من طعامك. كنتُ أجد له ما لا يمكن وصفه، وذلك لطيب النّفوس وعدم تعلّق خاطرك به إلاّ في وقت ما «2. تبدو لنا صورة الشيخ والمريد في هذا الشّاهد ضعيفة فاترة، ممّا يجعلنا نستنتج أنّ علاقة الرّجلين لم تكن علاقة تتلمذ وتعلّم، بل إنّها علاقة شيخ بصاحبه وجليسه، إنّها « تبدو أقرب إلى مفهوم الصّداقة الصوفية، تتجاوز علاقة الشيخ بالمريد»3.و لعلّ الشّاهد على ما انتبهنا إليه في ما قدّمه الباحث هشام عبيد، هو أنّ محيي الدين عربي امتدح المنهج الصّوفي للشيخ المهدوي وأشاد بعُلوّ شأنه في مدارج أهل الله وخلاص زهده، وإنّ تبادل الرّأي بين الرّجلين لهو خير دليل على قيام علاقة ودّ بينهما قوامها الحوار وتبادل الرّأي وكأنّنا بالشيخ محيي الدين يتحاور مع الشيخ أبي مدين في شخص الشيخ عبد العزيز المهدوي . بل إنّ الشّاهد الأكبر على ما ذهبنا إليه من تآخ بين الشيخين وتقارب وتواشج هو حضور التّدوين كما سبق ذكره، والتّدوين في تقديرنا أخذ شكل الكتابة المنقبية المختلفة عن المراسيم المنقبية المألوفة شكلا ومضمونا كما أخذ شكل التّوثيق والتّقييد، تقييّد الثّمين النّفيس خوف الضّياع والتّيه، وتأصيل المعارف وتأسيس البنيان وبيان نَسَبٍ وتوثيق انتساب. لقد كان الشيخ محيي الدّين يدوّن انتسابه إلى الشيخ عبد العزيز المهدوي ثمّ أبي مدين التلمساني وهو يكتب ما دار بينهما، حتّى وإن كان ظاهر العلاقة ينفي صلة المريد بشيخه فإنّ التدوين يؤكّدها، بل يؤكّدها الشيخ الأكبر ها هو في موضع آخر يتحدّث عن الشيخ أبي مدين التلمساني مشيرا صراحة إلى انتسابه إليه، فيقول:» كان

شيخنا أبو مدين رضي الله عنه يقول: من علامة صدق المريد في إرادته فراره من الخلق، ومن علامة فراره عنهم وجوده للحقّ، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخالق، فهذا هو حال الوارث للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه، ويترك بيته وأهله ويفرّ إلى ربّه». كما نظفر في رسالته التي خاطب بها الشيخ عبد العزيز، بما يؤيّد ما ذهبنا إليه فهو يخبره أنّه ردّ بافتخار واعتزازعلى شيخ مشرقي استنقص شأن المشايخ المغرب وذكر له سيرته العطرة وسيرة شيخه أبي مدين، فكأنّنا به يُعلن انتسابه إليهما، يقول:» فأبدينا له يسيرا ممّا وهبك الله من الأسرار، ثمّ أعقبناه ببعض أحوال سيّدنا أبي مدين خلاصة الأبرار، فبقي مبهوتا بما سمع، وقال ما تخيّلت أن يكون هذا في بلاد المغرب»4.

ونلفت الانتباه إلى ما أشار إليه الباحث هشام عبيد وهو شيء على غاية من الأهمّية، يتمثّل في أنّ محيي الدين بن عربي يكاد يكون الشّخص الوحيد الذي اهتمّ بشخصية عبد العزيز المهدوي، ونصوصه تنفرد بتقديم الشيخ المهدوي بأسلوب خاصّ ووِفق رؤية صوفية صرفة، رسمت لنا ملامح هذه الشخصية في بعديها الإنساني الصّوفي، وأن يكتب الصّوفي عن الصّوفي فإنّ ذلك يفترض إعادة قراءة تراث الشيخ محيي الدين بن عربي وفق هذا الاستثناء الثّمين المدهش، ويبدو لنا أنّ تأثّر الشيخ محيي الدّين بالشيخ المهدوي قد تواصل تواصلهما بعد ارتحاله إلى المشرق، ومن غريب وعجيب ما أشار إليه الباحث هشام عبيد دعوة الشيخ الأكبر الشيخ المهدوي للالتحاق به في مكّة. 4/ محجّة القاصدين وحجّة الواجدين: عنوان رسالة مقيّدة عن الشيخ عبد العزيز المهدوي(621هـ - 1224م) يعتبرها الباحث من نفائس المخطوطات لأنّ نسخها قليلة نادرة وقد حققّها في كتاب (عبد العزيز المهدوي وتراثه الصوفي)صدر سنة 2016في 578صفحة، ويخبرنا الباحث أنّ أبا الحسن علي بن أبي زيد عبد الرّحمان البجائي،هو الذي «صاغ الرّسالة صوغا جديدا وأخرجها للنّاس في عهد أستاذ تربيته الصّوفية الشّيخ فتح الله العجمي(847هـ - 1444م)بعد أن التمس منه ذلك»5.و إنّ في إحيائها ما يشير إلى تواصل حقيقي بين أجيال الصّوفية بإفريقيّة ويشير الباحث إلى قيمة الرّسالة فهي تعزّز ما استنتجه في دراسات سابقة من « حقيقة الدّور التّأسيسي الجديد الذي قام به المهدوي على مستوى التّصوف الإفريقي، دون أن نقللّ من أهمّية ما قام به أبو مدين الغوث في عصره على

مستوى الغرب الإسلامي»6. وتبدو لنا شخصية الشيخ عبد العزيز المهدوي من خلال قراءة الباحث لهذه الرّسالة شخصية عالمة متوازنة ومتجذّرة في لحظتها التّاريخيّة ف»تفكير المهدوي وحياته شيء واحد، إذ أنّه لم يعبّر عن نظريات أو أفكار فلسفية بقدر ما عبّر عن أفكار كان يحي بها ويعتنقها بعمق. صرامة في التفكير تقابلها صرامة في السّلوك لم يتوان لحظة في أخذ نفسه عليها وترويض نفوس المريدين على اعتبارها منهجا ملزما يسيرون عليه، فلا محجّة للقاصدين إلاّ هذه المحجّة»7. ويُنبّه الباحث إلى مدى أهمّية الشيخ عبد العزيز المهدوي في تاريخ التّصوف واشتهاره من ناحية وإلى تجنّب مؤلّفي المناقب في القرنين 7هـ و8هـ تدوين سيرته بسبب غموضها من ناحية أخرى، إلاّ أنّنا نُرجع إحجامهم عن التّأليف إلى عجزهم التّام عن تأليف كتاب في سيرته يستوجب تيقّظا معرفيا وقدرة على الاستنباط وجهدا في فهم هذه الشّخصية المهمّة والفريدة والاستراتيجية في وقتها، ونعتبرها فرصة ذهبية . والطريف هو أنّ هشام عبيد أشار إلى كتاب مفقود حرّره ابن عربي في مناقب الشّيخ عبد العزيز وإلى ترجمة نسجها ابن طوّاح التونسي (بعد 718هـ/1318م)وأدرجها في كتابه الموسوم ب(سبك المقال). تُعدُّ جديرة بالدّرس.إنّ كُتب الباحث هشام عبيد تعتني بتاريخ التّصوف بإفريقيّة وحلقاته المفقودة وتقدّم مقاربة طريفة وهي تدرس التّاريخ والتّصوف والمناقب . لقد ارتبط درس الباحث هشام عبيد لشخصية عبد العزيز المهدوي الاستثنائية صحبة محيي الدّين بن عربي بلحظة زمنية استثنائية جمعتهما، وهذه اللّحظة الزّمنية الاستثنائية التي تبدو للبعض عابرة بلا معنى، بدت لهشام عبيد غنية المعنى عميقة الأبعاد من زاوية الموارد التي عاد إليها . وهذا ما جعل أعماله على غاية من الأهميّة لأنّه حاول كشف أوجه التأثير الفعلي لتلك اللحظة الاستثنائية في مجرى تاريخ الرّوحانية ببلاد المغرب. وممّا زاد هذا العمل طرافة وعمقا وصوابا وجدوى، هو أنّ هشام عبيد قارب الموضوع بطريقة تنأى عن المقاربات المدرسيّة المنتشرة وفيرا وتبتعد عن الطّريقة الموظّفة في الدّراسات التّاريخية التي ربّما تثمر مقاربات أنتروبولوجية نافعة ولكنّها مرتبكة خالية من ضروب الدّقة في شأن تحقيق المصادر

الصّوفية والمنقبية وفهم معجمها وهو أمر بالغ الخطورة، ولكن أليس التّعايش وظاهر التّشابه والتّآلف ينطوي على اختلاف في الأعماق ؟ قد يتطلّب الاتّحاد الرّوحي اتّحادا ذهنيا وقد يثمرُ اختلافا ذوقيا عميقا يضمن التّواصل .

---

2 - عبيد (هشام)، محيي الدين بن عربي على مأدبة عبد العزيز المهدوي، مجمع الأطرش للكتاب المختصّ، ط1، 2023، ص9 .
3 - مر.س، ص 12 .
4 - مر. س، محيي الدين بن عربي في مأدبة عبد العزيز المهدوي، ص 12 .
5 - مر، س، الشيخ عبد العزيز المهدوي وتراثه الصّوفي. ص 68 .
6 - مر .ن، ص 115 .
7 - مر.ن، ص 117 .

مهرجان النسري بزغوان من 1 إلى 9 جوان :

برنامج ثري يثمّن التراث المادي واللاّمادي بالجهة

محمد رضا البقلوطي

تتواصل بزغوان هذه الأيام تظاهرات ثقافية وعلمية وترويجية إستعدادا لحدث تشهده المدينة سنويا من خلال مهرجان متميز من حيث مضمونه وبرمجته المتنوعة وذلك بالتركيز على تثمين الخصوصيات المحلية بالجهة للحفاظ على التراث المادي واللامادي.

وللتعريف ببرنامج الدورة الجديدة لمهرجان النسري في نسخته 38 انعقدت ندوة صحفية لجمعية مهرجان النسري بزغوان للإعلان عن جديد هذا العام ببرمجة تتماشى وخصوصيات الجهة ورغبات الجمهور الذي يأتي من مختلف الجهات للتمتع بانشطة وعروض فنية من موسيقى ومسرح وفنون تشكيلية ومعروضات للصناعات التقليدية وإبراز المنظومة الغذائية بالجهة وخاصة الحلويات التي تتخذ من النسري اساسا في تركيبتها وللجمهور العريض من كبار وصغار مواعيد للتنشيط الجماهيري والألعاب والسهرات الفنية...

كل ذلك سيساهم في تنشيط الحياة الثقافية والسياحية والاقتصادية والتجارية.... تفاعل كبير يعيشه الجمهور خلال الدورة الجديدة لمهرجان النسري والذي سيقام هذا العام خلال الفترة المتراوحة بين 1 و 9 جوان القادم ببرنامج ثري ومتنوع من أهم ملامحه سهرة الإفتتاح مع نجوم زغوان بعرض موسيقي بمعبد المياه وتخصيص يوم الطهي من خلال عروض للحرفيين في المجال الغذائي وذلك بتقديم أكلات محلية تقليدية من التراث الغذائي الزغواني مع تنظيم ورشات تكوين للوصفات المبتكرة بالنسري وورشات لتطوير مهارات مهنيي الطبخ وتكوين في مجال التسويق والعلامات التجارية وإقامة يوم دراسي حول الشركات الأهلية وديناميكية الخصوصيات المحلية النسري نموذجا...

ومع تنوع البرامج الموسيقية والمسرحية سيكون الحضور السينمائي من خلال عرض فيلم وغدا للمخرج إبراهيم باباي بحضور ثلة من النقاد والفنانين إذ تم تصوير هذا الشريط بزغوان فكان فرصة ليبرز بعض الجوانب ذات الصلة بالمعمار والتراث والبيئة في المدينة وللرياضة نصيب كذلك من خلال يوم السياحة الرياضية والأنشطة الجبلية ومسابقات في الرياضة الفردية والجماعية...

وللإشارة فإن انطلاق مهرجان النسري بزغوان يعود إلى سنة 1980 حيث بادرت بلدية زغوان بتنظيم الدورة الأولى لإبراز أهمية زهرة النسري ذات الرائحة الفواحة والمذاق الفريد والتي اقترن اسمها بحلويات " كعك الورقة " وهو نوع من الحلويات تعود أصولها إلى مسلمي الأندلس اي الموريسكيين إبان حط رحالهم بتونس اثر تهجيرهم.

ندوة علمية تحت شعار: زغوان مجال وتاريخ و تراث:

وقد واصلت جمعية مهرجان النسري بزغوان الحفاظ على المكسب التراثي من خلال إشرافها على تنظيم المهرجان انطلاقا من سنة 2014 للنهوض به وتطويره والسعي إلى انفاذ الطابع الدولي عليه.

ومن الإضافات المتميزة التي بادرت بها الجمعية تنظيمها لندوة علمية يومي 3 و4 ماي 2024 تحت شعار: زغوان مجال وتاريخ وتراث قصد طرح مقاربات علمية

جديدة كان لها دورا في إثراء الرصيد المعرفي المتنوع حول زغوان. وقد أقيمت هذه التظاهرة الثقافية العلمية حول المنطقة، بالشراكة مع قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة أياما دراسيّة حول مجال وتاريخ وتراث زغوان وبمساهمة المعهد العالي للموسيقى بسوسة ومعهد الدراسات العليا بتونس وبالتعاون مع "جمعية مهرجان النسري بزغوان" و"المندوبية الجهويّة للثقافة بزغوان" وجمعيّة "زغوان المستقبل" و"مؤسسة دار زغوان". وأتت هذه الأيام مجموعة من الأساتذة الجامعيين والباحثين المختصين من مؤسسات جامعية وعلمية تونسية (جامعات سوسة، تونس، منوبة، صفاقس، جندوبة و المعهد الوطني للتراث) وأجنبية (جامعة برشلونة إسبانيا/ منظمة اليونسكو). وتناولت مداخلات البحث المحاور التالية:

زغوان ومجالها الطبيعي وتاريخها عبر مختلف العصور (المجال الطبيعي بين التدبّر والاستغلال/ بداية التعمير البشري)، التّعمير والتّعايش والتثاقف (التراث الأندلسي:

تجارب مقارنة/تراث زغوان اللامادي من المحافظة إلى التثمين)، الموروث الطّبيعي والثّقافي وسبل حفظه وتثمينه (تراث زغوان بين التأثر والتأثير على المجال/ تراث زغوان في الفترة المعاصرة).هذه الجلسات العلمية حضرها واثرى نقاشها (أساتذة وطلبة مرحلة ثالثة والمجتمع المدني والمختصون والمهتمون بالتاريخ والتراث)

يوم ترويجي بالعاصمة للتعريف بثراء المخزون الحضاري والثقافي بمدينة زغوان

كما نظمت جمعية مهرجان النسري بزغوان معرض التسوق بالمدينة من 7 الى 20 ماي الجاري بحضور العديد من العارضين وبالشراكة مع الاتحاد الجهوي للصناعة والتجارة بزغوان.بالإضافة إلى

يوم ترويجي بشارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة يوم 24 ماي الجاري للتعريف بثراء المخزون الحضاري والثقافي للجهة وتخللت هذا اليوم فقرات تنشيطية وترفيهية للزائرين بالإضافة إلى ورشات لصناعة وبيع كعك الورقة بالنسري وورشات تقطير وبيع النسري كذلك ورشات حرف وصناعات تقليدية من جانب آخر تواصل الجمعية جهودها لتسجيل عنصر كعك الورقة بالنسري ضمن القائمة الوطنية للتراث الثقافي اللامادي لما لهذه الزهرة من أهمية إذ يستخرج منها عطر الذي يعتبر المكون الأساسي لاشهر الحلويات في زغوان الذي حافظ أهلها على الطريقة المتميزة لصنع هذه الحلويات و توارثتها الأجيال...

وبخصوص مجالات استعمال زهرة النسري فإن ماء النسري يستعمل دواء لأمراض القلب والشرايين وغيرها من خلال شربه خامّا ممّا يجعل ثمن اللتر الواحد مرتفعا، ثم أن الحلويات وخاصة "كعك الورقة " رمز الجهة تستأثر النسبة الأوفر من الإنتاج والاستعمال نظرا للنكهة المتيّزة التي يضفيها "النسري " على مذاق هذه الحلويات ..ومن فوائده كذلك المساعدة في علاج التهاب المفاصل الروماتويدي، والحد من أعراض هشاشة العظام. دعم المناعة لمقاومة العدوى. حماية الجسم من الشوارد الحرة، كذلك ينظّم دقات القلب والدورة الدموية وفي أمراض الجهاز الهضمي لكن هناك من يستعمله كدهان لروماتيزم المفاصل ولمعالجة مرض النّقرس والسكري وكمنشّط للجسم ويساعد على التركيز في الدراسة...

فى مهرجان ايزيس الدولي لمسرح المرأة:

سفير تونس في القاهرة يحضر عرض مسرحية «شعلة» لأمينة الدشراوي

صالح سويسي

ضمن فعاليات الدورة الثانية لـ "مهرجان إيزيس الدولى لمسرح المرأة "دورة عايدة عبد العزيز"، حضر محمد بن يوسف سفير تونس في القاهرة العرض المسرحي التونسي "شعلة" للمخرجة أمينة الدشراوي على خشبة مسرح الطليعة.

وتدور أحداث العرض فى إحدى المؤسسات الجامعية في تونس، حيث تواجه الطالبة "شعلة" إشكال اخفاقها في مادة علم الاجتماع، والذي يؤثر على نتائجها ويتسبب في رسوبها، تتجه إلى مكتب الأستاذ في محاولة منها لفهم أسباب هذا الإخفاق، فيقترح الأستاذ أن يسند لها الدرجة الأعلى في حالة موافقتها على العودة بصفة سرية، تثور الفتاة كردة فعل على هذا الاقتراح، وترفع ضده شكوى بالتحرش الجنسي مما يفقده منصبه ويؤدي به إلى الانهيار، حيث يتناول العرض فكرة استغلال السلطة والهيمنة.

العرض "ديودراما" من بطولة منير الخرزي وهيفاء الكامل، وسينوغرافيا على يحياوي ودراماتورج وإخراج أمينة الدشراوي.

يذكر أن تونس ضيف شرف هذه الدورة من "مهرجان إيزيس الدولى لمسرح المرأة"، وتشارك بثلاثة أعمال مسرحية هي "قبيلة" إخراج صابرين غنودي، "بلا عنوان" من إخراج مروة المناعي و"شعلة" دراماتورجيا وإخراج أمينة الدشراوي.

وفي ذات المهرجان أثثت الفنانة سيرين قنون والفنانة وفاء الطبوبي ورشًا فنية في مهارات التمثيل.

"مهرجان إيزيس الدولى لمسرح المرأة" تنظمه مؤسسة جارة القمر وهي مؤسسة ثقافية غير ربحية ويقام تحت رعاية وزارة الثقافة المصرية، ويدعمه عدد كبير من الشركاء.

صورة تتحدّث

لطفي الدزيري

نحب نحكيلكم على الفنان المبدع رجل المسرح والسينما لطفي الدزيري يعتبر أحد ألمع نجوم التمثيل في تونس، حيث شارك في 39 فيلما سينمائيا أجنبيا وفي بطولة ثمانية أفلام تونسية من بينها «آخر فيلم» لنوري بوزيد ،و«كسوة : الخيط الضائع» لكلثوم برناز ،و«فوس نوت» لمجدي السميري و«فيزا» لإبراهيم اللطيّف.

وكان آخر عمل شارك فيه هو الفيلم الروائي القصير «دنيا أحلى» للمخرجة الشابة شيراز البوزيدي، وفي مجال الأفلام الوثائقية أخرج الدزيري عددا من الأعمال آخرها «كيف ولماذا» الذي يروي تفاصيل ما حدث في تونس من انتفاضة شعبية انتهت بسقوط نظام الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي .

كما شارك الدزيري في بطولة عدد من الأعمال التلفزيونية من بينها «قمرة سيدي محروس» و«دروب المواجهة» و«قهوة جلّول» و«شوفلي حل» و«دار الخلاعة» و«نجوم الليل»، وقدم عددا كبيرا من الأدوار المسرحية من بينها مسرحية «ما تعلقّش» وهي من نوع مسرح الوان مان شو .

لطفي الدزيري من مواليد يوم 6 جانفي سنة 1946 فى قرطاج, توفي فى 5 ماي سنة 2013 عن عمر 67 سنة.

في الحاجة إلى الكذب

وفاء البوعيسي - كاتبة من ليبيا

إنّ فكرة تجريم الكذب عمومًا تبدو فكرةً راديكاليّة، إلّا أنّها ليست بعيدة المنال عندما نُدرِك أنّ الكذبَ مُجرَّم بالفعل في العديد من السياقات، مثل: حنث اليمين، والإدلاء ببيانٍ كاذب، وشهادة الزّور، ونشْر الشائعات والأكاذيب، وانتحال الشخصيّة، والاحتيال، والتنكُّر، وتزوير المستندات، وتزييف علاماتٍ تجاريّة، أو تمثيلٍ كاذب لشخصيّةٍ ما، وإصدار صكوك وسندات ائتمانيّة وأسهم مستنديّة بلا تخويل، وسكّ عملة مزيّفة، والافتراء على الغَير. لكنّ المشرِّع لا يُجرِّم أكاذيب أخرى كالغيبة والنميمة، والكذب بشأن العمر والوضع الماديّ بين الأفراد، وإخفاء الشيخوخة أو التشوّهات بعمليّات تجميل، وادّعاء الحبّ من أحد الجنسَيْن للآخر، والوعود الكاذبة التي تُطلَق يوميًّا بالمئات لآخرين.

وليس من الخفيّ في كثيرٍ من الدول، أنّ مسؤولي إنفاذ القانون أنفسهم يمارسون الكذب بشكلٍ منظَّم، مثلاً: يكّذب الأطبّاء والممرّضات على المرضى للتخفيف عنهم، ويكذب السياسيّون والدبلوماسيّون لاغتنام ميزةٍ في مفاوضات السياسة الخارجيّة، وكواجب متأصّل تجاه موكّليهم، يكذب المُحامون بشكلٍ قانونيّ عبر إخفاء معلوماتٍ قد تضرّ بزبائنهم، كما تكذب الحكومات على شعوبها بشأن صفقاتٍ أبرمتها مع دول أو جماعات مُعادية.

الكذب إذًا متكرّر ومُنتشِر في مؤسّسات الدولة للمصلحة العامّة، وفي المجال الخاصّ، فالشخص العاديّ يروي بضع أكاذيب مهمّة في اليوم، وغيره يروي أكثر بكثير من ذلك، لتفادي المتاعب، أو حفْظ ماء الوجه، أو لتجنُّب إيذاء الآخرين. بما يُشير إلى أنّ الكذب يعمل بشكلٍ جيّد في المُجتمع، بما لا يستحقّ، ولا يستلزم العقاب عليه.

قُبح الحياة بلا كذب

والحقيقة أن ثمّة مبدأ أخلاقيٌّ متجذّرٌ يَعتبر الكذبَ سلوكًا غير مشروع، كما تميل الغالبيّة إلى نبذ الكذب وكلّ أشكال الخداع. لكنّ الشخص العادي، وإن كان لا يقتل ولا يسرق ولا يغتصب، إلّا أنّه غالبًا قد يكذب. فالكذب سمة من سمات التفاعُل البشريّ، إذ يكذب الأصدقاءُ على أصدقائهم ليكونوا مهذّبين، ويكذب الطلّابُ على أساتذتهم بشأن فروضهم المدرسيّة، ويكذب الأزواجُ على زوجاتهم بشأن مكان وجودهم أو قدرتهم الماليّة، ويكذب المراهقون على أولياء أمورهم بشأن الأصدقاء الذين يحتفظون بعلاقاتٍ معهم، كما يكذب الأقارب والزملاء في العمل، ونحن أيضًا قد نكذب على الآخرين. يُمكنني أن أستمرّ في تصوّر سيناريوهات أخرى تنطوي على الكذب، لكن هل من المتصوّر هنا أن نطالب بتجريم تلك الأكاذيب وغيرها؟

حسنٌ. إن الإشكاليّة تكمن في أنّ الكذب موضوعٌ يصعب التعامل معه، لأنّه يجسّد الالتباسات الأخلاقيّة التي يصعب حلّها، بالنَّظر إلى جدواه في حياتنا، والإشكاليّة الأكبر أنّ الكذب قد يكون مقبولًا أخلاقيًّا في سياقاتٍ معيّنة، في الوقت الذي لا يُعتبر كذلك في سياقاتٍ أخرى!

فلدى التعامُل مع جريمة انتحال شخصيّة سياسيّة أو دينيّة، فإنّ انتحال تلك الشخصيّات في عملٍ سينمائيّ، لا يجعل من المُنتحِل طَرَفًا في جريمةٍ بدافع الحقّ في التعبير. ومثله التنكُّر، فالتنكُّر في زيّ شرطيّ وحمْل شارة وسلاح في برنامج للكاميرا الخفيّة، هو عمل كوميديّ بدافع الترفيه، وما يُقال عن جريمة التلفّظ بعبارات تخدش الحياء العامّ، سينهار أمام مئات النكات البذيئة التي ينتجها المجتمع كلّ يوم بدافع التسلية، ونشْر الأكاذيب، إذ لا يُعاقَب عليه حين يأتي على شكلِ فانتازيا تحمل إسقاطات على الواقع السياسيّ بدافع النقد. وتجريم الخداع سينتفي في علاج المرضى النفسانيّين بالوهْم والإيحاء بدافع مُمارَسة المهنة. ولا محلّ لجريمة تهديد وتضليل بحقّ الأمّ التي تخوِّف طفلها بجنّية أسنان تختبئ بين أضراسه لتنشر فيها السوس، إن هو لم ينظّف أسنانه يوميًّا بدافع التوجيه باستعمال الخيال.

من المهمّ هنا التأكيد على أنّ الكذب في حدّ ذاته، ليس ما تتمّ مُقاضاته، بل الفعل المرتبط به، والذي يحمل نيّة التسبُّب بضررٍ جسيم، ويحدث الضَّرر بالفعل. من هنا فقد جُرِّمت أكاذيب في العديد من السياقات بسبب خطورتها على المجتمع، لكنّها في سياقاتٍ أخرى، كانت مباحة لفائدتها للمجتمع، حتّى أنّها تُستخدم في بعض المِهن، مثل: صناعة الدراما والكوميديا والتجميل وصناعة كرتون الأطفال والأعمال الروائيّة وعلاج مشكلات الصحّة النفسانيّة والتوجيه الأسريّ. ومن هنا فإنّ المهمّة صعبة في تحديد الخطّ الدقيق بين الأكاذيب المقبولة وغير المقبولة.

كي لا تكون الدولة بوليسية

ونحن نتجوَّل الآن في تضاريس ضبابيّة يُسبِّبها الكذب، لم يبقَ أمامنا سوى النَّظر إلى الأضرار التي تسبِّبها كذبةٌ ما في حياتنا، والتي تتمثّل في شقَّيْن: الأوّل، إيذاء جسيم للضحيّة على الفور، والثاني، إحداث الضَّرَر في المجتمع على المدى الطويل من خلال تآكل الثقة والتعاوُن بين الناس.

وقد جادَلَ «جون ستيوارت ميل» بأنّ شرط الضَّرَر، هو المبدأ الحاسم الوحيد الذي يُبرِّر انتهاك الحريّة، وحيث لا يُمكن تجريم الكذب الذي لا يفي بشرطه ذاك. إنّ مبدأ الضَّرر، هو مبدأ تشريعي صالح، ويعمل كنقطة انطلاق مفيدة، إلّا أنّه ليس كافيًا، حيث يجب أن يكون حجم الضَّرَر كبيرًا، وأن يتجاوز حدّ الإزعاج والاشمئزاز والضيق الذي تأتي به صروف الحياة، ويتمّ التعبير عنه قانونًا بمفهوم «الضَّرَر الجوهريّ».

بينما يحتجّ Bryan H. Druzin بأنّ أحد أغراض القانون الجنائيّ هو كفالة الرفاه العامّ للمجتمع، وعمله على هذا النحو في كلّ الظروف. وهذا أحد أسباب تجريم القيادة عند حدّ سرعة معيّنة، ومنْع التدخين قبل البلوغ، مع مُمارسته في أماكن محدَّدة. فالمشرِّع لم يمنع القيادة على الرّغم من مخاطرها، لكنّه حدَّد السرعة القصوى تجنُّبًا للحوادث. كما لم يُحظَّر التبغ على الرّغم من مخاطره، لكنّه سمح به بعد البلوغ فقط، وفي أماكن بعَيْنها، لأنّ المدخّنين يعيشون في مجتمع تعدّدي يُقدّم الصحّة على أيّ أمرٍ آخر. وبهذا، اتّخذ المشرِّع قرارًا واعيًا بالسماح للأفراد بمتابعة أنشطة تُعَدُّ ضارّة، لأنّ الحظر التامّ لها قد يؤدّي إلى خرْقِ الرفاه أكثر بكثير من السماح بتلك النشاطات. وبالمِثل، فإنّ تجريم الكذب إجمالًا، وإن كان يفي بواجبٍ أخلاقي، إلّا أنّه يُعَدّ تدخّلاً قمعيًّا مُفرطًا في المجال الخاصّ، حين تُحَاكَم ملايين المحادثات الشخصيّة والتفاعُلات الاجتماعيّة التي لا حصر لها، وستتحوّل الدولة إلى دولةٍ بوليسيّة. لكنّ من الحِكمة أيضًا فسْح المجال للقانون المدني للنظر في أكاذيب ما، وملابساتها، ليقرِّر تعويضًا للطرف المتضرِّر أو تقديم اعتذارٍ له. (Bryan H. Druzin,The Criminalization of Lying: Under What Circumstances)

عدا ذلك، فثمّة حاجة ماسّة للكذب الذي يبعث كلّ ذلك الإلهام في الاختراعات، كتصميم روبوتات تحمل هويّة إنسان لأداء مهامٍّ صناعيّة خطرة أو لإرسالها إلى الفضاء، وفي الأعمال الترفيهيّة القائمة على الابتكار والأساطير وقصص الخيال العلميّ والفانتازيا السياسيّة، وفي صناعة النكتة ومقالب الكاميرا الخفيّة. والحاجة للكذب أكثر إلحاحًا لملء خيال الأطفال بحكايات الجدّات المُختلقة لزرْعِ القيَم فيهم، وبرامج الكرتون التي تتحدّث فيها الحيوانات إليهم، لترشدهم لاحترام البيئة، وأنّ الحفاظ على الحياة، هي مسؤوليّتهم المستقبليّة.

مقال يلزم كاتبته

تراتيل النبي داوود وموسيقى أبولو

الناصر التومي - كاتب

يمنح الله مواهب لأنبيائه تساعدهم على نشر دعوته. ومن المواهب التي منحها الله لداوود إضافة لتليين الحديد الصوت الحسن ليرتل مزاميره بما فيها من وعظ وإرشاد وحمد وشكر لله الواحد، لكن علماء بني إسرائيل أضافوا له العزف على الآلات الموسيقية وسجلوها في العهد القديم.

العهد القديم:

وذهب روح الرب من عند شاؤول وبغته روح ردي من قبل الرب فقال عبيد شاول هو ذا روح ردي من قبل الله يبغتك، فليأمر عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ويكون إذا كان عليك الروح الردي من قبل الله أنه يضرب بيده فتطيب، فقال شاول لعبيده انظروا لي رجلا يحسن الضرب واتوا به إلي، فأجاب واحد من الغلمان وقال هو ذا قد رأيت ابنا ليسى البيتلحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه، فأرسل شاول رسلا إلى يسى يقول أرسل إلي داود ابنك الذي مع الغنم فأخذ يسى حمارا حاملا خبزا وزق خمر وجدي معزى وأرسلها بيد داود ابنه إلى شاول، فجاء داود إلى شاول ووقف أمامه فأحبه جدا وكان له حامل سلاح فأرسل شاول إلى يسى يقول ليقف داود أمامي لأنه وجد نعمة في عيني، وكان عندما جاء الروح من قبل الله على شاول أن داود أخذ العود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردي.(سفر صموائيل الأول / الإصحاح السادس عشر).

هذا وقد وردت ضمن مزامير داوود نوعية الآلات التي يعزف عليها داود:

- المزمور الرابع / لإمام المغنين على ذوات الأوتار
- المزمور الخامس/ لإمام المغنين على ذوات النفخ
- المزمور السادس/ لإمام المغنين على ذوات الأوتار على القرار
- المزمور الثامن/ لإمام المغنين على الجتية
- المزمور الثاني والعشرون/ لإمام المغنين على ايلة الصبح
- المزمور الخامس والأربعون/ لإمام المغنين على السوسن
- المزمور الثالث والخمسون/ لإمام المغنين على العود

جاء في المزمور الثامن والتسعين:

رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب، خلصته يمينه وذراع قدسه، أعلن الرب خلاصه، لعيون الأمم كشف بره ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا.

اهتفي للرب يا كل الأرض اهتفوا ورنموا وغنوا، رنموا للرب بعود، بعود وصوت نشيد، بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدام الملك الرب، ليعج البحر وملؤه المسكونة والساكنون فيها، الأنهار لتصفق بالأيادي الجبال لترنم معا أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة.

جاء أيضا في المزمور المائة والخمسين:

هللوا سبحوا لله في قدسه، سبحوه في فلك قوته، سبحوه على قواته، سبحوه حسب كثرة عظمته، سبحوه بصوت الصور سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت سبحوه بصنوج الهتاف، كل نسمة فلتسبح الرب هللويا.

قال ابن كثير(1): وهب الله تعالى للنبي داوود صوتا لم يعطه لأحد من خلقه، بحيث إذا ترنم بقراءة مزاميره يقف الطير في الهواء يرجّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا.

قال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطي داوود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا، وحتى إن الأنهار لتقف، وقال وهب بن منبه: كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا.

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج، سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال: وما بأس بذلك، سمعت عبيد بن عمر: كان داوود عليه السلام يأخذ المعزفة « اسم آلة عزف»(وهذا من الإسرائيليات وما بعث الله رسله للغناء والعزف على الآلات) فيضرب بها فيقرأ عليها، فترد عليه صوته، يريد بذلك أن يبكي ويبكي، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال « لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داوود» وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لقد أعطي أبو موسى مزامير داوود».

جاء في كتاب بدء الخلق وقصص الأنبياء للكسائي(2) أن ابن عباس قال إن بني إسرائيل كانوا قد تفرقوا قبل مبعث داوود عليه السلام، وأقبلوا على ملاهي الشياطين وهي العيدان والطنابير والمزامير والصنوج وما أشبهها، فبعث الله تعالى داوود وأعطاه من حسن الصوت ونغمة الألحان حتى كان يتلو التوراة بترجيع وخفض ورفع فأذهل عقول بني إسرائيل وشغلهم عن تلك الملاهي، وكان في صوته مثل صوت الرعد وصفير الطيور وحنين الوحوش، فترك بنو إسرائيل سائر الملاهي وصاروا يجتمعون إلى داوود يستمعون ألحانه، وكان داوود إذا سبح تسبح معه الجبال والطير والوحوش كما قال الله تعالى» والطير محشورة كل له أواب».

أتى الله سيدنا داوود العلم والحكمة، و أكرمه بعدة معجزات، فأنزل عليه الزبور – وآتينا داوود زبورا – وأتاه جمال الصوت، فكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا، و تسبح الجبال والطيور معه والناس ينظرون.

ولما اشتكى داوود إلى ربه بأن يخصه بكرامة لا يشاركه فيها أحد من العالمين، كانت إجابة الله بأنه أكرمه بالصوت الحسن الذي لم يعطه أحدا قبله إلا لأبيه آدم، كما أسلفنا عند تطرقنا لفصل داوود وهيفسيت إله الحدادة لدى الإغريق.

أبولو العازف الساحر في الأساطير الإغريقية(3)

قضت الآلهة على «أبولو» بأن يتطهر من دم التنين « بيفون» الذي قتله انتقاما منه لمطاردته لأمه لاطونة وهي حامل به، وذلك بأن يرعى قطعان الملك «أدميت» فكان يخرج بالمواشي إلى المراعي، وهناك يعزف على شبابته القصبية أو قيثارته الذهبية فتخرج الوحوش من بين الأدغال وتقبل إليه مفتونة بموسيقاه وتخالط الفهود والأسود القطعان وتجري نحو الغزلان والوعول مسحورة بألحانه حتى ساد الوئام والسعادة كل مكان، وعمت البركات بيت «أدميت»، فكانت محاصيله فريدة بين المحاصيل، وقطعانه خير القطعان، وكان هذا هبة من الإله الذهبي الشعر.

دأب «أبولو» خلال فصلي الربيع والصيف القيام بحفلات راقصة مع تسع ربات الفن، هن بنات «زيوس»، و»منيموسينا» الفاتنات مرافقات «أبولو» الخالدات، فهو يمسك برأس حلقات رقص الربات، ويرافق غناءهن بأنغام قيثارته الذهبية، ثم يسير في مقدمة الحلقة الراقصة متوجا بإكليل الغار، تتبعه الربات التسع « كاليويا» ربة الشعرالقصصي، «أيتيربا» ربة الشعر العاطفي « أيراتو» ربة النسيب، « ميلبومينا « ربة الدراما « تاليا» ربة الكوميديا «تيريبسيخورا» ربة الرقص « كليو « ربة التاريخ « أورانيا» ربة الفلك، و» بوليهيمنا» ربة الأناشيد المقدسة.

وعندما يظهر «أبولو» بين أسراب الآلهة برفقة ربات الفن، وتتعالى ألحان قيثارته مصحوبة بغناء الربات، إذ ذاك ينسى « آريس» إله الحروب ضجيج المعارك الدامية، وتخبو الصواعق في يدي «زيوس»، ويطوي الآلهة نزاعاتهم، ويسود السلام والهدوء فوق الأوليمب، ويسدل نسر «زيوس» جناحيه وينكس رأسه ويغلق عينيه الحادتين ويتلاشى صوته الرهيب، ويغفو فوق صولجان سيده، وتتحرك حلقة الراقصين اللألاءة نحو قاعة الآلهة، وتشترك فيها جميع ربات الفن، وتنضم إليهن « أفروديتا» الخالدة الصبا و»أريس» و»هرمز»، وتتقدم الجميع «أرتيميديا» العذراء أخت «أبولو»، فعلى أنغام قيثارته يرقص الآلهة الشبان سابحين في أمواج النور الإلهي.(انظر في فصلين سابقين،– النبي موسى والإله أبولو يتشابهان– والشبه بين النبي داوود و الإله هيفست في السيطرة على الحديد –).

التشابه

خص الله تعالى نبيه داوود بصوت حسن ما جعل الجبال والوحوش والطيور والبشر تأوي إليه لتسمع منه في سحر عجيب، وانجذاب غير عادي دون أن يحصل بينها من اعتداء كما هو الشأن المعتاد، وذلك منة من الله لعبده ودعما لنبوته وخارقة من الخوارق التي تيسّر له تجميع الناس حوله وتصديقه، وقبول نبوّته وسلطانه ليسهل عليه قيادتهم لقبول شريعة الله.

وخلقت كهنة معابد الإغريق شخصية «أبولو» الذي تتجمع فيه عديد الخصال الحسنة، منها العزف السحري، ما يجعل الآلهة، تترك مهامها وخصوماتها، والوحوش تنسلخ من غرائزها الطبيعية إلى حين، فتصبح كالحملان الوديعة، تختلط بالغزلان والوعول وكل الحيوانات الوديعة.

وبذلك فإن هذا التشابه لم يكن صدفة، وخاصة أن المشبه به داوود هو نبي الله وليس شخصية عادية، وصدى أخباره منتشرة على كامل رقعة مهبط الأنبياء ،وما جاورها من الأصقاع، والمتصلة بها من أقوام ما وراء البحار بواسطة التجارة، كما أن المشبه ليس شخصية عادية لدى الإغريق فهو ابن رب الأرباب المدلل، وبذلك تفتقت قريحة المحاكاة لدى كهنة معابد الإغريق على الأخذ من شخصيتي موسى في الرعي كما جاء في تشابه موسى مع أبولو وشخصية داوود في حسن الصوت والعزف، وإضفائها على شخصية أبولو.

---

1 – قصص الأنبياء لابن كثير.قصة داوود عليه السلام ص425.

2 – بدء الخلق وقصص الأنبياء للكسائي، حديث داوود عليه السلام صفحة 326.

3 – ساطير اليونان، فصل «أبولو» في خدمة «أدميت» صفحة 80.

دراما

«صوت وصورة»: دراما عربية تُسلّط الضوء على الذكاء الاصطناعي

صالح سويسي

يقول محامي رضوى في مسلسل «صوت وصورة» في أحد المشاهد حين نزلا ضيفين على برنامج تلفزيوني ما يلي: «الذكاء الاصطناعي أصبح واقعا نرى نتائجه كل يوم وهو يغيّر كل شيء حولنا بطريقة لا نتخيلها» فتجيبه المذيعة: «لكن دفاع المجني عليه يقول إنك تفتح بابا للشر وهكذا يمكن لأي كان أن يطعن في صحة دليل ويقول إنه ليس حقيقيا» فيعلق المحامي: «فنحكم على الأبرياء بأدلة مشكوك في صحتها؟»

هنا، يمكن أن نتبيّن مكمن الداء، من الصادق ومن الكاذب؟ من الحقيقي ومن المزيّف؟ وكيف لأداة أو تطبيقة إلكترونية أن تحكم في مصير البشر وتجعلهم مجرد دمى في مسرح العرائس لا حول لها ولا قوة، تتدلّى من خيوط تحرّكها كما تشاء ووقتما تشاء وكيما تشاء.

من كان يتصور أن يأتي على البشرية يوم، يمكن فيه استنساخ صورة وصوت شخص ما واستغلالهما في مقاطع فيديو مفبركة قد تغيّر مجرى قضية منشورة على أنظار القضاء مثلا؟

لنبدأ من حيث يجب أن نبدأ

تعيش رضوى (حنان مطاوع)، حياة بسيطة راضية بما هي عليه، تسعى لتوفير دخل إضافي لمساعدة زوجها المريض لسداد ديونه، تلتحق بالعمل عند طبيب معروف، يحاول التحرش بها فتُقرر الإبلاغ عنه، لكنه يستغل نفوذه وأمواله لينفي عنه كلّ التُّهم، ويتّهمها بالكذب والتشهير به.

ترفض رضوى الرضوخ لضغوط الطبيب وإغراءات زوجته بالمال، وترى أن واجبها تجاه ابنتها ومستقبلها يحتّم عليها أن تفضحه كي تضع حدّا لتصرفاته غير عابئة بالرياح العاتية التي تنتظرها في طريق المواجهة غير المتكافئة.

بعد العثور على الطبيب مقتولا في عيادته، تجد رضوى نفسها متهمة بقتل الرجل الذي دمّر حياتها وتحرش بها وأفلت من العقاب، وما يزيد من تورطها وجود مقطع فيديو يؤكد دخولها العيادةَ وفي يدها سكين.

وفي الأثناء تتزايد الأدلة ضدها وكلها أدلة دامغة وواضحة وتدينها بشكل مباشر، وأغلبها أدلة مصورة، ما يجعل رضوى في وضع قانوني واجتماعي صعب جدا، ومن مظلومة (ضحية تحرش) إلى ظالمة (قاتلة)، وتصبح في وقت قياسي حديث «السوشيل ميديا».

ورغم اتساع دائرة المشتبه بهم مع تتالي الحلقات، إلاّ أن أصابع الاتهام ظلّت تشير إلى رضوى أكثر من غيرها.

تجد رضوى نفسها أسيرة دائرة مغلقة تنطلق منها لتعود إليها، فكل شيء حولها يقول إنها قاتلة، وتتراكم الأحداث وتدخل لعبة فبركة الأدلة باستغلال الذكاء الاصطناعي.

وفي التمشّي الدرامي التصاعدي الذي أجاد كاتب السيناريو سليمان عبد المالك صياغته، تجد الضحية نفسها أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن تستسلم وترضى بما حدث رغم إصرارها على البراءة، أو أن تنخرط في ذات اللعبة في محاولة لإثبات براءتها في مجتمع أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بوصلته.

فيدخل الشاب الموهوب في فبركة الفيديوات على الخط ويتعاون مع محامي المتهمة لإقناع المحكمة أن أي شخص يمكنه أن يصنع مقاطع مثل الذي يثبت إدانة رضوى حتى أنه صنع فيديو يُظهر القاضي وهو يدخل العيادة ما أدخل ارتباكا على سير القضية وأدى إلى الحكم بخروج المتهمة من السجن ولو بشكل مؤقت.

دراما عربية تُسلّط الضوء على الذكاء الاصطناعي

ممّا يُحسب لمسلسل «صوت وصورة» أنه أول عمل درامي عربي يُسلّط الضوء على الذكاء الاصطناعي بتلك الطريقة المباشرة، بما هو سلاح ذو حدّين، حيث يمكن استغلاله في قلب الحقائق كما يمكن أن يكون سببا في تخليص متّهم من حبل المشنقة، وذلك باعتماد مقاطع ملفّقة يصعب تمييزها عن الفيديوات الحقيقية، سيّما أن هذا الفتح التكنولوجي مازال في بداياته ويسعى الخبراء لوضع أسس وأطُرٍ أخلاقية وقانونية تُؤطّر استغلاله وتنأى به عن الاستخدامات السيئة والتي يمكن أن تكون سببا في قلب الحقائق أو تضليل العدالة.

ولعلّ ما يجعل من مسلسل «صوت وصورة» عملا مُهمًّا، جاء في الوقت المناسب أنه يقدم وجه آخر للمجتمعات العربية التي باتت تنام وتصحو على وقع ما يُنشر في المنصّات الالكترونية، وهي أخبار وصور ومقاطع فيديو لا تلتزم بالحدّ الأدنى من أخلاق التعامل الإنساني بل تضرب عميقا في جسد المجتمع وتهدم بفأس لا تهدأ ولا تتعب كل القيم المجتمعية والإنسانية، وأصبحت تلك المنصات شريكا في تنشئة الأجيال الجديدة خاصة أمام استقالة الكثير من الآباء والأمهات عن متابعة أبنائهم وإلهائهم بتصفّح وسائل التواصل الاجتماعي دون رقابة منهم.

الوجه القبيح للتكنولوجيا

وبالعودة إلى قصة المسلسل، تجد رضوى نفسها في مواجهة تجربة حياتية لم تتجهّز لها ولم تفكر أبدا أنها ستخوضها، تصبح في عشية وضحاها «ترند» مرة كمتهمة ومرة كضحية وفي كل الحياة يظهر من يحاول استغلال هذه الشهرة المفاجئة لنيل نصيبه من الكعكة، فتلك المنصات توفر الشهرة والمال أيضا، وعلى رضوى أن تضمن الحد الأدنى من المال الذي يمكن أن يوفر لها ولابنتها حياة كريمة وسط مجتمع جاحد لا يعترف إلا بمن يملك السلطة أو المال أما الأخلاق و«الستر» فتلك عُملة لا يمكن صرفها في أية بِقالة.

كشف «صوت وصورة» الوجه القبيح بل الأكثر قُبحا ومرارة للذكاء الاصطناعي و«الميديا الجديدة» حيث يمكن فبركة الصور ومقاطع الفيديو والأصوات وصناعة عالم افتراضي موازٍ بإمكانه تدمير العالم الواقعي الذي نعيشه بضغطة زر، إما من باب التجريب أو من باب تصفية الحسابات بدفع أموال طائلة لصناعة صفحات ومجموعات والمساهمة في انتشارها وتوسيع دائرة المتابعين وهم الجمهور المستهدف الذي سيتلقّف لاحقا كل ما سيُنشر ويساهم في ترويجه إما عن وعي أو دون وعي.

هي لعبة كبيرة وخطيرة تلتقي فيها الرغبة في صناعة جمهور مدجّن يستهلك كل ما يُقدم له من غير تفكير، مع توفير المال لضمان النجاح فضلا عن تسطير الأهداف التي ستصنع النتيجة التي يريدها أشخاص أو جهات معينة ولا مجال للخطأ فكل شيء مدروس ومُمنهج.

لم يقدّم العمل حلولا بل وضع المشاهد أمام خيارات متعددة، وربما لم يشأ صُنّاعه أن يدخلوا في صراع لم تتضح معالمه بعد، ففي كل لحظة يفاجئنا المبتكرون بتطبيقات جديدة تجبُّ ما قبلها وتفتكّ المكان حتى تأتي أخرى أكثر فتكًا، وهكذا يتواصل الصراع بعيدا عن الأخلاق والإنسانية.

غزة من المسافة صفر في «كان» :

رشيد مشهراوي يدافع عن غزة في مهرجان «كان» السينمائي

سعاد زريبي

قد تصدرت صور الشهداء والمفقودين وحطام البيوت في قطاع غزة منذ طوفان 7 أكتوبر كل وسائل الإعلام العربية والعالمية، المسموعة، المكتوبة والمرئية هب أحرار العالم من كل حدب وصوب لنصرة فلسطين مناشدين كل أصحاب القرار العالمي من أجل إنهاء الحرب وتجريم العدوان على أهل غزة الذين حولت الحرب حياتهم اليومية إلى كابوس يصعب إنهاء القول فيه وعنه بشكل يفي بحجم الكارثة التي عاشها أهل غزة.

قد تنقل وسائل الإعلام العالمية الصور المباشرة للحرب ولمأساة أهل غزة لكن هاهنا لشباب غزة موقف مغاير مما يحدث فوق أرضهم. لم يشئ شباب غزة أن تمر الحرب دون أن يخلدوا ذاكرة ما عاشوه ودون أن ينقلوا للأجيال القادمة حقيقة ما حدث للأرض : تنكيل وتقتيل وطمس ومسخ للمكان وتحويل لصوره الأصيلة وإنهاك للروح الفلسطينية المقاومة والمتشبثة بالحياة وبالأرض . عندما تحاول الحرب أن تطمس جمالية الحياة وهوية الأرض يصبح الفن واجبا تاريخيا وإنسانيا وسياسيا على كل فنان أن يتحمل مسؤوليته إزاء ما حدث وأن يكون شاهدا على ما حدث من أجل الدفاع عن الحياة وعن الحقيقة.

ذاك هو الرهان والمبدأ الذي بنى عليه إبن غزة المخرج السينمائي الفلسطيني الكبير رشيد مشهراوي المشروع الفني والإنساني والتاريخي «غزة من المسافة صفر».

عرف مشهراوي ككل فلسطيني بحبه لفلسطين وكانت صور أفلامه تخبر جمهوره عن مدى تعلقه بأرضه فلسطين. لرشيد مشهراوي تاريخ حافل بالإنتاجات السينمائية والجوائز العالمية وهو صاحب الحضور المتميز في المهرجانات الدولية ومن أبرز أفلامه: حتى إشعار آخر، أيام طويلة في غزة، رباب، وراء الجدران، موسم الحب، عرفات أخي، تذكرة سفر إلى القدس، عيد ميلاد ليلى ،من فلسطين بث مباشر وأرض الحكاية. ككل أفلام السينما الفلسطينية فلسطين هي القلب النابض لمسيرة هذا المخرج السينمائي لكن منذ بداية طوفان الأقصى على غزة إختار مشهراوي مشروعا مغايرا عن أعماله الفنية التي كان قد أنجزها من داخل فلسطين ليفتح المجال هذه المرة للمخرجين السينمائيين الشبان من قطاع غزة كي ينقلوا إلى العالم ما عاشه أهل غزة على إمتداد ما يزيد عن ستة أشهر من الحرب على القطاع من تجويع وتقتيل وتهجير وهلع ورعب ومن حب للحياة وتشبث بالأرض وبالأمل أيضا كشكل من المقاومة لكل الأساليب المرعبة التي يستعملها العدو على أهل غزة العزل.

لم يشئ مشهراوي أن ينجز فيلمه الخاص عن حرب 7 أكتوبر ،وهو القادر على ذلك، بل إختار أن يعطي الكلمة لشباب غزة من المخرجين كي يسردوا للعالم قصصهم من خلال صورهم ومن خلال أفلامهم ومن خلال تصوير قصصهم الخاصة والجماعية مع الحرب . إشتغل مشهرواي مع فريق من المتطوعين والمستشارين الفنيين كعبد السلام الحاج ورسمي دامو وميشيل كمون وحسام هندي وإدارة وتنسيق وإستشارات فنية وترجمات درة بوشوشة وليالي بدر ولورا نيكلوف ونادية عليوات من أجل إنجاح هذا المشروع الطموح من أجل نصرة أهل

غزة والقضية الفلسطينية.

لكن ماذا ستقول الصورة بعد كل التوثيق الصحفي؟ هاهنا لا يتعلق الأمر في مشروع مشهراوي بالتوثيق للأحداث فحسب بل يرتبط بحفظ الذاكرة فنيا وسينمائيا. لا يتعلق الأمر بالمعلومات حول الحرب بل بالإبداع الفني كشكل من أشكال مقاومة الحاضر ومقاومة ما يحدث وأسلوب فني وجمالي للتعامل مع الأحداث. يعتبر هذا المخرج الفلسطيني أن السينما قيمة فنية وثقافية وحضارية وإنسانية وعليها أن تلعب دورها من أجل نصرة القضية الفلسطينية يقول مشهراوي «كانت الحرب هذه المرة بالنسبة لي مختلفة بشكلها وحجمها وعدد الضحايا وحجم الكارثة والكابوس .قررت بعد بدء الحرب أن ألعب دور الجسر بين السينمائيين الموجودين في الداخل وبين العالم «. يكمن دور هذا المشروع السينمائي في سرد الحكايات التي لم تحكى فالإعلام لا يستطيع أن يلامس كل المسائل والوضعيات الدقيقة للعائلات ويصور الحالات الإنسانية. إن «غزة من المسافة صفر» هو مشروع إنساني وإلتزام إتيقي وفني من أجل نصرة القضية الفلسطينية كقضية عادلة وتمثيلها في كل مهرجانات السينما في العالم. على إمتداد تاريخه القصير كانت السينما ولازلت فنا سياسيا بإمتياز تلامس واقع الشعوب وتسير في ثنايا ومختلف مفاصل الحياة الواقعية للشعوب والأفراد خاصة في فترة الحروب والأزمات. هاهنا تصبح السينما وأفلام غزة من المسافة صفر شكلا من التحدي ومن المقاومة بالفن وبالسينما وبالصورة وهي تدخل في برنامج عالمي كبير يعي بشكل جيد سياسات الصورة ودور الصورة في تغيير وترشيد الرأي العام العالمي . رغم صعوبات التصوير وغياب التقنيات وآليات وشروط العمل السينمائي ومشاكل الصوت والإضاءة ونقص الإمكانيات ومحدوديتها إلا أن

مشهرواي نجح في تأطير المخرجين الشبان وفي أن يعطي لشباب غزة من المخرجين السينمائيين الفرصة من أجل أن ينقلوا حكاياتهم إلى جمهور السينما العالمي بوصفهم حسب عبارة مشهراوي «هم الراوي وهم الحكاية». يمحي التصوير من المسافة الفواصل بين المخرج والحدث تحت القصف. كل على طريقته وبحسب أثر حجم الكارثة التي أحسه صور كل مخرج قصته الخاصة لا كما يمكن أن نشاهدها في نشرات الأخبار بل كما أحسها هو، إنهم هم الرواة وهم القصة ،هم المخرجين وأبطال الفيلم ،هم ضحايا الحرب والمقاومين بالفن وبالصورة :صور أحمد حسونة في فيلمه عذرا للسينما قصة الجائع الذي يوثق قصة جوعه « صور أوس بنّا في فيلمه جاد وناتالي لوعة عاشق فقد حبيبته في الحرب ولم يرى الى اليوم جثتها التي بقيت تحت الأنقاض أما الفنانة التشكيلية نداء أبو حسنة فصورت في فيلمها «خارج الكادر» أثر الحرب على مرسمها إستياءا على ما

لحق به أما هناء عويضة إختارت أن تقاوم بالفن وتعبر عن عمق حبها لغزة وللحياة فإختارت عنوانا «لا» لفيلمها كرفض للإستسلام لمشاعر الحزن والألم في المقابل إقترحت تنشيط خلايا الحياة بالغناء من أجل المقاومة والتفاؤل و من أجل أن تقول أن الحرب ليست نهاية للشعب الفلسطيني وتحت هذين الإيقاعين الحزين والمتفائل سارت أفلام مشروع غزة من المسافة صفر كفيلم «سلفي» لريما محمود، «جنة جهنم» كريم ساتوم ،» 24 ساعة « لعلاء دامو، «كل شيء على ما يرام» لنضال دامو، «بدون إشارة» محمد الشريف «جلد ناعم» خميس مشهراوي ،»إعادة تدوير» لرباح خميس و»قرابين» لمصطفى نبيه ...

أراد مشهراوي أن يمضي بأفلام شباب غزة بعيدا ..هناك الى مهرجان كان في دورته 77 وتحت دعم الكيان الصهيوني الواضح والعلني لتظاهرات المهرجان رأى مشهراوي في هذا الموقف دافعا قويا من أجل الدفاع عن قضيته فلسطين. نصب رشيد مشهراوي خيمة في مدينة كان بدعم من أصدقاءه من المناصرين للقضية الفلسطينية من مخرجين وسينمائيين ونقاد سينما من أجل عرض أفلام غزة من المسافة صفر. أفشلت خيمة مشهراوي ومشروع غزة من المسافة صفر مخطط مهرجان كان السينمائي بأن لا يتعامل مع ما يحدث في غزة لتفتح في فضاء صغير «خيمة» في مدينة كان أفلام غزة من المسافة صفر عيون جمهور سينما مهرجان كان على حقيقة ما يحدث في غزة فهي أفلام تنقل الى العالم ما عجزت على نقله الشاشات والصحف الإجبارية : صور معاناة أهل غزة من مسافة صفر مشاكل شعب تحت القصف، وصور حياتهم اليومية من نقص في الغذاء واحتملات الموت المتجددة مع كل قصف وفقدان البيوت وفقدان ملامح الحياة الكريمة التي يطلبها أي كائن بشري فوق الأرض من أكل وملبس وحرية وسلم وأمان. لم تأخذ الحرب من أهل غزة حبهم لأرضهم و إنتماءهم لها ليجعلوا صوتهم من خلال الصورة السينمائية مسموعا يقول مشهرواي في إحدى حوارته حول مشروعه السينمائي غزة من المسافة صفر «تساهم المهرجانات والنشاطات السينمائية بالتوعية في إلقاء الضوء وإعطاء الفرصة لمن يريدون التعبير عن أنفسهم من خلال ندوة أو مقال أو فيلم لأنه بالتوازي هناك روايات صهيونية وروايات مزيفة بحاجة للتصحيح، الحرب لم تحدث في 7 أكتوبر الحرب نعيشها منذ 77 عاما، والثقافة والفن والاعلام تحمل الحكاية والتاريخ والذاكرة والسينما من الأدوات المرئية والمسموعة التي تحافظ على الذاكرة». ذاك هو الدور الذي باتت على السينما اليوم في أوطاننا أن تقوم به وتلعبه :تحرير الحقيقة من كل أشكال المغالطات والدفاع عن من سلبتهم السياسات المتغطرسة العالمية حقهم في القول.

مهرجان السينما الأفريقية الدولي بالخريبكة عرس السينما الأفريقية

علاء الدين سعيدي - صحفي تونسي من باريس

عاشت مدينة الخريبكة المنجمية على مدى ثمانية أيام بلياليها من 11 إلى 18 ماي 2024 فعاليات الدورة 24 لمهرجانها الدولي للسينما الأفريقية الذي يعتبر منارة من منارات السينما الأفريقية وهو طبعا من أعرق المهرجانات التي تحتفي بالسينما الأفريقية على خطى مهرجان قرطاج السينمائي طبعا. تتزامن هذه الدورة مع الذكرى 47 لتأسيسه لتعيش هذه المدينة التي استقبلت أكثر من 350 ضيف من داخل المغرب ومن خارجه ممن يهتم ويشتغل على تحقيق سينما أفريقية حالمة و متجددة بجمالية عالية تسائل عصرها وقضاياه لتكون هذه المناسبة لقاء الأحبة والاشقاء للاحتفاء بجديد السينما الأفريقية في أبهى تجلّياتها. فقرات غنيّة ومسابقات رسمية للأفلام القصيرة والطويلة وورشات و تتويجات وتكريمات وندوات ولقاءات منفتحة على المؤسسة السجنية وعلى سينما الطفل أثثت فعاليات هذه الدور في حضور كل المهتمين بالشأن السينمائي من ضيوف ومن شركاء أياسين للمهرجان مثل المركز السينمائي المغربي والمجمع الشريف للفسفاط بالخريبكة و جهة بني ملال خنيفرة طبعا تحت إشراف مؤسسة المهرجان الدولي للسينما الأفريقية بالخريبكة التي يرئسها السيد الحبيب المالكي برعاية سامية لصاحب الجلالة الملك محمد الخامس.

عرس سينمائي إفريقي بإمتياز اجتمع فيه واحتفل صناع السينما الافريقيين ممن حضر لمشاهدة آخر الانتاجات التي نالت شرف المشاركة في المسابقتين الرسميتين و مناقشة هذه الأفلام مع مخرجيها ومنتجيها ومع من شارك فيها بالأداء والتمثيل والغاية هي بلا شك دعم تبادل الأفكار والخبرات من أجل التطلّع إلى سينما إفريقية راقية من أجل تنمية ثقافية واعية بتحديات ورهانات مستقبل هذه السينما الأفريقية العالمية الطموحة.

تزيّنت المدينة ورقصت على إيقاع الموسيقى المغربية الشعبية والافريقية في مهرجانها الذي ولد من رحم الجامعة الوطنية السينمائية بالمغرب سنة 1977 ليجعل من السينما فرجة ووسيلة تثقيف مكرّسة بأن تكلّم زمنها و تتكلّم عن زمنهاو أن تقاوم هذا الزمن البائس على جميع الأصعدة و ذلك بإنتاج صور تعبّر عنا وتمثلنا في مجمل قضايانا الأفريقية والإنسانية.

مثّلت هذه الدورة فرصة إستثنائية للاحتفاء بالسينما المالية هذه السينما الرائدة إفريقيا و الحاصدة للعديد من الجوائز الأفريقية والعالمية. عرضت افلام مالية لنجوم السينما الماليين الذين تألقوا في محافل السينما الأفريقية والعالمية من أمثال سليمان سيسي

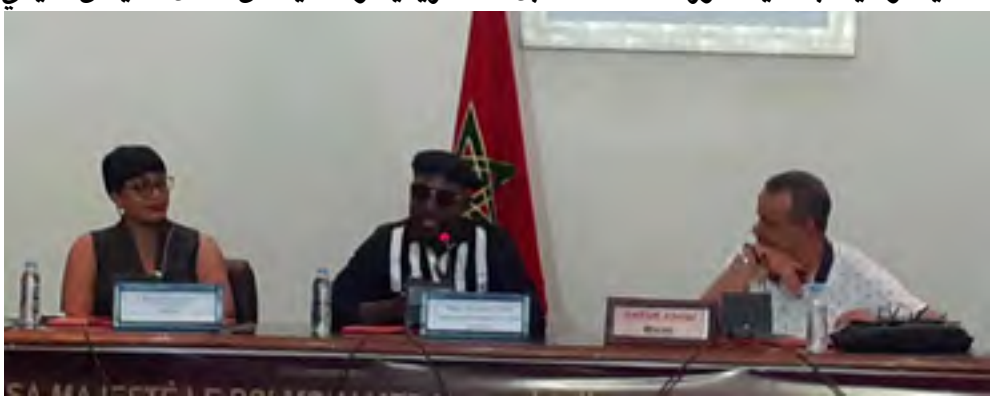

و الشيخ عمر سيسكو و فوسيني مايقا وإبراهيم توري و غيرهم كثر طبعا. ليومين كاملين ونوقشت هذه الأفلام بما يليق بها و بتقاليد السينما المالية العميقة والمتنوعة التي تطوّرت على مدى عدة عقود .سينما المحافظة على التاريخ والثقافة و الهوية الوطنية كما وقع ايضا تكريم الممثلة الايفوارية ناكي سي سافاني تقديرا لمسيرتها الحافلة بإعتبارها أيقونة من ايقونات السينما الأفريقية. إشتغلت بالتلفزيون والسينما والمسرح الايفواري منذ كان عمرها 13 سنة وتوّجت مسيرتها بالعديد من الجوائز المحلية والعالمية ومنها جائزة أحسن دور نسائي سنة 1994 في أول مشاركة لها بمهرجان الخريبكة.

كرّمت هذه الدورة أيضا الممثل المغربي الكبير محمد الخلفي المسرحي الذي بدأ مسيرته الحافلة رفقة المرحومين الطيب الصدّيقي و أحمد الطيب لعلج وغيرهما و الذي يعتبر من مؤسسي المسرح الشعبي المغربي ومن أوائل الملتحقين بالتلفزيون المغربي سنة 1962 وكان له ايضا حضورا مميزا في بدايات السينما المغربية.

مهرجان الأربعة لجان ومنها اولا لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الطويلة التي ذهبت رئاستها إلى المخرجة المصرية والمتجة وكاتبة السيناريو هالة خليل والتي ضمّت أربعة أعضاء آخرين وهم على التوالي :

- الكاتبة والناقدة السينمائية المغربية عفيفة الحسينات
- المخرج والمنتج وموزع الأفلام النيجيري جان روك باتوديم
- المخرج الإيفواري غي ايميل كالو
- والكاتب المسرحي والمخرج الغيني سايدو بوكوم

تنافس على جوائز هذه اللجنة 13 فيلم من تونس و البينين و والمغرب و طوغو و بوركينا

فاسو و مصر و زمبيا و كوت ديفوار و رواندا وكاميرون والسينغال.

وذهبت جوائز هذه اللجنة كما يلي :

الجائزة الكبرى « عصمان سامبين « لفيلم « THE BRIDE» العروس للمخرجة الروندية Myriam Birara

الفيلم تدور أحداثه بعد ثلاث سنوات من حرب الإبادة التي تعرض لها « التوتسي» بخطف الفتاة « إيفا» الشابة التي تحلم بدراسة الطب و تخضع بالرغم عنها ل « غيترورا» وهو شكل من الزواج التقليدي. إحساس التخلّي و الأرغام على قبول الوضع و اكتشاف التاريخ التراحيدي لعائلة الزوج و التمزّق بين المكوث او المغادرة خاصة بعد إرتباط « إيفا» بإبن عم خاطفها.

وكانت جائزة لجنة التحكيم « نورالدين الصايل « للفيلم المغربي « كأس المحبّة Le Verre de L›amitié » للمخرج نوفل برّاوي والذي تدور أحداثه عن لعنات سنوات الرصاص التي لاحقت بعد عشرين سنة أحمد و زوجته سعاد و صديقهم رشيد ورفيق دربهم عبد السلام الذي ظهر بإسم نعيمة وهو يرقص في « السويرتي» الذي حل بالقرية التى نزل بها الرفاق الثلاثة من أجل الاستمتاع بالشاطئ و بأشعة الشمس. وحاز هذا الفيلم ايضا على جائزة أحسن سيناريو « سمير فريد» و ذهبت جائزة أحسن إخراج « إدريساواودراغو» للفيلم التونسي - المغربي « كواليس Blackstage» للمخرجين خليل بنكيران من المغرب و عفاف بن محمود من تونس الفيلم يحك عن مجموعة رقص تقوم بجولة فنية في المغرب. أحداث ليلة تيه وسط غابة بالاطلس تكشف فيها الكثير من الأمور بين عايدة وهاد شريكها في الحياة والفن خاصة. فيلم نال ايضا جائزة اقتباس عمل مسرحي ونجاح تحويله لفيلم سينمائي.

كما حصلت الممثلة الكاميرونية « ستيفاني توم « عن دورها كمحامية شرسة تجد نفسها في مواجهة أحد أكبر عمليات النصب في بلدها تورّط أمها و ابوها البيولوجي الذي لم تعرفه من قبل. الوفاء للقسم القانوني في مواجهة ما يمكن أن يحدث لها ولعائلتها الصغيرة. الفيلم بعنوان « When thé Levees Broke» فيلم الممثلة الواحدة كخيار فنّي.

وحاز الممثل السينغالي « أمادو ديوب « جائزة « محمد بسطاوي» لأول دور رجالي عن دوره في فيلم « Le Mouton de Sada خروف سادا» الذي تدور أحداثه عن الأب ديوب الأربعيني الذي يعيش مع إبنه سادا وزوجته كومبا و خروف تريد الأسرة أن تضحي به بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك. علاقة حب بين سادا طفل التاسعة والخروف تترك بابا ديوب في مواجهة إيجاد حل لهذه المعضلة.

ثانيا لجنة تحكيم مسابقة الأفلام القصيرة والتي ترأستها الجامعية والاكادمية التوتسية سونية الشامخي الأستاذة المحاضرة في المدرسة العليا للسمعي البصري بجامعة قرطاج و التي ضمت عضوين آخرين وهما الناقد والباحث السينمائي المغربي فرقزيد بوشتي و المخرج م. يعقوبة حمني بايداري من النيجر.

ذهبت جوائز هذه اللجنة إلى:

جائزة لجنة التحكيم « نحيب عياد « للفيلم القصير « WolonWula» من مالي للمخرج Foysseyni Maïga الذي تدور أحداثه عن فتاة ذات الثامنة والعشرين والحاملة منذ أن كان عمرها إحدى وعشرين تجد.نفسها مطرودة من عائلتها ومرفوضة داخل قريتها لتلجأ في الاخير إلى عرّاف سبعيني يدّعي تلقيه وحي ينبأ بولادة عسيرة للطفل الحاملة به.

ونال ايضا الفيلم القصير الروندي « A «WINGLESS BIRD THAT FLIES جائزة تشجيع والإشادة وهو للمخرج الشاب Remy Ryumugabe و تدور أحداثه حول الحرمان من الحب في عالم كلّه عراقيل وتسود فيه الخيانة على قيم الصدق وكيف علينا أن نجد الكلمات المناسبة التي تعبّر عن هذه الحالة بدقة من أجل المقاومة و الأمل في التغيير.

وتنافس في هذه المسابقة 14فيلم قصير من تونس ومصر والمغرب و رواندا و نيجيريا والسينغال وبوركينا فاسو ومالي و طوغو و كوت ديفوار و جمهورية الكونغو الديمقراطية والبنين.

وجاء الفيلم القصير التوتسي « La Quarantaine الأربعين « للمخرجة التونسية سناء الجزيري المقيمة في فرنسا من فكرة مقتبسه من قصة قصيرة بنفس العنوان للكاتبة التونسية آمال مختار عن قصة فاطمة التي تقرر ذات صباح التوقف عن القيام بواجباتها العائلية والمهنية وذلك بإخبار زوجها بدون تردد أن عليه أن يتحمل مسؤوليته بالقيام بالاشغال اليومية مكانها. انهيار تنبه بعده إلى نفسها وهي تتعدى عتبة الأربعين.

أما اللجنة الثالثة فهي لجنة تحكيم دونكيشوط والتي ترأستها الكاتبة العامة للنادي السينمائي بالخريبكة و التي ضمت السيناريست المغربي محمد حافظي و المخرج المغربي محمد سعيد زربوح وذهبت جائزتها « دون كيشوط» الخاصة بالجامعة الوطنية للاندية السينمائية بالمغرب إلى الفيلم المغربي « صمت الكمتجات « للمخرج سعد الشرايبي حول حفصة الشابة ذات الثامنة عشر، العمر الذي يكون فيه كل شيء ممكن حيث تفتح لنا الحياة أبوابها.

يعيش الحاج علال جدّها المسيقي المتميّز ومعلّمها أيامه الأخيرة مشلولا لكن برغبة جامحة من أي وقت مضى في إستغلال لحظاته الأخيرة من أجل أن يجعل من حفيدته حفصة وريثته الموسيقية.

و ضمّت اللجنة الرابعة وهي لجنة تحكيم النقد السينمائي التي ترأسها الناقد السينمائي يوسفا حليدو هارونا من النيجر و ضمت الكاتبة والمخرجة والمنتجة والتاقدة السينمائية الكامرونية اليز كلميني و والتاقدة السينمائية المغربية ليلى الشرادي . هذه اللجنة كلن لها دور اساسي في تحكيم بعض الجوائز آتي ذكرت سابقا.

حدث إستثنائي انتصرت فيه الثقافة والإبداع والسينما الأفريقية المتفرّدة على مدار أسبوع كامل. تجربة إنسانية نجحت بلا شك في إظهار تنوّع وغنى السينما الأفريقية فشكرا لكل القائمين على هذا المهرجان العريق الذي نأمل له مزيد التألق والاشعاع والامتاع.

عاشت السينما الأفريقية المتفرّدة على أمل تجديد اللقاء مع الخريبكة مجددا بمزيد من التألق والنجاح

فيلم كوبولا "ميغالوبوليس" يسقط بقوة الطرد الذاتي

د.أمير العمري- مباشرة من كان

أظن أن أقل ما يمكن أن يوصف به شعور كاتب هذه السطور، وأظنه يشمل أيضا شعور غالبية النقاد والصحفيين الذين حضروا عرض فيلم المخرج الكبير فرانسيس فورد كوبولا "ميغالوبوليس" Megalopolis في مهرجان كان، هو الشعور بالإحباط الشديد إن لم يكن الصدمة.

كوبولا الذي يعود إلى السينما بعد 14 عاما من الغياب، بمشروع ظل طيلة حياته العملية يحلم بتحقيقه، ثم يحققه أخيرا من ماله الخاص وبتكلفة بلغت 120 مليون دولار، يريد أن يحذر من سقوط أمريكا، أو الإمبراطورية الأمريكية، التي يرى أنها أصبحت غارقة في اللذات والمتع المادية والجشع والغرور والاستعلاء، تفضل النشوة العابرة وتهتم أماكن اللهو واللذة والنوادي الليلية والقمار، غير مدركة لما يحق بها من خطر الإفلاس والانفلات والسقوط. ونيويورك هنا هي معادل أمريكا، والفيلم يقول بوضوح وفي أولى مشاهده، أن سقوط أمريكا معناه سقوط العالم، تماما كما كان سقوط الإمبراطورية الرومانية.

وكوبولا يختار موضوع السقوط والانهيار، فيجعله محملا بدرجة ثقيلة للغاية، بالكثير من الرموز والرسائل الخطابية التي تصل إلى درجة مخاطبة المشاهدين مباشرة، على نحو تعليمي، يكرر التحذير تلو الآخر، من الانهيار، كما يكرر فكرة أخرى رومانسية تتصف بالسذاجة، هي أننا يمكن أن نمنع السقوط عن طريق الحب، أي أن نتعلم كيف نحب بعضنا البعض، وهي نظرة أخلاقية كاثوليكية ترتبط ربما بتكوين كوبولا الشخصي!

تدور الأحداث في نيويورك لكنه يطلق عليها "نيو روما"، وهناك جهد كبير واضح في تجسيد صورة تتميز بالغرابة المقصودة للمدينة بحيث تجمع بين طابع روما القديمة، ونيويورك الحديثة، ثم يبرز بطله، المهندس المعماري الطموح الحالم ببناء مدينة حديثة عملاقة تهتم بالفنون الرفيعة والثقافة والعمارة الراقية الإنسانية، أكثر من اهتمامها بمراكز التسوق والاستهلاك، هذا المعماري الحاصل على جائزة نوبل، يطلق عليه "سيزار كاتالينا" (يقوم بدوره آدم درايفر). وهو يزعم أنه اكتشف مادة جديدة هي "ميجالون" ستساعده في تشييد المدينة الجديدة التي يحلم بها.

وفي مواجهة سيزار هناك عمدة المدينة "فرانكلين سيسيرو" (يقوم بدوره جيانفرانكو إبوسيتو)، وهو يتشبث برؤية مخالفة تماما لرؤية سيزار للمدينة الجديدة، فهو يريد تأسيسها على نفس الأسس القديمة التي تترك مساحة للفساد والاستغلال واللهو، لكنه في الوقت نفسه، يجعل الأولوية ليست للثقافة والفنون، بل لتدبير وظائف للعاطلين، ومساكن وعلاج ومدارس للناس. ويدخل الاثنان بالتالي في مواجهة حادة. ونعرف أيضا أن سيسيرو كان هو المدعي الذي تولى قبل سنوات، الدعوى القضائية ضد سيزار الذي كان متهما بقتل زوجته، فأهما عامدا، الكثير من الحقائق، وانحاز ضده، ورغم ذلك فشل في إثبات التهمة عليه. وهناك بالتالي، ثأر قديم بين الاثنين. لكن هذه القصة مثل كثير من القصص الفرعية في الفيلم، تظهر وسرعان ما تختفي، أي لا تحظى بمتابعة أو تعميق وإشباع لنظل غير موقنين عما إذا كان سيزار قد تخلص فعلا من زوجته أم لا حتى عندما يؤكد لجوليا أنه لم يقتلها، خصوصا أنه لم يتم العثور قط على جثتها.

أما "جوليا" (ناتالي إيمانويل) فهي ابنة سيسيرو الحالمة التي تنجذب إلى سيزار وتعجب برؤيته المثالية. وسيقع هو في حبها رغم أنه سيظل أيضا على علاقته بصحفية تدعى "واو" (أودري كريستينا)، شقراء لعوب جذابة تصفه في البداية بأنه شخصية ANAL أي شرجية، على العكس منها كشخصية ORAL أي فمية، باستخدام مصطلحات فرويد، فالشخصية الشرجية عند فرويد هي شخصية المثالي المتمسك بالأنا العليا، أما الشخصية الفمية فهي التي تميل للمتع الحسية المباشرة.

هناك أيضا شخصية ابن عم سيزار، "كلاوديو" (شيا لابوف) الجشع الذي يطمع في الاستيلاء على ممتلكات والده الملياردير الرأسمالي "هاملتون كراسوس" (جون فويت) الذي يعتقد أنه يستطيع شراء كل شيء بالمال والسيطرة على البشر (رمز واضح إلى دونالد ترامب)، وكلاوديو مثل ترامب، شعبوي يحرض فئة من الدهماء والغوغاء على الثورة ضد عمدة المدينة بغرض الاستيلاء على السلطة (أي الانقلاب على الديمقراطية) فيتزعمهم ويوهمهم أنه يتفهم مطالبهم ويمضي معهم، كما تغوبه "واو" اللعوب عن طريق الجنس، لتدفعه إلى الاستيلاء على حسابات والده في البنوك.

وهناك شخصيات أخرى كثيرة جدا تعبر سريعا فضاء الفيلم ثم تختفي مثل شخصية "ناش بيرمان" مدبر أمور سيزار، التي يقوم بها داستين هوفمان ويظهر في مشهد أو مشهدين ثم يختفي، أو الدور القصير الذي تلعبه تاليا شاير، شقيقة كوبولا التي ارتبطت بأفلامه.

وكلها شخصيات سطحية أحادية

الجانب، لا يهتم السيناريو بإشباعها بما فيها الشخصيات الرئيسية التي تبدو كاريكاتورية ومنها شخصية "سيزار" نفسه الذي يغرم بالتساؤل عن مغزى الزمن وكيف يمكن التحكم فيه، ثم ينجح فعلا في إيقاف الزمن مرات عدة خلال الفيلم. وسيتعرض سيزار لمحاولة اغتيال مع إطلاق النار عليه بحيث يتشوه وجهه تماما، لكنه سيعود فيما بعد كما لو لم يحدث له شيء!

كثرة الشخصيات وضحالتها، وغياب الحبكة القوية التي تستند عليها، وهامشية قصة الحب بين قيصر وجوليا، والاستطرادات الكثيرة مع تكرار الفكرة، واستخدام التعليق الصوتي المباشر الذي يروي ويعلق ويحذر وينذر (بصوت الممثل لورانس فيشبيرن)- سائق سيزار وحارسه الشخصي، كلها عوامل تجعل البناء مضطربا، بحيث يكافح الممثلون لكي يمنحوا لأدوارهم معنى، دون جدوى.

ورغم أن الفيلم يتميز بعناصر الإبهار في الصورة: حركة الكاميرا، والتكوينات البصرية، والديكورات وتصميم الإنتاج الذي يجعل نيويورك أو نيو- روما، مدينة تمتلك من خصائص روما القديمة (الأعمدة والمباني الرومانية الطابع) مع استخدام اللقطات من زوايا مرتفعة لاقتناص المشاهد العامة التي تظهر غرابة المدينة

وطابعها الصاخب الغارق في الملذات، مع تصميم الملابس التي تجمع بين التاريخ والمعاصرة، إلا أن كل هذه العناصر لا تنقذ الفيلم من السقوط، فمع غياب التماسك والوضوح والشخصيات المحددة الواضحة الأبعاد، يصبح الفيلم أقرب إلى استعراضات السيرك من خلال مشاهد أقرب إلى "الاسكتشات" مع الافتقار لروح المرح التي تميز عروض السيرك.

لا أود هنا أن أحرق باقي أحداث الفيلم أو أكشف عن نهايته، ولكن كوبولا، سيميل في النهاية إلى عقد مصالحة بين كل الأطراف، ثم ابتداع نهاية متفائلة توحي بالأمل في المستقبل. ولكن حتى هذه النهاية بدت مسرحية ومقصودة لدفع المشاهدين للشعور بالارتياح أكثر من كونها فكرة يقتنع بها كوبولا بالفعل، بعد أن أبدى طوال الفيلم تشككه في أن تنتبه الإمبراطورية الأمريكية إلى مأزقها الحاد الذي يوشك أن يطيح بها تماما كما كانت روما القديمة.

كوبولا على السجاد الأحمر في كان

هذا ليس بالتأكيد أحد أفلام كوبولا الجيدة، الذي كان أول من حصل على "السعفة الذهبية" في مهرجان كان مرتين، فلا هو مثلا يشبه "المحادثة" بشجاعته ووضوحه وابتكاره وقوة تعبيره عن الفكرة، ولا "سفر الرؤية الآن" بجموحه وخياله الخصب ونقده القاسي لسقوط أمريكا في مستنقع فيتنام، ولا "الأب الروحي" بما يتميز به من سيناريو يفيض بالحياة والشخصيات التي لا يمكن نسيانها.

يمتلك "ميجالوبوليس" قوة في التجسيد البصري (صور ومشاهد كبيرة وديكورات هائلة، ومجموعة من الممثلين النجوم.. إلخ) لكن هذه القوة بدلا من أن تنقذ الفيلم فإنها تدفعه إلى السقوط، أساسا بسبب هزال السيناريو الذي يجعل لكل هذه العناصر قيمة وتأثير، فلا هو أصبح فيلما من أفلام الخيال العلمي (أو ما يدعى كذلك!)، ولا فيلما من أفلام النقد السياسي أو السخرية السياسية (SATYRE). والمرء لا يملك في النهاية سوى أن يتحسر عن المغامرة المالية الضخمة التي لم تجد حتى الآن موزعا يتحمس لشراء حقوق توزيع الفيلم في الولايات المتحدة. والسبب واضح. أليس كذلك؟!

ملحوظة

في الثلث الاخير من الفيلم، فجأة تضيق الشاشة وتظلم وتنحصر الصورة في دائرة حيث يجلس الممثل آدم درايفر على مكتب، ويدلف رجل إلى منصة قاعة العرض السينمائي يحمل كشافا ضوئيا صغيرا وميكروفونا طويلا، يقف على الجانب الأيسر- ويوجه سؤالا إلى (درايفر- سيزار) خلاصته: ما العمل، ما المخرج؟ ليجيبه سيزار من داخل الفيلم!!

إنه جزء من العرض السينمائي. ولكن هل سيضع كوبولا شخصا في كل قاعة عرض تعرض فيلمه حول العالم، يقوم بهذا الدور الذي لم أجد له معنى؟ هو طبعا يريد أن يوجه رسالة لنا نحن المشاهدين مباشرة، ويجعل درايفر يدعو لتكاتف العالم كله من أجل انقاذ أمريكا من الانهيار!

إطلاق النسخة الثالثة من مهرجان السينما الأوروبية بالمملكة العربية السعودية

صالح سويسي

أعلنت مندوبية الاتحاد الأوروبي في الرياض، بالتعاون مع سفارات الدول الأعضاء بالاتحاد الأوروبي ومجموعة الصور العربية للسينما، عن إطلاق النسخة الثالثة لمهرجان السينما الأوروبية بالمملكة العربية السعودية والتي تنطلق غدا في العاصمة السعودية.

تنطلق فعاليات المهرجان في الفترة من 29 ماي وحتى 6 جوان 2024، وللمرة الأولى يتم تنظيم المهرجان في كلٍّ من الرياض وجدة.

وتستضيف المهرجان دار عرض ڤوكس سينما سنشري كورنر بالرياض وڤوكس سينما جدة بارك التي افتُتحت حديثاً.

يحتل المهرجان مساحة أكبر من أي وقت مضى، وأكد المنظمون أنّه يتضمن عرض 21 فيلماً أوروبياً من مختلف الدول الأوروبية، بما في ذلك النمسا، بلجيكا، بلغاريا، قبرص، التشيك، الدنمارك، إستونيا، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، اليونان، إيرلندا، إيطاليا، ليتوانيا، هولندا، بولندا، البرتغال، سلوفاكيا، سلوفينيا، إسبانيا والسويد.

يضم المهرجان مجموعة من الأفلام الحائزة على العديد من الجوائز، بما في ذلك جوائز الأوسكار والسعفة الذهبية بمهرجان كان الدولي السينمائي.

وقال كريستوف فارنو، سفير الاتحاد الأوروبي لدى المملكة العربية السعودية بقوله: «يسعدني أن مهرجان السينما الأوروبية بالمملكة قد تحول إلى فعالية رئيسية على روزنامة المملكة الثقافية. وعلى مدار السنوات، أخذ المهرجان في التوسع وأصبحنا لا نعرض أفلاماً أكثر فحسب، بل سوف يتم تنظيم المهرجان في جدة أيضاً. وإنني أتمنى أن تتيح الفعالية الفرصة للمزيد من محبي الأفلام السعوديين لمشاهدة العديد من الأفلام المعروضة فضلاً عن الفعاليات الجانبية».

ولم يخفِ أحمد طعيمة، الرئيس التنفيذي لمجموعة الصور العربية للسينما، سعادته بتوسيع التعاون مع مندوبية الاتحاد الأوروبي لدى المملكة للسنة الثالثة على التوالي، مشيدا بمهرجان السينما الأوروبية كأحد أهم الفعاليات السينمائية بالمملكة، ملقياً الضوء على جاذبيته الفريدة لجماهير السينما وعشاق الأفلام العالمية بالمملكة.

ويستضيف المهرجان المخرج النمساوي الحاصل على جائزة

أوسكار ستيفان روزوتسكي والذي سوف يقدم دورة متخصصة بالمهرجان، كما تشمل قائمة ضيوف المهرجان كيرياكوس توفاريديس من قبرص وميكي دي يونج من هولندا، فضلا عن روبرت هيجينز وباتريك ماكجيفني من إيرلندا، والذين سيلتقون الجمهور في حوار مفتوح مع صناع الأفلام ومحبيها.

يهدف مهرجان السينما الأوروبية بالمملكة العربية السعودية إلى تسهيل التبادل الثقافي والترويج للسينما الأوروبية، كما يعمل على تعزيز التواصل بين صناع الأفلام الأوروبيين والسعوديين من خلال تنظيم فعاليات جانبية مخصصة.

الفيلم الصومالي « القرية المجاورة للجنة» يشد انتباه المشاركين في «كان2024»

وناس بن يوسف

يعد فيلم «القرية المجاورة للجنة» أول فيلم صومالي يُعرض في مهرجان كان، وهو أمر من شأنه أن يساعده على إيجاد جمهور من محبي السينما العالمية الأصيلة في مهرجانات أخرى بعد عرضه الأول في مهرجان كان.

يبدأ هاراوي فيلمه بنشرة إخبارية واقعية باللغة الإنجليزية عن هجوم أمريكي بطائرة بدون طيار في الصومال، مع رسومات توضيحية على الشاشة تجعل الحدث يبدو وكأنه نوع من ألعاب الفيديو. ثم ينتقل المحرر جوان سكرنزي مباشرةً إلى جانب طريق صومالي مغبر، حيث يحفر الرجال القبور في التراب؛ هذا التجاور بين الملاحظات التي يقدمها الغرباء الغربيون من الخارج والتجربة الحية للصوماليين هو الدافع السردي للفيلم.

أحد هؤلاء الرجال الكادحين هو مامارجادي (أحمد علي فرح) الذي أصبح عمله المعتاد في دفن الموتى - غالبًا ما يكون القتلى في هجمات الطائرات بدون طيار - أقل ربحًا، حيث تستحوذ شركات البناء الأكبر حجمًا بآلاتها الثقيلة الفعالة على كل الأعمال.

يعيش مامارجادي في منزل متواضع ولكن مريح من غرفة واحدة مع ابنه الصغير سيجال (أحمد محمد ساليزيان الجذاب) وشقيقته أرويلو (آنا أحمد إبراهيم) المطلقة حديثًا، وهي خياطة ماهرة تحلم بافتتاح مشروعها الخاص في الخياطة.

الحياة صعبة بالنسبة لهذه العائلة. فعلى مارماجادي أن يكافح من أجل لقمة العيش من خلال العمل الوضيع، وأراويلو تعيقها القوانين المحلية المتعلقة بالنساء العازبات، ومستقبل سيجال في خطر عندما تغلق مدرسة القرية. لكنهم ليسوا مجرد ضحايا للظروف. يقرر مامارجادي أن يبذل كل ما في وسعه لإرسال سيجال إلى مدرسة في المدينة، بينما تجد أراويلو التي لا تعرف الكلل ولا تعرف الصبر الذي لا ينتهي، طرقها المبتكرة لتحقيق طموحاتها.

هناك تسلسل ديناميكي في المستشفى، حيث تظل الكاميرا مركزة على سيجال، ويديه على عينيه، بينما تدور آثار هجوم بطائرة بدون طيار حوله، وهو أكثر إشارة علنية إلى التهديد الدائم للعنف في الصومال المضطرب (والذي من المفارقات أنه يبقي مارماجادي في العمل).

أما اللحظات الأخرى فهي أكثر يومية، إذ يُظهر سيجال لوالده مناورة الدفاع عن الطائرات بدون طيار التي تعلمها في المدرسة، وهناك احتجاج محلي ضد قوارب الصيد الأجنبية

غير القانونية وإشارة قصيرة إلى تسرب كيميائي كارثي قبل بضع سنوات (وهو أيضًا محور فيلم "الحياة في القرن").

يتمتع الفيلم، الذي تم تصويره على مدار ثلاثة أشهر في الصومال، بمهارة بصرية مذهلة؛ وهو إنجاز خاص بالنظر إلى أن معظم طاقم العمل من الوافدين الجدد. يتمتع مصور الفيلم، المصري مصطفى الكاشف ببراعة، وغالباً ما يضع شخصيات العمل على حافة لقطة واسعة تظهر فيها وسائل الراحة في المنزل أو جمال المناظر الطبيعية الوعرة المحيطة بهم.

في حين أن قلة خبرة طاقم التمثيل غير المحترف إلى حد كبير واضحة في بعض الأحيان، إلا أنها تضيف الإحساس الطبيعي غير المتسرع لفيلم هاراوي.

"القرية المجاورة للجنة" قوي في كل مشهد، بدءًا من نهج مارماجادي الواقعي في دفن الموتى إلى تصميم أراويلو الهادئ على تحسين نظام تعرف أنها لا تستطيع تغييره، وقد لا يكون هذا المكان جنة بالمعنى التقليدي، لكنه مع ذلك مكان للأمل.

شارك المخرج الصاعد على الساحة السينمائية الصومالية»مو هاراوي» بأول أفلامه الروائية الطويلة «القرية المجاورة للجنة « في الدورة الأخيرة لمهرجان كان ويقوم ببطولة الفيلم أكسميد كالي فاراكس وكاناب أكسميد إبراهين وسيغال ماكسمود صليبان، وهم ممثلون موهوبون يمثلون الجيل الجديد من السينما الصومالية.

وقال تييري فريمو عند تفسير اختياره لهذا الفيلم :»فيلم «القرية المجاورة للجنة» هو فيلم صومالي لمو هاراوي، وهنا أيضاً نعلم أنغرب أفريقياوأفريقيا جنوب الصحراءوشمال أفريقيا والمغرب العربي هي بالفعل قارات فرعية قوية جداً للسينما،وشرق أفريقيا أيضاً. لقد كان لدينا أفلام من كينيا، ولدينا فيلم من السودان والآن لدينا فيلم من الصومال، وفجأة، كما هو الحال فيالمملكة العربية السعودية، هناك أصوات جديدة تُسمع. أصوات صانعي الأفلام، إنه فيلم مقنع بشكل غير عادي، من حيث أجزائه ما قبل البصرية، ومن حيث السرد، ومن حيث الطريقة التي يروي بها هذا الفيلم قصته، وهو ليس فيلماً من نيويورك مبالغاً فيه، لا، إنه فيلم صومالي. فيلم «قرية قريبة من الجنة « لمحمد هاراوي هو الفيلم الأول.

ويشار ان المخرج الصومالي محمد هراوي قدم عدداً من الأفلام القصيرة التي لفتت الانتباه إليه، من بينها «هل سيأتي والديَ لرؤيتي» الذي يدور حول سجين شاب يقضي عقوبة في السجن، وفاز عنه بالجائزة الكبرى بمهرجان «كليرمون فيران» بفرنسا، و«جائزة لولا الألمانية» 2022، كما تم ترشيحه لـ«جائزة الفيلم الأوروبي»، وكان فيلمه «الحياة في القرن الأفريقي» الذي حذر فيه من عواقب هبوط النفايات السامة على سواحل الصومال حصل على تنويه خاص من «مهرجان لوكارنو» بسويسرا عام 2020.

وتحدث مدير تصوير الفيلم مصطفى الكاشف نجل المخرج المصري الراحل رضوان الكاشف عن كواليس العمل، قال إنه قضى 4 أشهر في الصومال مع فريق عمله، ووصف تجربته بالفيلم بأنها «أغرب وأصعب تجربة عاشها»، قائلاً: «تحمست جداً لهذا الفيلم لأنني أحب التجارب الفنية المختلفة برغم أننا واجهنا ظروفاً صعبة خلال التصوير».

ويوضح: ‹كانت معظم المشاهد تصوّر خارجياً في درجات حرارة مميتة، وتسببت تيارات الهواء الشديدة في وقوع الكاميرات أكثر من مرة، كما اخترقت الرمال الكثيفة المعدات واضطررنا لإصلاحها عدة مرات، وكانت الكاميرات تتعرض لسخونة شديدة مما يضطرنا لوقف التصوير».

وتابع أن «الجمهور الصومالي لم يعتد مشاهدة تصوير عمل فني، والممثلون كانوا يشاهدون كاميرات التصوير لأول مرة، وكنا نصور مشهدين فقط في اليوم، فلم يكن متاحاً في الواقع أكثر من ذلك، كما أن الفيلم كان طويلاً (مدته 3 ساعات ونصف الساعة) مما جعل فترة التصوير تطول لـ4 أشهر، ثم اضطر المخرج لحذف نحو ساعة منه خلال المونتاج قبل تقديمه لمهرجان كان».

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

مركز السينما العربية يسند ثلاث جوائز لفيلم "بنات ألفة"

أعلن مركز السينما العربية جوائزه لأفضل الأفلام العربية، مستنداً إلى آراء 255 ناقداً من 72 بلداً، حيث حلّ الشريط السوداني "وداعاً جوليا"، في المقدمة كأفضل روائي طويل، للمخرج محمد كردفاني" الذي حصل أيضاً على جائزة أفضل سيناريو.

الفيلم الوثائقي التونسي "بنات ألفة"، نال 3 جوائز: أفضل مخرجة لـ كوثر بن هنية، أفضل فيلم وثائقي، وأفضل مونتاج لـ قتيبة برهمجي. فيما فازت فلسطين بجائزة أفضل ممثل لـ صالح بكري، عن دوره في فيلم "الأستاذ"، للمخرجة فرح النابلسي.

الفيلم الأردني "إنشالله ولد"، للمخرج أمجد الرشيد، نال جائزتين: أفضل ممثلة: منى حوا، وأفضل تصوير سينمائي لـ مانيمي أوتوياما.

الفيلم الأردني "إنشالله ولد"، للمخرج أمجد الرشيد، نال جائزتين: أفضل ممثلة: منى حوا، وأفضل تصوير سينمائي لـ مانيمي أوتوياما.

ونال الفيلم السعودي "هجان"، إخراج المصري أبو بكر شوقي جائزة أفضل موسيقى تصويرية لـ أمين أبو حافة. وقطف المصري مراد مصطفى جائزة أفضل فيلم قصير "عيسى". وذهبت جائزتا النقد إلى نديم جرجورة، من لبنان – وبيتر برادشو، من بريطانيا.

انطلاق الدورة السابعة من مهرجان الفيلم البيئي بتونس

إنطلقت في 24 ماي الدورة السابعة من مهرجان الفيلم البيئي وتستمر حتى 29 من نفس الشهر، وتشهد هذه الدورة العديد من الفعاليات الجديدة، وعددًا من الأفلام المميزة عن البيئة، التي تناقش التحديات البيئية وتطرح القضايا المهمة.

وأفتتح المهرجان بفيلم إستعمل السينما والثقافة والفنون من أجل التوعية بالمخاطر البيئية،وهو الفيلم الفرنسي "Goliath" للمخرج "فريديريك تيلييه"، وتدور أحداثه حول فتاة فرنسية تعمل أستاذة رياضة نهارًا وتمتهن عملًا آخر ليلًا، وهي ناشطة بيئية ضدّ استخدام المبيدات الحشرية، يرافقها في هذا النشاط محام متخصّص في قانون البيئة.

وحرص المهرجان هذا العام على أن يكون لديه عدد من الأفلام المميزة، والجديدة التي تحكي عن البيئة حيث يشارك في هذه الدورة 9 أفلام بين روائية ووثائقية ورسوم متحركة من تونس وفرنسا وسويسرا، ولا يقتصر المهرجان على تقديم عروضه في مدينة الثقافة فقط، فمن المقرر أن يكون هناك جولة في عدة مدن تونسية، منها بنزرت وصفاقس.

ويشار وأن المهرجان عانى في السنوات الماضية من قلة تواجد الأفلام التي تتحدث عن البيئة، لذلك قرروا أن ينظموا عدة ورش لإعداد الأفلام البيئية للشباب التونسي، لاختيار مشاريع منها للمشاركة في المهرجان، بعد إشراف من اختصاصيين دوليين في مجال السينما البيئية لتوجيه أبنائنا وتبني مشاريعهم".

كما برمج المهرجان أفلامًا قصيرة لطلبة تونس من معهد السينما وأفلام متحركة، كما أقيمت عدة ندوات تحدثت عن المناخ والتلوث، وطرق الحفاظ على البيئة.

«كواليس» لعفاف بن محمود يتوج في مهرجان «خريبكة الفيلم الافريقي» بالمغرب

حصد الفيلم التونسي المغربي "كواليس" لعفاف بن محمود جائزتين في المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة

حيث تحصل على جائزتين وهما التنويه الخاص للجنة تحكيم "جائزة دون كيشوت" وجائزة "ايدريسا اودراوڤو " لافضل إخراج، خلال مشاركته بالمهرجان الدولي للسينما الافريقية بخريبكة (المغرب) في دورته الـ24 التي انتظمت من 11 إلى 18 ماي الجاري.

وقد تم في دورة هذا العام للمهرجان عرض 13 فيلما طويلا في إطار المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة، و14 فيلما قصيرا ضمن المسابقة الخاصة بهذا الصنف، مع مشاركة أكثر من 300 سينمائي، من دول عربية وإفريقية.

وتوج الفيلم الرواندي "العروس " للمخرجة مريم بيرارا، بالجائزة الكبرى للمهرجان "أوسمان صامبان "، كما تحصل على جائزة النقد السينمائي.

وفاز بجائزة أحسن دور رجالي أمادو ديوب، عن دوره في فيلم " كبش سادا " لمخرجه السنغالي باب بونام لوبي. أما جائزة أحسن دور نسائي فكانت من نصيب ستيفاني توم عن دورها في فيلم "حينما تتكسر السدود _ لمخرجه ميسين دوريك تين من الكاميرون.

وآلت جائزة لجنة التحكيم " دون كيشوت"، لفيلم " صمت الكمنجات " للمخرج سعد الشرايبي.

يتناول فيلم "كواليس" قصة فرقة رقص تقوم بجولة فنية، وخلالها يُلحق هادي أحد أفراد الفرقة إصابة بعايدة رفيقته في الحياة وعلى المسرح، وتتوالى الأحداث خلال ليلة طويلة، اكتمل قمرها، فيضطرون لعبور غابة متوجهين نحو أقرب قرية بحثاً عن طبيب، ليجدوا أنفسهم أمام متاهة غير متوقعة، وأمام تحدي إنقاذ العرض الأخير الحاسم.

يجمع الفيلم بين الدراما والرقص والموسيقى ويضم ثلاث لوحات راقصة، وكان الفيلم قد شارك بمهرجان «فينيسيا» السينمائي وفاز بجائزة السينما والفنون خلال دورته الـ80 المنقضية.

القصة تبدأ من الفنانة عفاف بن محمود، التي بدأت مشوارها الفني راقصة باليه، ولعبت أدواراً عديدة بارزة في السينما، من بينها فيلم "أطياف_، و"قبل ما يفوت الفوت"، إلى جانب أدوار تلفزيونية عديدة.

تقول الفنانة التونسية إن قصة الفيلم غير حقيقية، لكنها مستوحاة من حكايات عاشتها، موضحة: "دخلت الفن منذ صغري راقصة باليه، ومن ثمّ ممثلة مسرح، وعشت تفاصيل الفرقة وفكرة التجوال، لذا فإن ما كتبته مستوحى من أشياء عشتها".

المعرض الشخصي للرسام شهاب حميد :

بين الرسم والتجسيم التشكيلي

اسمهان الماجري

تنتمي الحروف لعالم اللغة والكتابة، في حين ينتمي كل من الخط واللون إلى عالم الرسم والتشكيل، ولكن داخل نظرة حروفية تغدو الكتابة رسما والرسم كتابة بلغة ما، إن الحروفيين يستعملون غالبا الحرف كعلامة تشكيلية وفنية أكثر مما يستعملونه كلغة داخل كلمة مفهومة أي يستعملونه منفصلا كأداة تشكيلية مستقلة بذاتها، لا كحروف وإن كانت كذلك، وقد يكون الحرف الواحد أحيانا كلمة معينة لا يمكن أن نعرف ما هي إلا من خلال رمزيات وعلامات أخرى تشكيلية موجودة في اللوحة ككل .

ويقوم الحرفيون أحيانا بتحطيم الحروف كحروف والابتعاد عن أي معان أو قراءة نصيّة أو لغوية شاملة للنصّ كجسد لغوي مفهوم، فالحرف عندهم مساحة لونية وخطية وتشكيلية هو رسم لا لغة، فقد يغدو الحرف أداة رسام كذلك لا فقط أداة لغوي أو شاعر كما نعرفه عادة.

الحروفية في أعمال شهاب حميد

في هذا المزمار تحديدا يتنزل المعرض الشخصي للرسام شهاب حميد : «تجليّات حروفيّة: بين الحرف واللا كلمة» تنظيم جمعية قليبية للثقافة والفنون والتراث الذي انتظم على امتداد أسبوع كامل برواق الفنون بدار الثقافة نور الدين صمود من 18ماي وكان يوم الافتتاح إلى 25 ماي.

والعنوان الذي اختاره الرسام يحيل في حد ذاته على أن الحروف استخدمت كحروف متفرقة لا كحروف مجمعة في سياق مفردات وكلمات.

ولقد سعى الرسام شهاب حميد في الكثير من لوحاته إلى المزج بطريقة فنية سلسة وجميلة ما بين الرسم والنحت، ما يمكن أن نسميه بالرسم نحت،حيث نجد بعض النتوءات التشكيليّة في مجموعة من اللوحات المعروضة، مما يجعل بعض الفضول يعتري المُشاهد تجاه هذه اللوحات، ليتلمس وجهها الذي يحتوى أكثر من بعد واحد، هي لوحات من ألوان وخطوط وأشكال ناتئة عن اللوحة، أو خارجة عن إطارها، مما يوجهنا تأويليا إلى منابع تفسيرية عدّة.

فهذا الخروج عن إطار اللوحة قد يؤوّل بمساحة من الحرية والانعتّاق والفرار من اللوحة ،الفرار من حدودها التّي قد تُمثل نوعا ما شيئا من القيد أو القفص المحدود الممثل في إطار اللوحة.

فمثلا في لوحة «قضية عربية» والتّي تحتوي حرف الفاء منحوتا فوق اللوحة بارزا وخارجا قليلا عن إطارها، ينسجم هذا الحرف الذي لا يُقرأ إلا في سياقه مع بقية اللوحة مع صورة الفتاة والحمامة في يدها رمز السلام والأهم تلك النقاط أعلى اللوحة التّي تُحيل على «غزة» بالتالي كل عناصر اللوحة مدروسة بدقة ولم تُوضع أو تُرسم اعتباطيا.

يقول برنارد مايرز في كتابه «الفنّون التشكيليّة وكيفيّة تذوقها» ما يلي :»كل عمل فنّي هو نتيجة لمقدار معيّن من التخطيط» نجد في اللوحة دائرة مجسمة صفراء اللون وحسب اللون والشكل يمكن أن نؤولها في محاولة من المحاولات بالشمس التّي ستشرق يوما ما، فكل جسم طبيعي هو شكل هندسي في النهاية يقول سيزان «إن كل جسم في الطبيعة يُمكن ترسيبه إلى مُعادلة الهندسي»

يقول الشاعر عبد المنعم حجازي «قل هو اللون في البدء كان وسوف يكون غدا فاجرح السطح إن غدا مفعم»

في لوحة «قضية عربية «تحديدا هناك عدد كبير من الألوان في اللوحة رغم قتامة القضية إلا أن التعبير عنها لم يكن بنفس القتامة وعدد الألوان المستعملة ووجوهها أكبر دليل فنّي على ذلك

ولأن المشاهد كما يقول خليل قوبعة «لم يعد ناظرا صامتا أو مستهلكا معزولا بل أصبح شاهدا مُشاركا، إنه يصوغ نظره في الأعمال الفنيّة في شكل «فِعل» أو على الأقل «رد فعل» أو «خطاب»

اخترت أن يكون رد فعلي الشعوري تجاه موضوع الفن الذي رأيته أمامي بهذه الكلمات دون أن أنسى أن أنوه أيضا بأهمية المحلي في أعمال شهاب حميد فالبرج كان حاضرا بأكثر من شكل وصورة وكذلك «الدقتاقة القليبية»... الخ هو معرض موغل في التراث، وفي الهوية المحلية وكأنه بصمة انتماء إلى ذلك الحيز الجغرافي الصغير المُسمى قليبية في نفس الوقت هي أعمال موغلة في الحداثة الفنية والتشكيلية من خلال الأساليب المستعملة والتي رأيتها نادرة لا تتوفر في الكثير من المعارض بنفس الأساليب الفنية المعهودة.

«الفن-الفعل» في مهرجان الفن المعاصر ببرج القلال :

لبنة أولى تَعِدُ بغد مغاير للمعهود

ألفة معلى

بتاريخ-29-28و30أفريل2024انطلقت بمقر جمعية أحباء الفنون التشكيلية ببرج القلال فعاليات مهرجان الفن المعاصر في دورته الأولى تحت مسمّى "الفن-الفعل". تكوّن المهرجان من عدّة محطات هامّة استصدرها عرض أدائيّ للفنان وديع المهيري بعنوان "عاود ما سمعتش"، جسّد من خلاله الفنان سوقا يُبَاعُ فيه ما افتقدته البشرية في العصر الحالي من قيم ومبادئ (كالإنسانية والعدالة والحب ...)، ضمّنها في لفائف بيضاء مختلفة الأحجام، محكمة الإغلاق وباعها دون مقابل أو بسعر رمزيّ ("بميّة"، "بخمس ميّة"، هز بلاش")، علّها تكون في متناول الجميع. في المقابل دعا إلى الإعراض عن اقتناء بعض البضائع الأخرى (كـ "الجهوية" و"العنصرية"...) حين نادى عاليا: "مازل شوية" و"بدّل الثنية"... احتوى العرض مشاهدا بصرية وتأثيرات صوتية وحركة في الفضاء قامت جلّها على مبادئ التكرار والتتالي والتقاطع والتعاقب، حرص فيها الفنان على الحفاظ على الطابع التونسيّ الواقعيّ بالأساس حين لبس "الدنقري" التونسي ووضع على رأسه "المْظَلَّة"، وعندما عرض بضاعته في أوانٍ من خشب الزيتون. خاطب الجمهور بلغةً عامية يفقهها دون عناء، فغايته وبالأساس شدّ النظر لفحوى خطابه النقديّ. على أنّ ما ميّز العرض الأدائيّ هذا هو ما اتّسم به من بعد تشاركي، إذْ دعا المتفرّجين إلى الاقبال على أخذ قسط ممّا يعرض من بضاعة، ليتحوّل العرض إلى ما يشبه السوق الحقيقية، وليتحوّل المشاهدون إلى حرفاء حقيقيون، وكأنّهم شركاءٌ في هذا العرض، وكأنّ سينوغرافيته لا تكتمل بدونهم، وبهذا قرن الصلة مع مفهوم "الفن- الفعل" بامتياز.

وقد شكّلت الأعمال الفنية المختلفة الأجناس محطّة هامة أخرى من عروض هذا المهرجان، اذ تميّزت بثرائها التقني والمفاهيمي. بلغ عدد الأعمال المشاركة بالمعرض الجماعيّ ما يناهز 42 عملا لـ 37 فنّانا من جهات مختلفة من البلاد ومن فئات عمرية متباينة. وقد كان في هذا المعرض لكل فنّان زاوية نظر للموضوع المطروح، فمنهم من رأى في "الفن- الفعل" لحظة تفاعل مع مواد الإنجاز أو مع المحمل أو الأدوات، بحيث احتفوا بلذّة الانشاء وتلقائية الانعكاس على جسد نحتيّ أو تصويريّ أو خزفيّ. في بعض من الأعمال الأخرى تفاعلت العديد من التقنيات حتى أضحت عملية تصنيفها ضمن احدى خانات الفنون من باب العبث والاعتباط. كثير من هذه الأعمال استدعت تفاعل المتلقي معها فدفعته للمسها أو التجوال حولها أو النظر عبرها إلى ما هو موجود بذلك المكان العتيق ولم تكن تراه العين وأدركه المتلقي بفضل ما في هذه الأعمال من فتحات.

أمّا عن التنصيبات الفنيّة الثابتة ففتحت المجال للزائر لأن يلجها، فاحتوته وأصبح جزءا منها يعيشها من الداخل وليس كمجرّد مشاهد عابر سبيل، عناصرها تجبره أحيانا على الانحناء، على تركيز النظر في بعض التفاصيل، أو تحاشي بعض العقبات، تغريه لأن يلتقط بعض أشيائها حتى ينظر إليها عن كثب ويشبع فضوله في التعرّف على ما تحويه، بذلك هي تحطّم ما دأب عليه فن العرض سابقا من "منع للمس" لتؤسّس بالأحرى ما اصطلح عليه "نيكولاس بوريو" (Nicolas Bouriaud) بـ "استطيقا العلائقيّ" حيث لا يستقيم معنى الانشاء الفنّي إلاّ متى أبرم تلك العلاقة مع متلقيه.

وقد توفّر عديد الاسقاطات الضوئية على الجدران أو على محامل قماشية ضخمة، أَجْوَاءً وجدانية تجعل الزائر يعيش حالة من "الانغماس" في فضاءات افتراضية، فضاءات تغمره بفعل الضوء والصوت أحيانا فتشدّه إلى محتواها وتدفعه للبحث فيها عن دلالة ما، قد تتعلّق احدى هذه الاسقاطات بحالة تيه في دوامة لا تنفكّ عن الدوران، وقد تثير أخرى حنينا لخرافات ما عدنا نستمع إليها، أو ترقب ثالثة واقعا نحياه يوميا ولا تدركه حوّاسنا بفعل سلطة العادة التي حوّلته إلى أمر بديهي. أضواء هذه الاسقاطات الضوئية الشفافة اللامادية تتلبّس المكان وزوّاره، فتتملّكهم وكأنّها تقتطعهم من عالمهم الواقعيّ لتلحقهم بعالمها الافتراضيّ، هي ربّما تقترضهم بعض الوقت من زمنهم الحقيقيّ لتقحمهم دون إذنهم في فسحة تدوم بعض الثواني أو الدقائق، لكنَّ فيها من المتعة ما يجعلهم أحيانا غير قادرين على ترك المكان.

كما تحضر أيضا عروض فيديوغرافية على شاشات وُضعت في فضاءات مغلقة بالكامل، على صفحة هذه الشاشات انعكست صراعات مع أجساد بشرية بدت غريبة عن أصحابها، هجينة، مخفية أو جلية، في حركة متنامية في الزمان، يضفي عليها التلاعب بالأضواء والظلال أبعادا تعبيرية تنأى عن السرد لتعانق مواطنا تتخفّى في الباطن الدفين للفنان، وكذلك أيضا للزائر المشاهد الذي يجد فيها متنفّسا لما يعجز عن الإفصاح عنه.

وفي إحدى الأعمال تكون الشاشة في هيئة إطار صغير للوحة رقمية تحمل تطبيقة تتفاعل مع زائر فضائها الخاص، تغيّر ملامحه وتبدّلها مقابل مرآة تحافظ على الشكل الأصليّ. تضع المشاهد في تيه بين الواقعيّ والافتراضي وبين الحقيقيّ والخيالي، هي طريقة أخرى في التفاعل الآنيّ الحاصل بين المُنْجَزِ الفنيّ ومتلقيه.

وللوحة المضيئة شبه في شكلها العام بهذه الشاشات، إلاّ أنّها وفي إطار هذا المعرض يتّخذ محتواها البصري صورة تبدو في هيأتها الظاهرية متحرّكة، وفي حقيقة الأمر هي ثابتة بامتياز. بفعل انزياح الصورل المتراكبة فيها يشعر المشاهد بذبذبة بصرية تسائل أدوات الإدراك لديه وتربك عناصر حسّه بفعل ما فيها من تضبيب. ضبابية تجعله يشعر بشيء من الانزعاج ويبحث عبثا عن الزاوية المثلى لتوضيح النظر.

ولا يخلو المعرض طبعا من الفن المفاهيميّ الذي يمنح للمتلقي فرصة انتاج العمل بوساطة الذهنيّ، هذا ما يتجلّى من خلال منجز فني يحوي من العناصر أنبوبا بلوريا قد يبدو للعموم شاغرا أو هو يحوي قسطا من الهواء، إلاّ أنّه وفي حقيقة الأمر وحسب ما يوضّحه النصّ الوارد حوله، حاملٌ فعلا للفراغ الذي يمتلك، وفق ما تبرهن عليه الفيزياء الكميّة (la physique quantique)، طاقةً لا تراها العين وانّما يستشعرها رهيف الاحساس.

دعما لمبادئ "الفن- الفعل" قامت طريقة العرض بدورها على ما يمكن أن نسميه بـ "العرض-الفعل" وهي طريقة في العرض تتعاطى مع خصوصيات المكان بفضاءيه الداخليّ والخارجي. على هذا الأساس وظّفت منسّقة هذا المعرض الجماعيّ، المكوّنات الأصلية لغرف البرج في خدمة تعبيريّة الانشاء الفني حين جعلَت احدى الفيديوهات تروي خرافتها في مكتبة البرج التي تزخر بدرر من الكتب، وحين جعلت فيديو صورة الجدّة المستعادة بواسطة تقنيات الذكاء الاصطناعيّ وكأنّه يروي قصصا في علاقة بصور معلّقة في الأصل على جدران الغرفة حيث العرض الفيديوغرافيّ، أو حين استغلّت فناء البرج لعرض انشاء فنّي انفتح فيه علم الأركيولوجيا وفن الحفر والطباعة على فضاء واحد هو فضاء التنصيب، ذلك الذي تلتقي فيه عديد الفنون وتتواشج في تآلف وانسجام كما تلتقي أبواب الغرف بصحن البرج.

هكذا طوّعت طريقة العرض مختلف هذه الأشكال الفنيّة مع خصائص المكان فباتت سياقية بامتياز، إذ درست منسّقة المعرض خصائص هذه الأعمال وبحثت لها عن فضاءات داخل هذا المكان تتلاءم ومحتواها المضمونيّ، فبدت المنشآت وكأنّها أُنْتِجَتْ خصّيصا لها، ثمّ تركت للمشاهد مساحات بعينها حتى يستطيع التفاعل ضمنها مع مكان العرض والمعروض فيه في ذات الحين، وهو تحديدا ما جعلنا نتحدّث عن مفهوم "العرض-الفعل" في هذا الإطار.

أمّا في خارج البرج فتحقّقت "فلسفة" العرض بأسلوب مغاير يكرّس مفهوم "المسار"، إذ نُصِّبَتْ في الفضاء المكشوف حاويات ضخمة رَبَطَتْ بينها ممراتٌ خشبية تشقّ أرضية المكان، يدعو بَعْضُهَا الزائرَ لولوج فضاءاتها المفتوحة للعموم والحاوية لإحدى الأعمال، في حين يدعوه بَعْضُهَا الآخر لفتح ستار أسود انسدل على واجهة هذه الحاويات لإكتشاف ما يتخفّى خلفه من انشاءات.

في الحالتين يطوّر أسلوب العرض بالخارج فكرة "استقلالية" العمل الفنيّ الذي لم يعد يحاذيه أيّ عمل آخر قد يشوّش النظر إليه. يوفّر للزائر مضمارا ضيقا يحوط أو يحاذي المنجز الفني ليتحرّك ضمنه بحذر شديد، أو هو يؤمّن مجالا يغرقه في تركيز شديد بفعل ظلمة المكان وتفسّخ حدوده مقابل سلطة الضوء المنبعث من الشاشات، وبفضل الصوت الذي يغمره ويُغْرِقُه في جوّ مهيب يلتقي فيه الخوف والرهبة وحبّ الفضول، فيربك الزائرَ ويزعجه، لكنّه يشدّه إليه عنوة عنه فلا يستطيع مغادرة المكان.

زُرعت هذه الحاويات أمام البرج في شكل دائريّ تعاقبيّ، ورَسَمَتْ الممرّاتُ الخشبيةُ في مركز الفضاء الخارجي مساحة ذكّرتنا بفناء البرج الذي تنفتح فيه كلّ أبواب الغرف. في هذه المساحة بالذات انتصبت منشأة فنيّة اتّخذت من الأرض محملا لحجارة غُرست بأديمها وانتشرت عليه وكأنّها جزء منه لا مجرّد عمل معروض عليه، تروي حجارة هذا التنصيب مأساة الشعب الفلسطينيّ، فهي ما بقيت لديه بعد ان سقطت الديار وتشرّدت العائلات ولم يبق من منازلها سوى بعض من الركام. حَدَثٌ تردّد صداه على الجدار الخارجيّ لإحدى الحاويات المجاورة لهذا التنصيب مع تدخّل عليها برسم غرافيكي على ورق، يصوّر رجلا يحمل بين ذراعيه أحد أطفاله بعد أن أصابه طلق ناري أرداه قتيلا، هذا ما تراه العين على شاشة الهاتف الجوال بفعل تفعيل برمجية "أرتيفيف" (Artivive) التي تعكس بمجرّد توجيهها صوب الرسم الغرافيكي لحظة إصابة الطفل افتراضيا بالرصاص الإسرائيلي. هكذا طوّرت مختلف طرق العرض في الفضاء الداخلي أو الخارجيّ للبرج البعد التفاعلي التشاركي بين المكان والمتلقي والمنجز الفني.

بل انّ البعد التشاركيّ قد تحقّق أيضا بفعل تظافر مجهود المختصّ في مجال الفنّ التشكيليّ (ممثّلا في شخص ليلى بوطبّة، صاحبة فكرة المشروع والقيّم الفنّي للمعرض الجماعيّ)، والمختصّ في مجال التصميم (المتمثّل في شخص كلّ من محمّد نجاح ونايلة المهيري، اللذان أطّرا حيثيات المشروع وعنيا بسينوغرافيا العروض وبتصميم الإضاءة المعتمدة في أمكنة العرض)، تواشج فرضته ربّما طبيعة النشاط الذي عُنِيَ بالتعامل مع أعمال فنيّة (ذات صبغة تشكيليّة) في علاقتها بالمكان (الذي هو من أوكد اهتمامات مصمّم الفضاء)، ممّا من شأنه أن أثمر طريقة مخصوصة في العرض فعّلت التكامل بين الاختصاصات فإختلفت عن المعهود والمتداول في سالف العروض.

هذا وقد انعكس البعد التفاعليّ أيضا في محطّات المهرجان من خلال ورشات أقيمت بتاريخ 29 أفريل 2024، أثّثها أساتذة مختصّون ومؤسّسات، عُنِيَتْ بتطوير عوالم افتراضية يزورها المتلقي بواسطة نظارات يقترن بفضلها الافتراضيّ بالواقعي. فسّرت هذه الورشات تقنيات التصوير في الدرجة 360 من خلال ورشة قدّمت طريقة تجسيم المعالم التراثية للبلاد التونسية وأهمّ الوسائل والأدوات الضرورية في الإنجاز، وورشة أخرى قدّمت زيارات افتراضية تفاعلية لمعرض فنيّ، باستعمال نظّارات الواقعيّة الافتراضية.

وقد كان لجانب البحث العلميّ نصيب وافر في فعّاليات هذا المهرجان إذ انتظمت بتاريخ 30 أفريل 2024 مائدة مستديرة تحت عنوان "الفن- الفعل" التطبيقات والآفاق، أثّثها عدد من أساتذة الفنون المختصين في مجال البحث العلمي، وأدارت حوارها السيّدة ليلى بوطبّة، تدارس من خلالها المتدخّلون مفهوم "الفن-الفعل" من خلال تجارب فنية ذاتية أو نماذج فنية بلورت المفهوم في أعمالها وطوّرته من منظور مخصوص.

أكّدت هذه المداخلات على أهمية الجانب "التفاعليّ" للمتلقي مع العمل الفنيّ وتحوّله من مجرّد متقبّل سلبيّ إلى شريك فاعل في الإنجاز، وهو ما من شأنه أن أفرز تفاعلات مع الحاضرين الذين تساءلوا عن تداعيات دمقرطة الفن على هذه النوعية من المنتجات الفنية، وما يترتّب من تبيعات عن تقلّص دور الفنان الذي لم يعد يحتاج إلى مهارات يدوية بقدر ما أصبح يحتاج إلى القدرة على بلورة بعد مفاهيميّ، كما أعربوا عن قلقهم إزاء الصبغة الزائلة لهذه الفنون، وعن طابعها اللاماديّ، وهو ما يبدو هجينا عن الذائقة العامة للمجتمع، تلك التي تعوّدت مشاهدة أجناس من فنون تحوي في جانب منها بعدا استطيقيا ولكن وفي جانب آخر منتوجا بصريا صالحا للاقتناء والاستهلاك (كمنتج تزويقيّ بالمنازل). أثارت هذه المداخلات أيضا التساؤل حول مفهوم "الفن المعاصر" ومدى استعداد مجتمعنا لتقبّله وتبنّيه في نسيجه الثقافيّ.

وفي اختتام المهرجان قدّم الفنان يوسف مولهي عرضا أدائيا تحدّث عن الاغتراب، اتخذ من الحقيبة رمزا للسفر ومن التراب دلالة على الانتماء لهذه الأرض، صَاحَبَ العَرْضَ الجسمانيّ للفنان خِطَابٌ باطنيّ سمعه جمهور الحاضرين، دعاهم للترحال بعيدا لاستحضار ذكريات ظنّوا أنّها باتت في طيّ النسيان. ترابٌ اعتبره بمثابة شظايا الذاكرة الفارة من الوجدان، وحكايا تحمل في طيّاتها الحلو والمرّ في ذات الحين، لذلك كان ينفضه عن نفسه حينا ويعود يتمرّغ فيه حينا آخر، يحمله معه في حقيبة السفر، بل لا يحمل غيره من الأشياء. ولأنّه يختزل كلّ الذكريات يهديه للحاضرين في شكل حفنات، وكأنّه يقاوم هذا الاغتراب بمشاركة الآخرين تاريخه المخزون في هذه الحبّات. أسهم المتلقي في هذا العرض دون سابق إعلام أو اعداد، فكانت ردود فعله تلقائية تضمن فرادة العرض وصدق الإحساس.

عديد من الأسئلة انبثقت من هذا المهرجان بفعل ملامسة فنون ما تزال مجهولة من قِبَلِ جمهور المتلقين بمدينة صفاقس تحديدا، انبثقت الأسئلة أيضا من اكتشاف امكانيات تقنيات الواقع المعزّز والافتراضيّ، ومن الحوار العلمي الذي فسح الفرصة للنقاش وفهم ما كان عصيا عن الهضم في لقاء المتلقي مع هذه النوعية من الفنون. وهو ما يُحْسَبُ لصالح هذه التظاهرة التي أثارت الفكر ودعته للفهم لا للاستمتاع بجميل الصور والمجسّمات، حاولت تطوير قدراته على التحليل واستنباط المعنى المستتر وراء الظاهر من الأشياء، حين أقحمته في حوار مباشر مع انشاءات تحويه، تدعوه لأن يعيشها من الداخل لا لأن يرقبها في برجها العاجيّ. هكذا كان البعد التفاعليّ التشاركي حاضرا وبامتياز في كلّ محطّات هذا المهرجان الذي نحى صوب تأسيس لبنة أولى للفن المعاصر بالمنطقة التي ظلّت تحكمها إلزاميات سوق الفن لسنوات، فعسى أن تكون بادرة خير فيها صلاح القطاع.

جهات

تونس العاصمة

ينظم المركز الوطني للسينما والصورة والمكتبة السينمائية بالشراكة مع منظمة تونس للسينما TUNISIA CINEMA FONDATION، مهرجان الفيلم البيئي بتونس ENVIROFEST TUNISIA في دورته السابعة وذلك من 24 إلى 28 ماي 2024 بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي

تونس العاصمة

نظّم المركز الوطني للخزف الفني سيدي قاسم الجليزي يوم السبت 25 ماي الحالي على الساعة السادسة مساء برواق خزفيات بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي معرض الفنان بدر القليدي تحت عنوان "TERRA.FAUNA " حيوانات من طين .

وبدر القليدي هو من خريجي المدرسة العليا لعلوم وتكنولوجيا التصميم بتونس سنة 2011 وهو فنان متعدد الاختصاصات من رسم وتصميم كرافيكي وموسيقى، تحصل على إقامة فنية برادس بتونس سنة 2022 وشارك في العديد من المعارض الجماعية بتونس و بالخارج.

وهو من رواد المركز الوطني للخزف الفني سيدي قاسم الجليزي منذ سنة 2019 وتميز بتعامله البسيط والمتقن مع الطين فشكل مجسّدات تعبر على ولادة نحات وخزاف يحتاج فقط لبعض التأطير التقني الخزفي، ومن هنا انطلق هذا المشروع، معرض « TERRA FAUNA » او « TERRA COTTA » حيوانات من طين للفنان لبدر القليدي، بدعم من المركز الوطني للخزف الفني سيدي قاسم الجليزي وهي احدى المهام الرئيسية لأنشطته اكتشاف الخزافين الشبان ودعمهم .

المكنين

"القلة" عرض صوفي جديد ينطلق من مدينة المكنين في الساحل التونسي بقيادة الفنان غازي عمامو، حيث يتضمن العرض إلى جانب الأناشيد لوحات كوريغرافية ليكون بذلك عرضا فنيا فرجويا.

ويؤكد أصحاب العمل أنّه ينطلق العمل من الطبوع التونسية والموسيقى الروحية التي تنهل من التراث الصوفي في الساحل التونسي بمشاركة أكثر من 40 فنان بين عازفين ومنشدين وراقصين ويتواصل على مدى ساعتين تقريبا.

أما عن المزج بالموسيقات والإيقاعات العالمية الموسيقية العالمية في هذا العمل فهو بالأساس لتبليغ أهمّية هذا الطابع ومدى انسجامه مع كلّ الألوان الموسيقية خارج تونس.

ويقول الفنان غازي عمامو أنّه: "تم التركيز أثناء إعداد عرض "القلة" على الموروث الصوفي الخاص بالجهة وذلك من حيث الطابع الإنشادي للقصائد والإيقاعات، فضلا عن اختيار الأغاني، كما تضمّن هذا العرض لوحات استعراضية أصيلة للطرق الصوفية والعيساوية، كما أضفنا اللون الشعبي ".

وحول عنوان العرض يقول عمامو أنّ "مدينة المكنين معروفة بصناعة الفخار، و"القلة" هي رمز لهذه الصناعة التي ورثنها عن أجدادنا، لذلك أردنا أن ننطلق من هويتنا وخصوصيتنا لتقديم عمل متكامل انطلاقا من العنوان وصولا للعرض الفرجوي".

وكان أول عرض لـ "القلة" بدار الثقافة المكنين في إطار تظاهرة ليالي رمضان بمدينة المكنين، ثم افتتح شهر التراث بولاية المنستير واختتام مهرجان التخليلة في دار الثقافة بوحجر، كما اختتم العرض فعاليات شهر التراث بولاية المهدية بمدينة سلقطة والذي شهد حضورا جماهيريا كبيرا.

هذا وسيكون لـ "القلة" عروض في المهرجانات الصيفية، ويتم الإعلان عنها تِباعا.

منزل عبد الرحمان

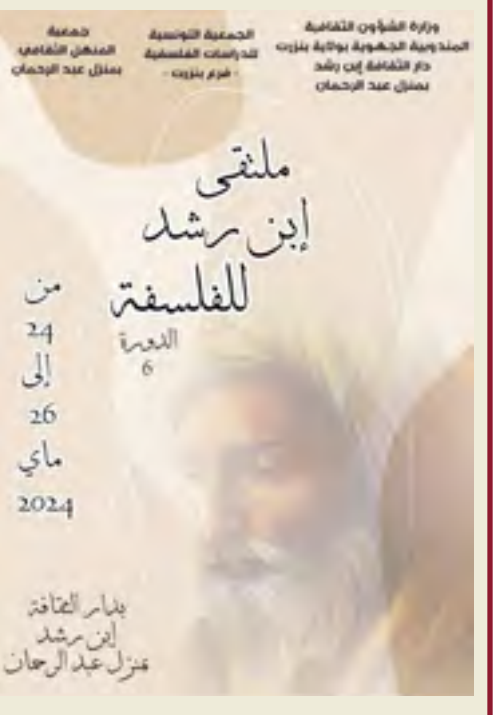

تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثّقافية ببنزرت نظمت دار الثّقافة ابن رشد بمنزل عبد الرّحمان الدّورة السّادسة من "ملتقى ابن رشد للفلسفة"، وذلك

في الفترة الفاصلة بين 24 و26 ماي الحالي،

سيدي بوزيد

تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بسيدي بوزيد، من نظّم المركب الثقافي ابو بكر القمودي ملتقى عامر بوترعة للشعر العربي الحديث تحت شعار "بين فلسطين والشعر العربي مسافة ثورة"، وذلك أيام 24 و25 و26 ماي 2024.

قفصة

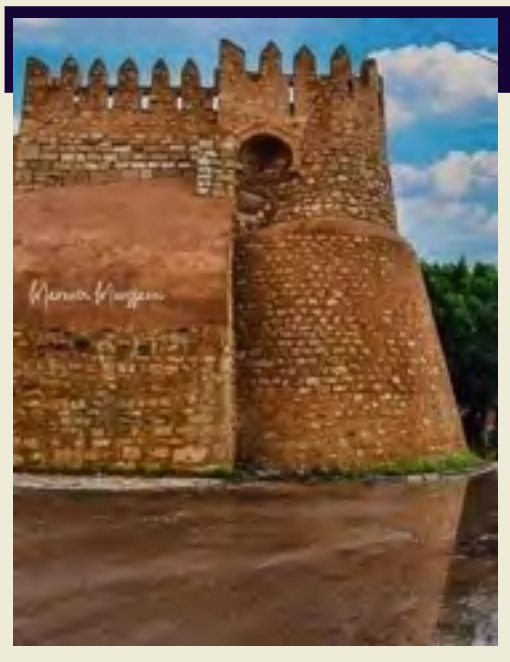

تنتظم بمدينة قفصة ندوة القصة القصيرة المغاربية / الدورة 21 / في شهر جوان 2024

التحضيرات حثيثة لانجاز هذه الدورة التي يشرف عليها فرع اتحاد الكتاب التونسيين بقفصة برئاسة الأستاذ عباس سليمان وبدعم من مندوبية الثقافة بقفصة واتحاد الكتاب التونسيين وولاية قفصة وبلدية قفصة وسيقع الاعلان قريبا عن برنامج اشغالها وموعدها النهائي .

أشغال هذه الندوة ستكون بالمركب الثقافي ابن منظور بقفصة وسيحضر اعمالها ثلة من النقاد وكتاب القصة القصيرة من تونس والجزائر.

وينسق الندوة : ابراهيم درغوثي

أنتريتي نبّار

رشدي بلقاسمي يجعل من الرقص قضية

في البداية لا بد من ذكر ما قاله رشدي بلقاسمي في إحدى الحوارات التي عقبت الحملة التي شنها البعض منذ ثلاثة سنوات حوله وحول طريقته في ممارسة الرقص حيث قال: « الفن موش عيب وموش حرام.. وإذا نبطل الرقص تنتهي عندي الحياة»... فمسألة الرقص والتخصص فيه هي مسألة فكرية وموقف اتخذه رشدي بلقاسمي بعد دراسة وبحث أكاديمي قام به وكنت أحد الشاهدين عن ذلك في 2015 و2016 لما كنت أشرف على ادارة فضاء الحمراء بتكليف من سيرين قنون نجلة رفيق الدرب الراحل عزالدين قنون.. حيث عاينت عن قرب كيف يحضر لعروضه وكم الكتب التي يقرأها لمعرفة الشخصية وتاريخها والوسط الذي عاشت فيه وكان يعود للتسجيلات الإذاعية والتلفزية لرموز الرقص في تونس وكان يستعين أيضا في تمارينه براقصات قدامى أمثال خيرة لابلوند.

ونشهد هذه الأيام حملة جديدة واكثر شراسة إنطلقت على أثر قرار ادارة دار الثقافة بمساكن إلغاء ورشة الرقص التي كان سينشطها ابن الجهة رشدي بلقاسمي في إطار ايام علي مصباح المسرحية يومي 18 و19 ماي الحالي.

وكشف رشدي بلقاسمي على حائطه الفايسبوكي اسباب تأجيل الورشة التي كان سيؤمن تقديمها في إطار أيام علي مصباح في دار الثقافة بمساكن من ولاية سوسة، بسبب التهديدات التي مارستها بعض القوى المتشددة حيث قال «وقع الإتصال بي منذ مدة من طرف ادارة دار الثقافة بمساكن لتأمين ورشة تحمل عنوان : « الجسد والإيقاع في المسرح « في إطار أيام علي مصباح بدار الثقافة بمساكن وهذه الورشة تحمل اسم مادة كنت أدرسها بالمعهد العالي للفن المسرحي بتونس سابقا...ووقع نشر معلقة بها صورتي واسم الورشة بالصفحة الرسمية لدار الثقافة مساكن ومنذ تلك اللحظة والتعليقات الغاضبة والرافضة تنزل كالمطر ؛ كلها حقد وكره وعنصرية وشتم وسب وتهديد وتهكم وتوعد من صفحات خوانجية قديما بدلت فقط الفيستة ولكن العقلية هي هي! والقطيع الي يتبع ويسب فقط لانه محتاج يخرج طاقتو السلبية في حاجة ! وأشخاص عمرها لا حطت ساقها في دار الثقافة ولا تابعت أنشطتها و نهار الي قررت تعفسها باش تكون في شكل مظاهرة للتعرض لشخصي وطردي منها غيرة على دار الثقافة الي انا ولدها...

وأذكر ان مثل هذه الممارسة عشناها في منتصف السنوات الثمانين في حصص نادي السينما الذي كان ينشط بدار الثقافة مساكن وكان يرؤسه المسرحي الراحل علي مصباح في عهد ادارة دار الثقافة من طرف سي البريري... وكان نفس هذا التيار المتشدد من يقف وراء حشد الاهالي لمنع نادي السينما من النشاط.

وأكد رشدي بلقاسمي في منشوره انه اتفق مع القائمين على دار الثقافة على التأجيل، لاسباب عديدة، مؤكدا انه خير الصمت من أجل عدم التشويش على هذه التظاهرة الثقافية خاصة وأنها تحمل إسم أستاذه المسرحي الراحل علي مصباح فضلا عن أنه إبن منطقة مساكن...

وأضاف رشدي بلقاسمي في تدوينته :»قبلت وفضلت الصمت، لأني أولا إبن دار الثقافة بمساكن الي تعلمت فيها الرقص والمسرح قبل ما نغادر لتونس العاصمة وثانيا لأنني تلميذ علي مصباح وما حبيتش نشوش على مهرجان يحمل اسم أستاذي خاصة وأن الدورة جارية، وثالثا وهو الأهم اني ولد مساكن أيضا، ولو كره الكارهون، المدينة إلي ولدت فيها تربيت فيها وقريت فيها وذكريات طفولتي وعايلتي الكل فيها وأكّن لهذه المدينة محبة خاصة، ومع ذلك، قوبلت بالرفض الشديد في مدينتي، وأعلم أن هذا غير جديد وهو متوقع لأن ما أقدمه لا يتوافق والصورة النمطية للرجل (اترك هذه النقطة للتاريخ) ! أنا مصمم على تقديم هذه الورشة مهما كان الثمن، لأن المسالة اصبحت وجودية بالنسبة لي، خاصة مع تدخل الشعبوية في الشأن الثقافي وفرضها لأشكال ثقافية تناسبها واقصاءها لاخرى.

ومن الاخر، إذا فما شكون ما يحبش رشدي بلقاسمي ما يستدعاشي لداروا، اما دار الثقافة الي عديت فيها سنوات عديدة من النشاط، راهي دار الجميع ومن حقي نرجعلها وننشط فيها وقت ما نحب!»

ولقي رشدي بلقاسمي تعاطفا كبيرا ومساندة واسعة من عديد الفنانين والمبدعين وتذكرنا هذه الحملة بالحملات التي قادها أنصار النهضة ومشتقاتها ضد الفنانين منذ 2011 مثل الأعتداء على قاعة سينما افريكا والهجوم على المسرحيين أمام المسرح البلدي والاعتداء على يوسف الصديق واولاد أحمد وغيرهم .

وهنا أذكر موقف الفنان التشكيلي الاستاذ الناصر بالشيخ الذي كتب :»أعبّر عن تضامني الأكيد مع موقف صديقي الفنان رشدي بلقاسمي الذي يتعرّض لهاته الحملة التي تمسّ من سمعة مساكن التي تربطني بها علاقة صداقة تعود لفترة الستينات وذلك لمدّة ستين سنة بالمرحوم محمد الهادي ولد عبد السلام كريفة الحداد ورشته بالمدينة العتيقة. وقد وهب نفسه طوال حياته كمربي ومناضل في صف الحزب الشيوعي التونسي لإرساء ثقافة تقدّمية مفتوحة على التجديد والإبداع . ولعلّ مساكن ما زالت تعاني من تأثير بقايا التيارات الرجعية المتخلفة.

أما الدكتورة أمنة الرميلي فقد عبرت عن مساندتها لرشدي بلقاسمي في محنته هذه قائلة:»كل الدعم والمساندة. يسقط التعصب والأذى والانغلاق! الإعلاميين في الحبس والفنانين يشدّوا ديارهم...هذي بلاد هايلة بالحق..»

كما عبرت الرسامة والباحثة أكابر شلبي عن مساندتها بتدوينة طريفة على حائطها الفايسبوكي جاء فيها:»الرقص يجري في دمنا في عروقنا منذ الأزل ... اول ماينزاد لينا ملود نرقصو وفي طهورو نرقصو وفي شهادة السيزيام نرقصو وفي البكالوريا نرقصو ووقت يتزوج والا يخطب حد من العائلة نرقصو وقت الصابة نرقصو وقت الجز نرقصو ونغنو ...علاش توا هالتخلف منين جانا وشكون كان السبب في هالتزمت المميت لينا ولتقاليدنا وعاداتنا ....الطامة الكبرى وقت تكون دار ثقافة وما أدراك ما الثقافة وقتها ياخيبة المسعى....معادش نحكو على الشارع وعلى الاسر وعلى الوهابية المقيتة.....رشدي بلقاسمي فنان ومثقف وجامعي واكاديمي متكون ومختص في الرقص المعاصر والرقص التونسي الاصيل وتقريبا هو المرجع المعاصر الوحيد حاليا الذي يمكن اعتماده كمرجعية ومانناساش اللغبابي في زمانه وزينة وعزيزة وزهرة لمبوبة واه ياتونس العزيزة رانا توجعنا وربي يجريها عالصلاح «

يذكر في الختام ان رشدي بلقاسمي متحصل على ماجستير بحث في الفنون التشكيلية من المعهد العالي للفنون الجميلة بسوسة وهو في طور انجاز الدكتوراه بنفس المعهد بتأطير من الدكتوره ألفة يوسف.

اختير من طرف منظمة اليونسكو كسفير للرقص التونسي سنة 2014.

درس الرقص بين تونس وفرنسا، بالتوازي مع تكوينه الاكاديمي المسرحي بالمعهد العالي للفنون الدرامية.

اشتغل مهمة استاذ رقص في العديد من المعاهد العليا كالمعهد العالي للفن المسرحي لمدة 5 سنوات، ثم استقال ليتفرغ للإبداع والخلق.

قدم العديد من الأعمال الكوريغرافية ك»الزوفري» و»واذا عصيتم» و»ولد الجلابة» و»عروس وسلات» و»لمبوبات» و»الكبانية» وغيرهم، كما تعامل مع اكبر الموسيقيين والمسرحيين مثل الاسعد بن عبد الله في «المنسية» و»الزقلامة»، سمير العقربي في «حبوبة يرقص ويغني»، شادي القرفي في «فن تونس»، حاتم دربال في» الصباح الجديد»، حافظ خليفة في «طواسين» .

تحصل على العديد من الجوائز من بينها الجائزة الثالثة في مهرجان المونولوج 2005، جائزة أفضل كوريغرافيا من مهرجان الكاميرون للرقص المعاصر 2013، جائزة منظمة Action Zoo Humain سنة 2015، جائزة مؤسسة رامبورغ للفن و الثقافة 2016، جائزة الجمهور في مهرجان تونس عاصمة للرقص 2016.

هذا هو رشدي بلقاسمي الذي يريد البعض تهميشه واسكاته لأنه مختلف فكريا .

طرائف الزعيم (ج 386)

هل كان بورقيبة وراء التسمية الجديدة للنادي الصفاقسي ؟

حول هذه المسألة يقول الاستاذ عادل كعنيش في إحدى مداخلاته ان النادى التونسي (الاسم القديم للنادي الصفاقسي)كان يمرنه فى اواخر الخمسينات ممرن جزاءرى يدعى العريبى وقد وصل فريق جبهة التحرير الجزائرية الى تونس. لتنظيم معسكر شارك فيه كبار اللاعبين الجزائرين فقام الممرن العريبى بربط الصلة مع ادارة فريق جبهة التحرير. الجزاءرية من اجل تنظيم مقابلة ودية بين النادى التونسي وفريق جبهة التحرير الجزائرية وانهزم فريق النادى التونسي بثمانية اهداف لصفر

فى اليوم الموالى صدرت الصحف التونسية وفى صفحاتها الاولى فريق جبهة التحرير الجزائرية يسحق النادى التونسي بثمانية اهداف لصفر

اطلع بورڤيبة على الخبر وانزعج بشكل كبير واتصل فورا برئيس جامعة كرة القدم المرحوم الشاذلى زويتن الذى افاده ان المقابلة حصلت بين فريق جبهة التحرير والنادى التونسي الذى هو النادى الاول بصفاقس

طلب بورڤيبة من المرحوم عبد المجيد شاكر الرئيس الشرفى للنادى التونسي التحول لصفاقس وعقد جلسة عامة للنادى لاستبدال اسمه حتى يقع تجنب الخلط مستقبلا...

حل عبد المجيد شاكر بصفاقس وانعقدت جلسة عامة بالبلدية وشرح الوزير ان استبدال التسمية امر تستوجبه وضعية البلاد التى اصبحت مستقلة وان هنالك رغبة من السلط العليا لاعتماد تسمية فيها اشارة لصفاقس وتمت المصادقة على التسمية الجديدة. وحصل نقاش فى خصوص الاسم باللغة الفرنسية هل يكون CLUB SPORTIF SFAXIEN او ATHLÉTIQUE SFAXIEN يعنى CSS او CAS وتم فى الاخير اعتماد تسمية CSS ومنذ ذلك التاريخ استبدلت الوان الفريق وجىء بممرن جديد وهو كريستيك ليقع بناء فريق جديد استطاع ان يشرع فى حصد الالقاب بداية من 1969.